اللغة والمجتمع

رأى ومنهج

تأليف

دكتور محمود السعران

الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة

الإسكندرية ١٩٦٣

مقدمة الطبعة الأولى[1]

إن دراسة الوظيفة الاجتماعية للغة من أهم أبواب الدراسة اللغوية الحديثة قضاء على بعض التصورات اللغويه الخاطئة ، أو غير المجدية ، التى رسبت فى عقول الكثيرين غربا وشرقا نتيجة للفلسفات اللغوية التى كانت سائدة قبل أن تصبح الدراسة اللغوية « علما » ، وقبل أن تنضج هذه الدراسة . كما أن دراسة هذه الوظيفة من أقرب المداخل وأيسرها إلى ما انتهى إليه « علم اللغة العام » من « قوانين » ، وما يتخذه من مناهج ووسائل . ولا يقتصر البحث فى الوظيفة الاجتماعية للغة على حاضر كل لغة ، وعلى ما يتضمنه هذا الحاضر من إمكانيات قابلة ، بل إنه ليمتد حتى يدخل فى دراسته الماضى كذلك مع اصطناع منهج خاص بكل حال .

ثم إن البحث فى الوظيفة الاجتماعية للغة بحث متجدد على مر العصور . وليس المرجع فى تجدده وقفا على اختلاف النظر إلى طبيعة اللغة وإلى الباحث وطريقته ، بل إن تجدده لآت كذلك من استعمال اللغة فى كل جماعة لغوية فهو استعمال متطور بطبعه . وإن أضخم تطور فى استعمال معظم اللغات هو هذا الذى يمر به العالم الآن . فالعالم الآن ، كما يرى الأستاذ م. م. لويس ، فى غمرة « ثورة لغوية » ، ففى خلال الخمسين سنة الماضية أحدث التقدم فى طرق الاتصال المادى – كالتليفون ، واللاسلكى ، والطيران والراديو ،

---

(1) ظهرت الطبعة الأولى فى يونيو ١٩٥٨ ، طبع المطبعة الأهلية بمدينة بنغازى ، ليبيا .

والتليفزيون ، والسينما ، والصحافة .. .. الخ - تغيرات كبيرة فى الحياة الاجتماعية البشرية ، ولم يكن نمو الاتصال اللغوى أقل إحداثا لهذه التغيرات . ثم يقول لويس : إننا لانزال فى بدء ما لابد أن يكون تغيرات كبيرة فى وظائف اللغة بالنسبة إلى البشر ، فنحن نشهد الآن ، لأول مرة فى التاريخ ، إمكان القضاء على الأمية فى العالم بأسره ، وإمكان استماع الناس جميعا فى نفس اللحظة إلى نفس الصوت ، أو قراءتهم نفس الكلمات ، كما نشهد منافسة الكلمة المسموعة للكلمة المقروءة [١]

وإن ما أصاب الحياة الحديثة من تعقد ومن ضيق التخصص فى مختلف الميادين قد نشأ عنه كثير من « اللغات » الخاصة التى يجب أن يعنى بها الباحث اللغوى . ثم إن اشتداد اتصال المجتمعات الحديثة بعضها ببعض ، على صورة لم تحدث من قبل فى التاريخ ، جعل كل مجتمع لايخلو من التأثر بلغة سواه .

ولقد ازدادت العناية فى الوقت الحاضر بدراسة اللغة خدمة لميادين كثيرة من ميادين الفكر كان يظن حتى الآن أن دراسة اللغة غير ذات أهمية بالنسبة إليها . وإذا كان من الواجب علينا أن ندرس اللغة لفهم الفكر وثماره فمن الواضح أن علينا ، من أجل أن نفهم اللغة ، أن ندرس عملها فى المجتمع [٢] .

ولقد أخذت فى العناية بهذا الموضوع منذ سنوات حين كلفت بالقاء

---

(١) M.M. Lewis; Language In Society; pp. I-II; Thomas Nelson and Sons. Ltd., Printed in Great Britain 1947.

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٩

محاضرات فى علم اللغة على طلبة معهد العلوم الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية ، وواصلت العناية به من بعد فنميت ما كنت بدأته ، وزدته تحقيقا ، وقدمته للنشر فى العدد الأول من مجلة كلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية ببنغازى وكنت معاراً من جامعة الإسكندرية للتدريس بها ، وكان المتوقع أن يصدر هذا العدد فى يونيو ١٩٦٧ ولكنه تأخر عن الصدور لأسباب فنية ورأيت أن أنشره كذلك فى صورة كتاب حتى يطلع عليه عدد من القراء أكبر . والكتاب لا يزيد عن البحث المنشور فى المجلة إلا بهذه المقدمة الوجيزة وبفهرس يبين محتوياته .

وليس المقصود بهذا البحث الإحاطة بجميع المسائل التى تندرج تحت « اللغة والمجتمع » ، فهذا أمر يحتاج إلى أن يتعاون فيه جماعة من الباحثين ، فان وجهتى أن أوضح المشكلة ، وأن أبين منهج دراستها بالتطبيق على بعض الأمثلة مع العناية بالإشارة إلى مجالات جديدة يمكن أن يطرقها البحث اللغوى العربي .

بينت فى الفصل الأول أن اللغة « وظيفة اجتماعية » وليست مجرد وسيلة لتوصيل الفكر أو التعبير عنه ، ثم رسمت بإيجاز منهج دراسة هذه الوظيفة الاجتماعية . وشرعت من بعد فى تناول طائفة من المسائل الرئيسية التى تبرز عمل اللغة فى المجتمع ، فعرضت للسلوك اللغوى للطفل ، ولم أستطرد لأبين السلوك اللغوى للراشد ، والسلوك اللغوى للرجل وللمرأة ، مكتفيا بما يردفى هذا من إشارات فيما يلى من موضوعات . ثم وضحت كيف أن اللغة « مميز فردى » و « مميز طبقى » ؛ ثم أخذت فى بيان العلاقة بين اللغة والمتكلمين فتحدثت عن البنية اللغوية والبنية الاجتماعية ، وعن اللغة والجنس ، وعن اللغات المتخلفة ، وعن اللغة والقومية . وعقدت بعد ذلك فصولا لجلاء استعمال اللغة فى

الحياة السياسية وفى الحياة الاقتصادية ، وفى الحياة الدينية، معقبا ذلك بعاميته «الكلام الحرام». ثم فصلت الكلام شيئاً ما فى الضمائر والصيغ المسندة إلى ضمائر لبيان مدى دلالتها على المستويات الاجتماعية مشيراً إلى اختلاف اللغات فى هذا الشأن موضحاً ما تجرى عليه العربية فى هذا السبيل . وخصصت آخر فصل فى هذا البحث لتناول جوانب من تطور اللغة واللغات مبينـا ما بين هذا التطور والعوامل الاجتماعية من صلات .

وقد رأيت أن من المستحسن أن ألحق بالبحث معجما للمصطلحات الإنجليزية التى استعملتها مع ما أرتضيه من مقابل عربى لهـا ، فترجمة هذه المصطلحات لا تزال موضع خلاف بين المشتغلين بالدراسات اللغوية بالعربية على قلتهم .

ويسرنى أن أقدم شكرى إلى المطبعة الأهلية ببنغازى على اهتمامها بأن يخرج الكتاب خالياً من الأخطاء المطبعية إلا ما ندر .

بنغازى ، يونيو ١٩٥٨ — محمود السعران

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

يسرني أن أستهل هذه الطبعة من « **اللغة والمجتمع : رأى ومنهج** » باسداء الشكر مخلصاً إلى أساتذتي وزملائي وطلبتي ورجال اللغة والأدب والاجتماع والصحافة ، أولئك الذين رحبوا بظهور هذا الكتاب منذ سنوات ، وقد دفعني ترحيبهم وما أبدوه من ملاحظات ، إلى معاودة النظر فيه ومداومته ، فكانت هذه الطبعة الثانية المزيدة المنقحة .

على أن ما أضفته وما نقحته لا يمس النظرية التي عرضتها ، وهي أن اللغة « وظيفة اجتماعية » ، ولا يمس تطبيقي لها ، فهو إضافات وتنقيحات تزيل ما بدا في الكتاب ، هنا وهناك ، من إجمال ، وتوضح ما ظهر لي فيه من إبهام ، وتسوق من الأمثلة والشواهد ما يزيد الأفكار الأساسية وضوحاً وقرب تناول .

وقد رجعت في إعداد هذه الطبعة إلى بعض الكتب والبحوث العربية التي ظهرت من بعد ، وأدرجتها في مواضعها من قائمة المراجع ، كما أضفت إلى هذه القائمة بعض المراجع العامة التي كنت قد أغفلت الإشارة إليها .

كما أحلت في كثير من المواضع ، لاسيما في الفصلين الأول والثاني ، إلى ما فصلته من مسائل علم اللغة ومناهجه في كتابي « **علم اللغة : مقدمة للقارىء**

العربي » الذى أصدرته دار المعارف بمصر فرع الإسكندرية سنة ١٩٦٢ ، مجتزئاً بهذه الإحالة عن الإعادة والتكرار .

وقد بدا لى أن أزيد فهرس الطبعة الجديدة تفصيلا وتحليلا كى يشمل أصول الموضوعات وفروعها ، وفروع فروعها ، ويلمح إلى ما بينها من ترابط وتواصل .

أدعو الله أن يجد القراء فى هذا الكتاب شيئاً من نفع ، وأن يوفقنا إلى خدمة العربية .

الإسكندرية فى ٧ إبريل ١٩٦٣ — محمود السعران

— ١ —

وظيفـــة اللغــــة

أ ـ يحاول « علم اللغة العام[١] » أن يجد طرقا لدراسة « اللغة » باعتبارها ظاهرة إنسانية عامة ، طرقا تصلح لدراسة جميع الأشـــــكال الكلامية التى تصطنعها الجماعات البشرية على اختلافها ، وهذه الطرق لن تكون هى نفسها دراسة للغة مفردة من لغات البشر ، سالفها أو حاضرها أو قادمها . إن هذه الطرق شىء أشبه بـ « الألف باء الصوتية الدولية[٢] » ، فهذه الألف باء لا يقتصر استعمالها على تمثيل نطق لغة بعينها ، ولكنها قد قصد من وضعها أن تكون وسيلة صالحة لتمثيل أى نطق فى أى لغة ، فهذا الرمز أو ذاك من رموزها لا يمثل هذا الصوت أو ذاك فى هذه اللغة أو تلك ، ولكنه يمثل « نوعا » صوتيا عاما[٣] . أى أن طرق الدراسة اللغوية أو مناهجها ،

---

(١) General Linguistics

(٢) International Phonetic Alphabet

(٣) فحرف الـ «P» مثلا من حروف هذه الألف باء الصوتية لا يمثل الصوت الإنجليزى الذى ترمز إليه الأبجدية الإنجليزية التقليدية بهذا الحرف نفسه ، وهو لا يمثل الصوت الفرنسى الذى ترمز إليه الأبجدية الفرنسية التقليدية بنفس الرمز ، مع أن هذين الصوتين يشتركان فى الخصائص الجوهرية ، فكلاهما يصدق عليه أنه صوت « انفجارى Plosive » « شفتانى bi-labial » « مهموس Voiceless » إلا أن صوت « الباء p » الإنجليزى يختلف عن صوت « الباء p » الفرنسى ، ففى الإنجليزية يتبع انفجاره نفس شديد ، أما فى الفرنسية فلا يصحبه هذا النفس . فاذا استعملنا رمز p لتمثيل النطق الإنجليزى اكتسب هذا الرمز دلالته من وصفنا التفصيلى لهذا النطق ، وإذا استعملنا هذا الرمز نفسه (p) فى تمثيل النطق الفرنسى جاءته دلالته من تعريفنا بهذا النطق تعريفاً كاملا دقيقاً ، فاذا أردنا أن نمثل هذا الخلاف فى نطق هذين الصوتين كتابة جاز أن ندل على النفس الشديد الذى يميز الصوت الإنجليزى بوضــع حــرف h صغيرة على يمين الـ P إلى أعلى ، وأن نستبقى =

ينبغي أن تكون مرنة مرونة تيسّر استخدامها عند دراسة العربية مثلاً وعند دراسة غيرها من اللغات التي تختلف عنها في أنظمتها الصوتية والنحوية.. الخ، كما ينبغي أن تقترن هذه المرونة بالدقة والإحكام .

والمبدأ الذي يجب أن يراعى في رسم تلك الطرائق المؤذنة بدراسة اللغة تلك الدراسة هو المحافظة على ما يدعوه « دي جروت »[١] اللغوي الهولندي « استقلال علم اللغة »[٢]، فلعلم اللغة موضوعه الفرد ، وإن « موضوع علم اللغة الوحيد والصحيح هو اللغة معتبرةً في ذاتها ومن أجل ذاتها» كما يقول «فرديناند دي سوسير» في «محاضرات في علم اللغة العام»[٣]، ولذلك وجب أن تكون مناهج علم اللغة ووسائله وأسسه « الفلسفية » مستمدة من طبيعة موضوعه ، ومتلائمة وإياها. نعم إنا لنستعين بعلوم أخرى في تكويننا لنظرية عامة في اللغة (ومن ذلك استعانتنا بعلم الاجتماع العام ، وعلم النفس ، وعلم الطبيعة (= « الفيزيقا » أو «الفيزياء ») وعلم وظائف الأعضاء ، وعلم التشريح ، والدراسات التاريخية والجغرافية . . الخ)[٤] ، ولكن فرق بين هذا وبين

= الـ p دون تخصيص لتمثيل الصوت الفرنسي : فكل رمز من رموز هذه الألف باء الصوتية « نوع » صوتي .

(انظر في التعريف بـ « الألف باء الصوتية الدولية » الفصل الذي عقدناه لـ « الكتابة الصوتية » في كتابنا « علم اللغة : مقدمة للقارىء العربي » نشر دار المعارف بمصر ، فرع الاسكندرية ٦٢ - ١٩٦٣ — ص ١٢١ - ١٣١)

(١) De Groot

(٢) The autonomy of Linguistics

(٣) Ferdinand de Saussure : Cours De Linguistique Cénérale, Quatriéme édition, Payot, Paris 1949, p. 317

"la linguistique a puor unique et véritable objet la langue envisagée en elle-même et pour elle - même.

(٤) انظر في هذا ما كتبناه في «علم اللغة : مقدمة للقارىء العربي » ص ٦٦ — ٧٨

أن ننظر إلى اللغة من خلال مناهج علوم أخرى ، أو أن ننظر إليها على أنها فرع من علم آخر .

ب ـ لقد سبق أن قامت الدراسات اللغوية على أساس أنها فرع من الفلسفة،أو فرع من علم النفس ، أو فرع من الأنثروبولوجيا الاجتماعية[1] ، أو . الخ ، وخلاصة ما أدت إليه هذه الدراسات هو اعتبار اللغة وسيلة للتعبير عن الأفكار والعواطف والرغبات أو وسيلة لتوصيل الأفكار و . . . الخ . وإن «هنرى سويت» يقدم نوعاً من النظرية الكلاسيكية في اللغة إذ يقول : « إن اللغة هى التعبير عن الأفكار بوساطة الأصوات الكلامية المؤتلفة فى كلمات . »[2]

و « إدوارد سابير » يذهب نفس المذهب إذ يقول : « اللغة وسيلة إنسانية خالصة . وغير غريزية إطلاقاً لتوصيل الأفكار والانفعالات ، والرغبات عن طريق نظام من الرموز التى تصدر بطريقة إرادية »[3]

ولا يزال بعض المحدثين من علماء اللغة ينظرون إلى اللغة هذه النظرة ،

---

(١) Social Anthropology

(٢) Henry Sweet, New English Grammar : "Language is the expression of ideas by means of speech-sounds combined into words".

(٣) Edward Sapir, Language, An Introduction to the Study of Speech; New York Harcourt, Brace and Commpany, 1921, P. 7 :

"Language is a purely human and non-instinctive method of communicating ideas, emotions and desires by means of a system of voluntarily produced symbols".

ويقول سابير فى ص ٢١ من نفس الكتاب :

"Language, as a structure, is on its inner face the mold of thought.

أى « إن اللغة ، من حيث هى بناء ، هى فى هيئتها الباطنة قالب الفكر » .

على الرغم من دراستهم لـ « الكلام الحى » ، ومن استعانتهم بعلم الاجتماع فى دراسة اللغة .

ولكن « الأفكار » و « الانفعالات » و « العواطف » والرغبات الخ مصطلحات منقولة من دراسات أخرى غير لغوية فى أصلها . ولو جاز أن « الكلام » فى بعض استعمالاته تعبير عن « الفكر » فانه ليس كذلك فى جميع استعمالاته أو فى معظمها : فليس ثمة توصيل للأفكار أو تعبير عن أفكار فى لغة التحيات ، ولغة التأدب ، ولغة التدريب الرياضى والعسكرى مثلا ، كما سنرى .

إن أصحاب هذه النظرية فى اللغة ، على اختلافهم ، يرون أن :

الوظيفة الأساسية للغة هى أنها وسيلة من «الاتصال» أو «التوصيل»[١] ، أو « النقل »[٢] ، أو « التعبير »[٣] عن طريق « الأصوات الكلامية »[٤] .

وأن ما « توصله » اللغة ، أو « تنقله » أو « تعبر عنه » هو الأفكار[٥] والمعانى ، والانفعالات ، والرغبات . و . . . الخ ، أو « الفكر »[٦] بوجه عـــام .

(١) ذهب هذا المذهب كثير من علماء اللغة ، لا سيما أولئك الذين تقوم

---

(١) Communication

(٢) Transmission

(٣) Expression

(٤) Speech - sounds

(٥) Ideas

(٦) Thought

دراساتهم للغة على أساس « منطقى » ، أو « فلسفى » أو « نفسى » ، أو « رياضى » ، أو « آلى » . يرى هؤلاء أن اللغة لا تعدو أن تكون مرآة ينعكس عليها الفكر ، أو أداة عاكسة للفكر ، أو « مستودعا » للفكر المنعكس ، أو وسيلة لتجسيم الفكر أو التعبير عنه ، إلى أشباه هذا .

١ — وليس هذا الكلام قاصراً على اللغويين القدماء من يونان ورومان ، وعلى لغويى العصور الوسطى ، أولئك الذين خضعوا فى تفكيرهم اللغوى لمنطق أرسطو ولبعض التصورات الفلسفية ، ولكنه يصدق كذلك على كثير من المناطقة المحدثين الذين تعرضوا للغة ومن هؤلاء « جڤونز » الإنجليزى فقد قال[١] : إن اللغة تؤدى ثلاثة أغراض :

(١) أنها وسيلة للتوصيل (٢) أنها عون آلى للتفكير (٣) أنها وسيلة للتسجيل والرجوع إلى ما يسجل . ويقول جڤونز : « كانت اللغة فى نشأتها الأولى تستعمل فى الغرض الأول على وجه الخصوص إن لم يكن استعمالها فيه وحده . »

٢ — وقد ناقش الأستاذ « أوتويسبرسن »[٢] رأى جڤونز فلاحظ أن الاستعمال الثالث للغة فى رأى جڤونز لا يعدو أن يكون فرعا ثانويا من الاستعمال الأول وذلك « لأنه عندما يدون الإنسان مذكرة عن شىء ما ليرجع إليها من بعد ، ومن ثمّ يستحضر فى ذهنه أفكاره السابقة ، فهذا أمر لا يختلف

(١) Jevons : Elementary Lessons of Logic, P 287

(٢) Otto Jespersen : Mankind, Nation And Individual From A Linguistic Point of View, PP. 6-7

فى جوهره عن الغاية الأولى للغة . فالإنسان عندما يقرأ مذكراته الماضية يكون هو نفسه ويكون شخصاً آخر فى نفس الوقت[1] » أى أنه عندما يقرأ الإنسان مذكراته الماضية يكون ثمة « توصيل » .

ويقرر يسبرسن[2] أنه لا يستطيع أن يتبع جفوتز فى قوله إن اللغة فى نشأتها الأولى كانت تستعمل فى الغرض الأول – وهو كونها وسيلة للتوصيل – على وجه الخصوص إن لم يكن استعمالها فيه وحده وكان يسبرسن ، قبل مناقشته رأى جفوتز هذا ، قد عرض رأيا شبيها به لـ « هرمان پول »[3] وقال يسبرسن : « ولن نقارب أبداً فهماً تاماً لطبيعة اللغة ما حصرنا انتباهنا فى وظيفتها العقلية بوصفها وسيلة لتوصيل الفكر . ولكن هذه النظرية الجزئية قد رآها (جماعة من) أبرز الباحثين . فهرمان پول فى خطابه البارع عن völker-psychologie (الذى ألقاه فى ميونيخ سنة ١٩١٠) يقول عن غرض اللغة : « إن وظيفتها الأصلية أن تكون فى جميع الأحوال وسيلة لتوصيل شىء من الأشياء » . كلا ، ما هذا بوظيفتها الأصلية ، وما هو بوظيفتها الحالية . أما فيما يتعلق بنشأة اللغة فقد حاولت فى كتابى Progress In Language ثم أحدث من هذا فى القسم الأخير من كتابى Language ، حاولت أن أبين أننا لا نعدو الشروع فى الحدس عندما نرى ، بعد اقتفاء تاريخ اللغة إلى الوراء إلى أقصى ما نستطيع ، أن اللغة المبكرة كانت أى شىء إلا شيئا عقليا[4] . عندما نرى أنها كانت حقا منزلا

---

(١) المرجع السابق P. 6

(٢) المرجع السابق P. 7

(٣) Hermann Paul

(٤) Intellectual

وسطا بين الغناء والكلام ، وأنها مجموعة من الأصوات الطويلة والتي تكاد أن تكون عارية عن المعنى — كانت متنفساً للاحساسات العنيفة أكثر من كونها تعبيراً مفهوما عنها ، وأنها لم تكن في أي حال من الأحوال تعتبر في أساسها وسيلة لإخبار الآخرين هذا الشيء أو ذاك ، ولو أنها ، بطريق غير مباشر ، قد صارت في الواقع آخر الأمر إلى أن تكون وسيلة للتوصيل » ١

أما الغرض الثاني من أغراض اللغة الثلاثة في رأى چڤونز — وهو أنها عون آلى على التفكير — فقد قال عنه يسپرسن : « من الثابت أن امتلاك لغة من اللغات يساعد حقا التفكير الإنساني مساعدة جوهرية . ولكن علينا من ناحية أخرى أن لا ننسى أن جماعة من أعمق المفكرين طالما شكوا من أن اللغة التقليدية كانت في حالات عائقا لهم عن التفكير في شيء إلى أعمق أعماقه ، فهي بمفرداتها المحدودة ، وبصيغها الثابتة ، قد أكرهت الفكر على أن يسير في سبيل مطروقة ، حتى إنهم اضطروا إلى متابعة السير في خطوط قديمة ، وانتهوا إلى أن يكون تفكيرهم شديد الشبه بتفكير أقوام آخرين من قبلهم . » ٢

وقد خلص يسپرسن من مناقشته رأى چڤونز إلى أنه لا يستطيع أن يتبعه في اعتباره هذه الغايات العقلية الثلاث هي الغايات الوحيدة التي تستعمل من أجلها اللغة ، فاستعمال اللغة في هذه الغايات لا يتحقق إلا في حالة

---

(١) أوتو يسپرسن : المرجع السابق P. 5

(٢) المرجع السابق P. 7

المفكرين من الرجال والنساء ، ولا يتحقق عند هؤلاء إلا في أسمى لحظاتهم الأكاديمية ١.

جـ – ولكن هل اعتبار اللغة وسيلة من وسائل التوصيل يجوز أن يعد تعريفاً صادقاً للغة ؟ إن دراسة الأنواع المختلفة « للوظائف الكلامية »[٢] في لغة من اللغات « الحية » لا تؤيد أمثال التعريفات السابقة للغة ، ولا توحي بها .

---

(١) المرجع السابق P. 7 . صديقي وزميلي الدكتور عبد الرحمن محمد أيوب ، الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ترجمة لكتاب يسبرسن هذا ظهرت سنة ١٩٥٤ بعنوان « اللغة بين الفرد والمجتمع » (ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة) . ولكننا لم نشأ أن نأخذ عن الترجمة بل أخذنا عن الأصل مباشرة ، فهذه الترجمة « بتصرف » ، وهذا التصرف يندرج تحته اختصار كلام المؤلف أحيانا ، وإطالته أحيانا ، وكتابة بعض الفصول من جديد في ضوء ما كتبه المؤلف أحيانا أخرى لتكون مفهومة لدى القارىء العربي . ثم إن التعليقات التي أضافها الدكتور أيوب — وهي في جملتها تعليقات قيمة نيرة تيسر فهم الأصل على القارىء العربي تيسيراً كبيراً في معظم الأحوال — قد كتبت في الأغلب مع الأصل دون فصل أو تنبيه ، فغدا من العسير أن تعرف أين المؤلف وأين المعلق . وقد كان يسيراً على المترجم أن يضع تعليقاته في الهامش مع التنبيه على أنها من صنعته حتى لا تختلط مع التعليقات الأصلية للمؤلف ، كما كان عليه أن يشير إلى النصوص التي اختصرها ، وإلى تلك التي أطالها حتى يكون القارىء على بينة . نرجو أن يتدارك الدكتور أيوب هذه المسائل في طبعته القادمة لهذه الترجمة . وقد أخبرني في زيارة تكرم بها علي في ١٨ فبراير ١٩٦٣ أنه ينوي إعادة طبع هذا الكتاب .

وقراءة ترجمة الدكتور أيوب ، في ضوء هذه التعليقات ، تذلل كثيراً مما يعرض للقارىء العربي من مشكلات اللغة والمجتمع .

وقد ظهر سنة ١٩٥٥ كتاب لصديقي وزميلي الدكتور تمام حسان ، الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، بعنوان « مناهج البحث في اللغة » (ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية — مطبعة الرسالة ، القاهرة) ، وقد عرض رأي يسبرسن في وظيفة اللغة في الفصل الذي كتبه عن « اللغة والكلام » (انظر بوجه خاص الصفحات من ٤٠ إلى ٤٥ من كتاب الدكتور تمام) .

(٢) Types of speech - function

ولقد كان لمالينوفسكى[1] ، العالم الأنثروبولوجى فضل كبير فى تغيير النظر إلى اللغة ، فقد أدرك عندما كان يدرس بعض المجتمعات التى جرى الاصطلاح على تسميتها بالمجتمعات « البدائية » أو « الفطرية » أو « الوحشية » ، أن دراسته لن تصح دون معرفة الوظيفة التى تقوم بها اللغة فى المجتمع . ومن هنا كانت نظريته العامة فى اللغة ، والتى كانت بين عوامل تطور النظر إلى علم اللغة وصل مالينوفسكى بعد دراسته لأمثال هذه المجتمعات إلى أن وظيفة اللغة ليست أنها مجرد وسيلة للتفاهم أو للتوصيل ، بل وظيفة اللغة هى أنها حلقة فى سلسلة النشاط الإنسانى المنتظم ، هى أنها جزء من السلوك الإنسانى ، أنها ضرب من العمل وليست أداة عاكسة الفكر[2] . واستعمال اللغة على هذه الصورة ليس قاصراً على الجماعات « البدائية » بل إنه ليلاحظ فى أرقى الجماعات تمدنا .

واليك أنواعا من وظائف الكلام تبين بجلاء أن الوظيفة الاساسيه للغه ليست كونها ضربا من توصيل الافكار و . و . . الخ . وأول ما نذكره من هذا

(١) « **المونولوج**»[3] (= **الكلام الانفرادى**) بصوره المختلفة ، كالقراءة الانفرادية بصوت عال ، وكتدوين الملاحظات التى لا يريد الكاتب بها إلا

---

(١) Bronislaw Malinowski انظر الملحق الذى كتبه لكتاب « معنى المعنى » The Meaning of Meaning من تأليف العالمين النفسيين الانجليزيين I. A. Richards و C. K. Ogden

(٢) Malinowski, op. cit , p. 312 :

"In its primitive uses, language functions as a link in concerted human activity, as a piece of behaviour. It is a mode of action and not an instrument of reflection".

(٣) Monologue

نفسه . والمونولوج يعرف أحياناً : « تحديث الانسان نفسه »[١] ، أو « التفكير بصوت مرتفع »[٢] . إن المرأة المصرية عندما تخلو إلى نفسها ــ سواء أكانت تقوم بعمل يدوى أم لا ــ وتنشد الأشعار الحزينة والنثر المسجوع ، باكية من فقدتهم من الأحباب ، لا ترمى إلى « نقل » إحساسات أو « أفكار » ، بل تستعمل اللغة بقصد التنفيس والتفريج عن آلامها وأحزانها . وغريب كل الغرابة أن يرى « سابير » أن هناك حتى فى هذه الوظيفة الكلامية ألاَ وهى المونولوج ، توصيلا للفكر ، يقول : « المتكلم والسامع هنا محققان فى شخص واحد يمكن أن يوصف بأنه ينقل الأفكار إلى نفسه »[٣]

(٢) ومن أنواع الوظائف الكلامية التى لا نجد فيها نقلا للأفكار ، أو شيئاً يمكن أن ينقل ، كثير من صور استعمال اللغة فيما يسمى بالسلوك الجماعى[٤] . فاصطناع اللغة فى الاجتماعات الدينية كالصلاة ، والدعاء ، ومخاطبة الله أو « المعبود » أو أية كائنات أخرى مقدسة أبعد من أن يعد نقلا للفكر .

١ ــ فالسلوك اللغوى الذى يصدر عن المصلين فى صلاة الجمعة مثلا ــ من الاستماع إلى الأذان ، وإلى آيات مرتلة من القرآن الكريم وإلى خطبة الخطيب ودعائه ، ثم من نية الصلاة والتكبير ، وتلاوة الفاتحة وآيات من كتاب الله ، وتسبيح اسم ربهم الأعلى ، والتشهد ، والتسليم ــ إن هذا السلوك اللغوى لا يبغى المصلون من ورائه « نقل » أفكار أو أحاسيس ، أو

---

(١) Talking to one's self

(٢) Thinking aloud

(٣) Language, p 18

(٤) Choric Behaviour

« التعبير » عن آراء ومشاعر لـ « توصيلها » أو لإفهام مخاطب ، فهم ، عندما يسلكون هذا السلوك الكلامي الذي تتجه به قلوبهم وألسنتهم وجسومهم إلى الخالق ، لا يتوقعون من الخالق ، جلّ شأنه ، أن « يرد » على كلامهم : وأن يتصل « الحوار » بينهم وبينه ـ إلا الحوار الذي هو « مناجـــاة » ، و « المناجاة » لا يصدق عليها أن غرضها « التوصيل » .

إن هذا السلوك الكلامي الذي يصحب الصلاة جزء منها ، وهي لا تتم إلا بهذا الكلام المخصوص يؤدّى في نسق معيّن معروف من حركات الجسم ، من وقوف وركوع وسجود . إن الكلام هنا ـ سواء مايصدر عن الخطيب ، والمصلون منه في موقف المستمع ، أو مايصدر عن المصلين أنفسهم متبعين فيه إمامهم أو غير متبعين ـ وظيفته في وجه من وجوهه وظيفة حركات الجسم ، ووظيفة الوضوء ، طقوس لاتتم الصلاة إلا بها ، ان وظيفته الحقيقية أنه عنصر من جملة عناصر غايتها « تحقيق » العبادة . أو « أداء » الفريضة لا « توصيل » أفكار ، أو رغبات ، أو أحاسيس

٢ ـ وما قيل عن لغة الصلاة يصدق على لغة « الدعاء » فالاسترحام والاستغفار والاستنصار ، والاستعانة والاستغاثة والاستجارة ، ورجاء المثوبة وحسن المآب ، والضراعة للتوفيق والسداد ، والصلاة على النبيين والقديسين والشهداء ، إن هذا وما يجري مجراه مظهر من مظاهر الصلة بين العابد والمعبود يتمثل فيه ضعف العابد وعجزه وفقره أمام قوة المعبود وقدرته وغناه . (انظر الفصل الثامن بعنوان : **اللغة والحياة الدينية**)

(٣) وإن ملاحظة استعمال اللغة في المخاطبات الاجتماعية التي لا تستهدف غاية ، مثل لغة التحيات ولغة التأدب ، والكلام عن حالات ظاهرة كالجـــو ،

تؤيد وجهة النظر التي ترى أن تبادل الكلمات يمكن أن يكون غاية في نفسه. وهذا الاستعمال للغة قائم في الجماعات الوحشية والمتمدنة على السواء، وهو ماثل في جميع اللغات دون خلاف. هذا الاستعمال للغة هو في أساسه صورة من صور العمل الاجتماعي، ووسيلة من وسائله، ذلك لأن كل كائن بشري يجد في نفسه الميل إلى الاجتماع بسواه، والاستمتاع بصحبة غيره، والنفور من الجليس الصامت، والكلام أقرب مستلزمات تحقيق هذا الميل. قال مالينوفسكى: « الكلام هو الوسيلة الضرورية للتشارك، إنه الآلة الفريدة التي لا غنى عنها لخلق روابط اللحظة، هذه الروابط التي يستحيل بدونها قيام العمل الاجتماعي الموحَّد. »[1]

١ ـ فلا « توصيل » أو « تعبير » في ترداد عبارات التحية المألوفة التي تجري في كل بيئة كلامية على قوالب معروفة، فاذا صدرت تحية من المتكلم عرفنا رد المخاطب قبل أن يفوه به، وذلك مثل: « السلام عليكم »: « وعليكم السلام » أو « وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته »؛ « كيف حالك؟ »: « الحمد لله »؛ « صباح الخير » « صباح النور » « مساء الخير » وردّ كل منها مثلها؛ « أهلا وسهلا »: « أهلا بك » أو « أهلا وسهلا »؛ « مرحبا »: « مرحبا »؛ « شرّفتنا »: « شرف الله مقدارك » أو « أنت الذي شرّفتنا » « آنستنا »: « الله يؤانسك ».

إن الغرض الأساسي من هذه التحيات وأمثالها أنها تسلك المتخاطبين

---

(١) المرجع السابق ص 10 P ، والأصل الانجليزي:

"Speech is the necessary means of communion; it is the one indispensable instrument for creating the ties of the moment without which unified social action is impossible."

فى علاقة اجتماعية . أنها «واجب» اجتماعى لامفر من أدائه ، وأن الاستهانة به ، أو التفريط فيه ، تخلق العداوة والبغضاء ، وأن الاسترسال فيها قد تكون غايته الإسراف فى التودد والمبالغة فى الترحيب ، والاستمتاع بالصحبة والتلاقى ، وقد يكون ستاراً يخفى المشاعر الحقيقية لأحد المتخاطبين أو كليهما ، وقد يكون تمهيداً للأخذ فى الحديث الأساسى الهام أو استدراجاً إليـــه .

٢ – و « لغة التأدب » فى الجماعات الكلامية المختلفة قديماً وحديثاً لا تهدف فى الأغلب إلى « نقل » أفكار أو أحاسيس . فمثل : « شكراً » ، « عفواً » ، « العفو » ، « آسف » ، « لا تؤاخذنى » ، « لا مؤاخذة » ، « من فضلك » ، « إذا سمحت » ، « لو سمحت » ، « لو تـــكرمت » ، « أرجوك » ، « أتوسل إليك » ، وما يرد فى لغة الرسائل من مثل : « وتفضلوا بقبول فائق الاحترام وخالص الشكر » . « صديقكم المخلص الوفى » ، « خادمكم المطيع » الخ الأغلب فيها أنها وسائل لتوثيق صلات الناس بعضهم ببعض ، ولفلّ حدة التنازع والتصارع ، فهى مظهر من مظاهر التهذب والتمدن والتجمل ، وهى فى كثير من الأحوال شارة الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها المتكلم وتلك التى ينتسب إليها المخاطب ، وقد تجمع إلى شىء من هذا الدلالة على خلق المتكلم وشخصيته ، وقد تكون من أسباب المراءاة والمداهنة والملق والنفاق .

٣ – والحديث عن الجو لا ينقل فى أكثره « أفكاراً » أو يحمـــل «أخباراً» ، فالأوصاف التى يجرى بها لسانا المتخاطبين بادية محسوسة ، والأمثال التى قد يوردانها عن أثر الجو فى الجسوم والنفوس والنبات والحيـــوان

محفوظة موروثة . إن الغاية من هذا الحديث هي الـآلف والتعاطف ، وتزجية الوقت ، والتسرية عن النفس ، وانتظار موضوع جديد يتطرق إليه الحديث ، وأحياناً ينقطع الحديث ولا شيء إلا الجو وقد آنس المتخاطبان كلاهما متعة أي متعة في متعة الكلام والسماع .

(٤) ومن الوظائف التي تؤديها اللغة مما لا شأن له إطلاقا بتوصيل الفكر أو التعبير عنه ، أنها كثيراً ماتتخذ بين الكبار والصغار على السواء ، وسيلة إلى اللعب بالاصوات ، وإلى التلذذ والانتشاء والسرور . فنحن كثيراً مانردد أصواتا وكلمات غير قاصدين إلا المتعة بأصواتنا . والانتشاء بلغتنا ، ودون أن يكون لدينا ماهو جدير بالسماع . وقد عبرت «مدام دى ستايل» عن هذه الحقيقه تعبيراً بارعاً، حين قالت عن اللغة الفرنسية ـ وكلامها ولاشك صادق على كل لغة من لغات الأرض دون أن يمنع هذا من احتمال تحققه في الفرنسية بطريقة أحذق ، وبدرجة أكبر [١] ـ قالت مدام دى ستايل عن اللغة الفرنسية : « إنها ليست كما هي عند غيرنا مجرد وسيلة لتوصيل أفكارها وإحساساتها ، وشئونها ، ولكنها آلة يحب الإنسان أن يلعب بها ، وهي تحرك النفوس كالموسيقى عند أقوام ، والخمور القوية عند آخرين »

(١) انظر كتاب يسبرسن السابق PP. 7-8 . وقد نقل يسبرسن كلام مدام دى ستايل عن : Gerber, Sparche als Kunst, I. 79 : Mme de Staël

وهذا هو الأصل الفرنسي لكلام « مدام دى ستايل » :

"elle n'est pas seulement comme ailleurs un moyen de communiquer ses idées, ses sentiments et ses affaires, mais un instrument dont on aime à jouer et qui ranime les esprits comme la musique chez quelques peuples et les liqueurs fortes chez quelques autres".

(٥) ومن استعمال اللغة فى غير « توصيل » الفكر استعمالها لاخفاء أفكار المتكلم ، ومن وقد لاحظنا شيئاً من هذا فى « لغة التحيات » و « لغة التأدب » ،ويتضح هذا الاستعمال بأجلى صورة فى لغة السياسة أحيانا ، (انظر شيئاً من هذا فى الفصل السادس فيما يلى بعنوان « اللغة والحياة السياسية ») وأحيانا فى لغة اللصوص والخارجين على القانون بصفة عامة ، وفيما يسمى « الكلام الحرام » (انظر الفصل التاسع) .

وإلى تاليران[1] الفرنسى تنسب تلك العبارة المشهورة ألا وهى أن اللغة كائنة لتخفى أفكار الإنسان ، وقد حسن هذه العبارة سورين كيركجارد[2] إذ قال إن اللغة يستعملها كثير من الناس لتخفى فقرهم إلى الأفكار .

وواضح أن عبارة «تاليران» لا يجوز أن تكون تعريفا لوظيفة اللغة ، فما ذكره ليس إلا استعمالا واحداً من استعمالاتها الكثيرة . أما عبارة « كيركجارد » فليس فيها ما فى عبارة « تاليران » من تعميم فهى تشير إلى استعمال خاص للغة غير متضمنة أن هذا هو الاستعمال الوحيد لها .

وهكذا نرى أن تلك النظرية الكلاسيكية فى اللغة تلك النظرية التى تقصر وظيفتها على توصيل الفكر أو التعبير عنه . نظرية لا تمكننا من أن نحلل جميع أشكال « السلوك الكلامى »[3] : وأصح منها وأدق أن ننظر إلى اللغة على أنها

---

(١) Talleyrand

(٢) Soren Keirkegaard

(٣) Speech Behaviour

« وظيفة اجتماعية »[١] ، على أنها « طريقة من العمل »[٢] ، فما من شك فى أن مما يعيننا على فهم طبيعة اللغة وجوهرها حق الفهم أن ننظر إلى الدور الذى تقوم به فى حياة الفرد ، وفى حياة الجماعة التى يؤلف بين أفرادها الحديث بلغة مشتركة ، وفى حياة النوع الإنسانى عامة .

(١) Social Function

(٢) Mode of Action

- ٢ -

دراسة الوظيفة الاجتماعية للغة

هذه الوظيفة الاجتماعية للغة كيف يتسنى دراستها؟

أ ـ إن الطرق التى اقترحت للقيام بهذه الدراسة تختلف باختلاف المدارس اللغوية . وسنحاول فيما يلى أن نرسم خطوط طريقة يرتضيها كثير من علماء اللغة فى انجلترا خاصة [١] وهذه الطريقة صالحة للتطبيق على أية لغة من اللغات « الحية » لدراستها دراسة « وصفية» [٢] . أما دراسة لغة من اللغات « الميتة » ، أو دراسة التغير الذى يطرأ على لغة من اللغات فى مرحلة من مراحل تاريخها ، أو فى تاريخها كله ، فلكلتيهما منهجها واعتباراتها . (انظر الكلام تحت رقم (٢) من هذا الفصل)[٣]

(١) هذه الطريقة تعد الكائن البشرى مركز دراسة اللغة ، ولا تعد ذلك المركز بعض « العلاقات الرياضية »[٤] أو الآلية[٥] ، أو المنطقية[٦] ، أو ما يشبه

---

(١) من أصحاب هذه الطريقة المتحمسين لها أستاذى المرحوم ج. ر. فيرث وقد عرض رأيه فى محاضراته وكتاباته ، انظر على وجه الخصوص مقاله القيم « الشخصية واللغة فى المجتمع »

J. R. Firth : Personality and Language In Society. The Sociological Review (Journal of the Institute of Sociology, Ledbury, Herefordshire, England) Vol. XLII, Section Two, 1950, pp. 37 - 52.

(٢) Descriptive

(٣) انظر تعريفنا للدراسة اللغوية الوصفية، وللدراسة اللغوية التاريخية ، فى كتابنا « علم اللغة مقدمة للقارىء العربى » ص ٢٦٢ ـ ٢٦٦

(٤) Mathematical Relations

(٥) Mechanical

(٦) Logical

من علماء اللغة على أن العدد الأدنى للحصول على فكرة صحيحة عن اللغة فهو اثنان من أفراد الجماعة الكلامية : متكلم ومخاطب ويرى الأستاذ ايرث أن العدد الأدنى فى هذا السبيل شخص واحد ، وإن كان يسلم بأن عتبار الحد الأدنى شخصين صالح للوفاء بمعظم الأغراض[1].

(٢) هذه الطريقة تؤرخ للتطور اللغوى للشخص فى الجماعة منذ ولادته ، لا بل إنها تدخل فى حسابها أن الطفل يولد على طبيعة خاصة ؛ ومن أهم ما فى طبيعة الكائن البشرى مما يتصل بدراسة اللغة ، الجهاز العصبى[2] ، وبعض الصفات الوراثية ، وأعضاء النطق . ما نوع الجهاز العصبى الإنسانى ؟ كيف تنشأ اللغة فى الجهاز العصبى ؟ أثمة عناصر وراثية تجعل الكائن البشرى ذا قدرة على اكتساب اللغة ؟ قد يجوز لنا أن نصف الإنسان بأنه « حيوان لغوى »[3] ، وإنا لنلاحظ أن الطفل يميل إلى أن يكون لغويا فهل للوراثة دخل فى هذا ؟ هل يولد الطفل وقد وهب قدرة على تعلم لغة معينة : العربية أو الإنجليزية أو الألمانية مثلا ؟ وإذا كان الجواب بالإثبات فكيف نعلل أن أطفال المهاجرين إلى جماعة لغوية مختلفة ، هؤلاء الأطفال الذين يولدون فى البيئة الجديدة ويعيشون فيها حياتهم — وقد انقطعت الأسباب بينهم وبين لغة آبائهم — يتعلمون لغة هذه الجماعة ، ويتعلمونها بنفس السرعة التى يتعلمها بها أهلوها الأصليون ، ويتكلمونها كما يتكلمها أصحابها؟ أم أن القدرة اللغوية الوراثية ، إن كانت ، فهى « عامة » ؟ ومن الملاحظ

---

(١) المرجع السابق انظر ص ٤٥ ، ص ٤٧ ، ص ٤٩ ، ص ٥٠ — ٥١ .

(٢) Nervous System . .

(٣) Linguistic Animal . .

أن المتكلم بأى لغة لا يستعمل أعضاء نطقه فحسب ، بل كثيراً ما يلجأ إلى التعبير اليدوى[١] ، وإلى التعبير بملامح وجهه ، فهل لهذا دخل بماضى الإنسان ، وبالتراث الإنسانى ؟

هذه المسائل وغيرها ، المتعلقة بالصلة بين طبيعة الكائن البشرى وصفاته الوراثية وبين سلوكه اللغوى ، مسائل أثارها بعض المحدثين من علماء اللغة ، وهم يدعون إلى بحثها ، ولكنها لمَّا تبحث البحث الواجب ، وينتظر أن تؤدى البحوث المقبلة فيها إلى أن يزداد فهمنا لطبيعة اللغة ووظيفتها . ومن البين أن البحوث فى هذه الأمور تستدعى الاهتداء بحقائق مستمدة من علم الأعصاب[٢] ، وعلم الوراثة[٣] ، وعلم الحياة العام[٤] (الأحياء : البيولوجيا) أكثر من الاهتداء بنتائج علم النفس .

هذه الطريقة تهتم بـ « الشخص »[٥] و « الشخصية »[٦] اهتماما كبيرا . وإن الدراسات الفسيولوجية ، والتشريحية ، والعصبية ، والطبية لتبين أهمية الجهاز العصبى كله « والغدد المفرزة للهرمونات »[٧] فى تكامل الشخصية ، وإن مميزات الشخصية لتجد التعبير عن نفسها من خلال النظام اللغوى . ثم إن دراسة « العيوب الكلامية »[٨] و « الاضطرابات اللغوية »[٩] ذات أهمية كبرى

---

(١) Hand Expression

(٢) Neurology

(٣) Genetics

(٤) General Biology

(٥) Person

(٦) Personality

(٧) Endocrine Organs

(٨) Speech Defects

(٩) Language Disorders

بالنسبة إلى هذا الموضوع . ولا شك أن الدراسات الكلينيكية[١] للأفازيا[٢]، وهي مرض من أمراض الكلام ، قد أفادت اللغويين بما ألقته على اللغة من ضوء . ولكن في دراسة هذه الحالات المرضية يجب أن تظل الشخصية عاملاهاما ذا صلة وثيقة بالموضوع . إن الاهتمام بالشخص والشخصية يفيدفي جوانب كثيرة من الدرس اللغوي ، وفي « دراسة الأسلوب »[٣] أو « علم الأسلوب » بوجه خاص ، ولكن ثمة حقائق وخصائص لغوية « غير شخصية »[٤] وعلى الباحث اللغوي أن يجرد الخصائص الشخصية من الخصائص غير الشخصية[٥] .

(٣) وهذه الطريقة التي تهتم بالشخص والشخصية هذا الاهتمام لاتنظر إلى الشخص على أنه « مستقل » ، إنما تدخل في حسابها أنه عضو في جماعة كلامية معينة ، فهي — كما تدخل في اعتبارها مقومات الشخصية وطبيعتها التي لها علاقة باللغة بتعلمها وباستعمالها وبتطويرها الخ — تقيم نظرتها على أساس من العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي للشخص على أساس من العلاقات الاجتماعية التي يرتبط بها الشخص ، ومن القيود الاجتماعية التي تفرض عليه والتي تلزمه بسلوك لغوي معين في حالات معينة[٦] .

(١) Clinical Studies

(٢) Aphasia

(٣) Stylistics

(٤) Impersonal

(٥) هذه الفقرة عن :

J. R. Firth : Personality and Language in Society, pp. 50—51.

(٦) المرجع السابق ص ٤٢-٤٩

ولا شك أن هذه العوامل والظواهر والعلاقات والقيود تختلف من مجتمع إلى مجتمع، وتختلف في المجتمع الواحد باختلاف العصور. إن الأساس الاجتماعي في دراسة «اللغة»، وفي دراسة السلوك اللغوي للشخص أساس على جانب كبير من الأهمية: فاللغة الإنسانية في نشأتها – سواء أكانت أحادية المنشأ أم ثنائيته أم متعددته، وأيا كانت الطريقة التي نشأت بها – من صنع المجتمع[١]، وفي المجتمع يكون استعمال اللغة، وتعلمها، وتطورها، كما أن تأثيرها كائن فيه.

ولذلك فإن أي نص كلامي – ملفوظا كان أو مكتوبا – لا يوصل إلى معناه الحق الكامل بدراسته وحده مستقلا، بدراسته من الناحية الصوتية، ومن الناحية النحوية، ومن الناحية المعجمية، بل يجب أن يدخل في تقدير معناه عناصر أخرى غير العنصر الكلامي، عناصر أخرى تكوّن هي والعنصر الكلامي كلا متكاملا، فمن الواجب الاهتمام بالمسائل الآتية:

---

(١) انظر الكلام عن «أصل اللغة» في كتاب «اللغة» للغوي الفرنسي الكبير «ج. فندريس J. Vendryes» تعريب الأستاذين عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص (نشر مكتبة الأنجلو المصرية، طبع مطبعة لجنة البيان العربي: القاهرة ١٩٥٠) ص ٢٩-٤٢

وانظر الفصل الخاص بنشأة اللغة في كتاب «دلالة الألفاظ» للدكتور إبراهيم أنيس ص ٩ – ٣٣ (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٨).

وكتاب الأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي «نشأة اللغة عند الإنسان والطفل» (دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٤٧).

وانظر ما كتبناه حول هذا الموضوع في «علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي» ص ٥٥-٧٥.

والجزء الخاص بالموضوع في:

1) Otto Jespesen : Language. . ; pp. 412—442.

2) E. H. Sturtevant : Introduction To Linguistic Science

١ — ما المشتركين فى الموقف الكلامى من خصائص متصلة به، خصائص متعلقة بأشخاصهم وشخصياتهم، وبالعلاقات القائمة بينهم. وهؤلاء المشتركون هم المتكلم والسامع — أو السامعان أو السامعون — (أو هم فى حالة النص المكتوب الكاتب ومن يقرأ) وغير من يتكلم ويسمع (أو غير الكاتب ومن يقرأ) من الحاضرين.

ويندرج تحت هذا النصوصُ الكلامية للمشتركين، والأحداث غير الكلامية التى تصدر عنهم أو التى يتخذونها كالاشارات وتعبيرات الوجه والانفعالات وما إلى ذلك.

٢ — الموضوعات (= الأشياء) المتصلة بالموقف الكلامى، كالمكان الذى يجرى فيه الكلام، أو حالة الجو إن كانت متعلقة بالموقف الكلامى الخ.

٣ — أثر النص الكلامى فى المشتركين، كالإقتناع، أو الضحك، أو الألم الخ[١].

---

(١) هذه العناصر الثلاثة ١ ، ٢ ، ٣ هى عناصر التصور الذى يدعوه الأستاذ فيرث « سياق الحال » Context of Situation انظر المرجع السابق ص ٤٢ — ٤٥ ؛ وانظر تفسير الأستاذ فيرث لهذا التصور فى كتابات أخرى له هى :—

1) Speech (Benn, 1930) pp. 38 - 43.

2) Linguistics and the Functional Point of View (English Studies XVI. 1, February, 1934

3) The Use and Distribution of Certain English Sounds (English Studies XVII, 1, February, 1935).

4) The Technique of Semantics (Transactions of the Philological Society. 35, pp. 1964, 72).

5) Tongues of Men (Watts & Co., London, 137) Chapter X.

وانظر عرض الدكتور تمام حسان لهذه الفكرة فى كتابه « مناهج البحث فى اللغة » ص ٢٦١ — ٢٦١ .

وارجع إلى ما كتبناه عن (المدرسة الاجتماعية الانجليزية — ج. ر. فيرث) فى كتابنا « علم اللغة . . . » ص ٢٣٧ ، ٢٤١

ب — هذا عن الدراسة الوصفية للغة « حية » ، أما دراسة لغة «ميتة» فى مرحلة من مراحلها ، فهى وإن كانت فى جوهرها دراسة وصفية إلا أنها تختلف فى أمور عن الدراسة الوصفية فى الحالة الأولى ، إذ أنه فى الحالة الثانية لا يتسنى للغوى الوقوف على كثير من الظروف التى كان يستعمل فيها الكلام ، ولذلك فهو فى حاجة إلى الاستعانة بالمعلومات التاريخية عن المجتمع صاحب اللغة فى الفترة التى يدرسها ليتأتى له إعادة بناء شىء قريب من الظروف التى كان يستعمل فيها الكلام الذى يدرسه ومن الثابت أن النتائج التى يصل إليها اللغـــوى فى هذا المجال ينقصها ، فى أكثر الأحايين أو فى بعضها ، الدقة والإقناع .

وما من شك فى أن الدراسة الوصفية لمرحلة قديمة من مراحل لغة لا تزال تجرى على الألسنة ، تختلف كذلك عن الدراسة الوصفية للمرحلة الراهنة لهذه اللغة أو لسواها ، ففى الحالة الأخيرة يتاح للغوى — كما بيّنا — أن يدرك الحقائق « غير اللغوية » التى يحتاج إليها فى دراسة المعنى ، وهذه الحقائق يكون الوصول إليها فى الحالة الأولى عن طريق التصور استعانة بالمعلومات التاريخية كما هو الشأن فى دراسة مرحلة من مراحل لغة « ميتـة » (انظر تعريف اللغات « الميتة » تحت رقم ا — من الفصل الحادى عشر) .

حـ — ثم إن دراسة تغير المعنى[1] من مرحلة إلى أخرى فى اللغة الواحدة تتبع منهجا تاريخيا له اعتباراته وشروطه الخاصة ؛ ومن أول هذه الشروط دراسة كل مرحلة من المراحل على حدتها دراسة وصفية قبل الانتقال إلى الدراسة التاريخية أو التطورية[1].

---

(١) عرفنا بمناهج دراسة المعنى فى الباب الرابع من كتابنا « علم اللغة . . . » وتحدثنا عن « تغير المعنى » فى الفصل الخامس من هذا الباب ص ٣٠٥ - ٣١٦

والدراسة اللغوية محوجة، في بعض جوانبها – كالمقارنة بين لغتين أو أكثر من بعض الوجوه – إلى اصطناع منهج آخر هو المنهج المقارن[2]، ولهذا المنهج، شأن أي منهج، شروطه واعتباراته ووسائله.

---

(١) دراسة اللغة في فترة معينة من تاريخها توصف بالفرنسية بأنها :—

= Descriptive أو Statique أو Synchronique

= ويقابل هذا بالانجليزية :

Descriptive أو Static أو (Synchronistic) Synchronic

وترجمة هذا بالعربية : سكونية (= ساكنة، استقرارية = مستقرة = حال الاستقرار)، أو ثابتة (= حال الثبات) أو وصفية.

أما دراسة اللغة من حيث تغيرها من فترة إلى أخرى فتوصف بالفرنسية بأنها :

Historique أو (Dynamique) Evolutive أو Diachronique

ويقابل هذا بالانجليزية : Historical أو Dynamic أو (Diachronistic) Diacronic

وترجمة هذا بالعربية : (حركية = متحركة)، أو تطورية أو تاريخية.

وكان فرديناند دي سوسير، العالم السويسري، أول من ميز تمييزاً اطلياً بين هاتين النظرتين كما كان له فضل إدخال المصطلحين : Synchronique و Diachronique

« ولقد أبرزت محاضرات فرديناند دي سوسير (ولد سنة ١٨٥٧ ومات سنة ١٩١٣) التي نشرها تلاميذه سنة ١٩١٦ أهمية الفصل القاطع بين هاتين النظرتين : بين اللغة من حيث هي نظام ثابت، وبين اللغة من حيث هي تغير لغوي. وأصر دي سوسير على ضرورة الفصل القاطع بين دراسة اللغة حال ثباتها، وبين دراستها حال حركتها. كما بين أن كل دراسة من هاتين يجب أن يكون لها مناهجها الخاصة بها. » عن :

Alf Sommerfelt : Recent Trends in General Linguistics (Diogenes, Number 1, English Edition pp. 64, 70. A Quarterly Publication of the International Council For Philosophy and Humanistic Studies, Unesco)

(٢) Comparative Method

انظر تعريفنا بهذا المنهج في كتابنا : علم اللغة . . . ص٢٦٦–٢٨١ .

بعد ذلك التعريف بوظيفة اللغة تعريفا مخالفا للتعريف «الكلاسيكي» لها.

وبعد هذا البيان الموجز لطريقة دراسة هذه الوظيفة، نشرع فى تناول طائفة من المسائل الهامة التى تندرج تحت «اللغة والمجتمع» فنبين أنواعا من العلاقات المتبادلة بين اللغة والمجتمع، مبرزين أنواعا مختلفة من الوظائف اللغوية. وليس القصد من تناول هذه المسائل فى هذا المجال أن ندرسها دراسة مفصلة كاملة فهذا محوج إلى فضل زمان ومكان، ولا ينهض به حق نهوضه إلا طائفة متعاونة من العلماء، إنما القصد أن نعرض تخطيطا للموضوع يبرز ماهية كل مسألة من المسائل، ويوضح طرائق دراستها، وينبه إلى ما قد يكون فى دراسة بعض المسائل من فجوات. وقد نفصل أحيانا قليلة فى بيان بعض ماندهب إليه على سبيل التمثيل وسنرى أن هذا العرض، ببيانه للدور الذى تقوم به اللغة فى حياة الفرد والجماعة والنوع الإنسانى، يدنينا من فهم حقيقة «اللغة»، وأنه يَشْرَع للدراسة اللغوية لا سيما فى حالة العربية فصيحها وعاميها، مجالات جديدة واسعة تصطنع فيها مناهج ووسائل حديثة دقيقة. وسنرى كذلك أنه عند بحث الموضوع الواحد يحوج الأمر إلى أن نستخدم مع المنهج الوصفى المنهج التاريخى أو المنهج المقارن أو كلا المنهجين، مع الاحتفاظ لكل بمجاله وشروطه، أى دون الخلط بينهما أو بينها.

— ٣ —

السلوك اللغوى للطفل

أ — من جوانب دراسة السلوك اللغوى للشخص ، ومن أول ما يهدينا فى سبيل فهم الوظيفة الاجتماعية للغة ، دراسة السلوك اللغـــوى للطفل : كيف يكتسب الطفل لغة الجماعة التى يولد فيها ويعيش ؟ هل يتعلمها دفعة واحدة أو أنه يتعلمها على مدى طويل ، وعلى مراحل متدرجة ؟ وما الظروف التى يتعلم فيها الطفل اللغة ؟ أهو يتعلمها وحده أم هو يتعلمها بعون ؟ وإذا كان يتعلمها بعون فما حقيقة هذا العون ؟ أثمة مدة واحدة يستغرقها الأطفال جميعا لتعلم اللغة أم أن هذه المدة تتفاوت من طفل إلى طفل ، أو من جماعة إلى جماعة أخرى ؟ وإذا كان تفاوت فى هذا الشـــأن فما أسبابه ، وما ظروفه ، وما نتائجه ؟ ثم هذه اللغة التى يتعلمها الطفل ، ما دلالتها بالنسبة إليه ؟ وما دلالتها بالنسبة لمن حوله ؟ فيم يستعملها ، وما ظروف استعماله إياهـا ؟ إلى غير هذا من عشرات الأسئلة .

ومما يسأل عنه فى هـــذا المجال أسئلة لا سبيل إلى الإجابة عنها إجابة مرضية أو شبه مرضية ، فمن المسلم به أن اللغة « مكتسبة » وليست مما يرثه الكائن الحى كبعض سمات الخلقة وصفات المزاج ، ولكن أثمة دخل للوراثة فى قدرة الأطفال عامة على اكتساب اللغة ؟ وهل للوراثة شأن فى اكتساب طفل لغته أسرع من اكتساب طفل غيره نفس اللغة ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال ونظائره مرهونة بتقدم بحوث علم الوراثة فقد يحل هذا العلم مستقبلا هذا الإشكال بالنفى أو بالإثبات حلا حاسماً ينفى كل تشكك ، ويكون دعامة فى النظر إلى لغة الطفل .

(١) وأول ما نقرره فيما يتعلق بالسلوك اللغوى للطفل أنه لا توجد حتى الآن دراسة علمية كاملة موثوق بها لـ « لغة » الطفل قائمة على أساس لغوى . وأكثر ما كتب عن لغة الطفل قائم على أسس نفسية ، ومن وجهة نظر علم النفس على اختلاف مذاهبه ، وهو غالبا ما يستهدف الاهتداء إلى خير الوسائل المعينة على تعليم اللغة للأطفال والكبار ، وعلى تعليم الطفل لغة أجنبية ، كما أنه يرمى إلى الوصول إلى بعض الحقائق التى تعنى علم النفس .[١]

---

(١) فيما يلى بيان بطائفة من أشهر الدراسات المتداولة عن لغة الطفل :

Buhler, Charlotte : (1) The First year of Life; New York, U. S. A., 1930 (Trans. from German)

(2) From Birth to Maturity; Kegan Paul, London, 1937

Descoeudres, A. : Le Developpement de l'enfant, de deux à sept ans; Delachaux & Niestlé, Neuchatel & Paris; 1946.

Gesell; A. & Others : The first five years of Life; Methwen & Co. Ltd., London, 1940

Gesell, A. : Studies in Child Development, New York, 1948.

Grégorie, A. : L'Apprentissage du Langage, les deux premières années; Alcan Paris. 1937.

Grégorie, A. : L'Apprentissage du Langage; la 3 ème année et les années suivantes; Alcan, Paris, 1947.

Guillaume, P. : L'Imitation chez l'Enfant; Presses Universitaires de France, Paris 1950

Lewis M.M. : Infant Speech; Kegan Paul London, 2nd ed. 1951.

McCarthy, D. : The Language Development of the Pre-School Child; University of Minnesota Press, U. S. A. 1929.

Piaget, J. : Le Langage et la Pensée chez l'Enfant. Delachaux & Niestlé; Neuchatel & Paris 1923.

(٢) وقد ظهر بالعربية حديثا كتاب عنوانه « اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة » للأستاذ صالح الشماع [١]. وقد نشر ضمن سلسلة « منشورات جماعة علم النفس التكاملي » التي يشرف على إصدارها الدكتور يوسف مراد ، وقد كتب الدكتور يوسف مراد — وكان الأستاذ المشرف على هذا البحث — مقدمة هذا الكتاب .

وقد ذكر المؤلف في تمهيده والمقدم في مقدمته أن هذا البحث يطبق « المنهج التكاملي » . قال صاحب الرسالة [٢] إنه لا يتقدم بأية نظرية جديدة « وأننا منذ أقدمنا على اختيار هذه الرسالة كان رائدنا بضعة توجيهات وخطوط عامة سلمنا بها دون نقاش وأخذنا أنفسنا بتطبيقها وفي مثل هذا التطبيق يكون التقدير النهائي لعملنا وإن أهم هذه الخطوط والتوجيهات هي فكرة « التكامل » التي نشأنا عليها . . » . ثم ذكر [٣] أن تطبيق

Piaget J. :	La Fonction du Symbole chez l'Enfant.	=
Seth and Guthrie :	Speech in Childhood ; Oxford University Press 1935.	
Shirley, Mary :	The first two years, a study of twenty five Babies. The University of Minnesota Press, U. S. A., 1933.	
Stein, L. :	The infancy of Speech and the Speech of infancy; Methwen & Co , London, 1949.	
Stern, W. :	Psychology of Early Childhood up to the sixth year of age ; G. Allen & Unwin Ltd., London 1924.	

هذا عدا عشرات المقالات في المجلات العلمية لا سيما مجلات علم النفس .

(١) نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٥ . وهذا الكتاب هو الرسالة التي نال بها الأستاذ صالح الشماع درجة الماجستير من قسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

(٢) تمهيد ص ١

(٣) تمهيد ص ٢

المنهج التكاملي يسمح له ألا يتقيد بمدرسة دون أخرى في دراسة ظاهرة معقدة كاللغة ، فاستفاد من شتى المذاهب والاتجاهات ، ولكنه اهتم اهتماما خاصا بمناقشة آراء ثلاث من مدارس علم النفس وهي مدرسة التحليل النفسي والسلوكية ، والجشطلتية ولم ينس جهود علماء آخرين .

وقال الدكتور يوسف مراد في مقدمته (١) « ويكفي أن نلقي نظرة سريعة إلى اللغة لندرك على الفور أن دراستها لا يمكن أن تقوم إلا على المنهج التكاملي إذ لا بد من تضافر عـــدد كبير من العوامل الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية لكي تنشأ اللغة وتتطور حتى تصبح أداة ممتازة للتعبير والاتصال بالآخرين . » (لاحظ أن هذا الكلام يفهم منه أن صاحبه يرى أن وظيفة اللغة ، أو وظيفتها الرئيسية على الأقل ، هي أن تكون « أداة ممتازة للتعبير والاتصال بالآخرين » وقد سبق لنا أن ناقشنا هذا الرأي) . ثم قال (نفس الصفحة) :

« وقد أدرك مؤلف هذا البحث ، الأستاذ هادي صالح الشماع ، ضرورة تطبيق المنهج التكاملي في دراسة نشأة اللغة وتطورها في الطفولة . فبعد أن تحدث عن مناهج دراسة اللغة تناول الأسس البيولوجية للكلام . واللغة عند الحيوان ، أي أنه نظر إلى اللغة من حيث هي مظهر من مظاهر السلوك العام وأن دراسة المعالم الأولى للغة الانفعالية تعين في فهـــم اللغة التصورية التي ترقى تدريجيا نحو مستوى التجريد والتعميم . وفي هذه المرحلة التي تتحول عندها اللغة من مستواها الانفعالي البحت إلى مستواها التصوري نلمس ما بين العوامل الفسيولوجية والنفسية من تضافر وثيق .

---

(١) ص ٢ مقدمة

وبعد أن تحدث المؤلف طويلا عن المادة الأولية للغة من صراخ وأصوات ومناغاة انتقل إلى وسائل اكتساب اللغة مبرزا أثر العوامل الاجتماعية فى تطورها وارتقائها . »

والذى نراه نحن أن هذا البحث يقوم فى جملته على أسس نفسية ، وهو صادر عن ثقافة نفسية ، وينظر إلى لغة الطفل من وجهة نظر علم النفس فى الأغلب ، وإن اتبع ما يسمى المنهج التكاملى ، وإن ذهب صاحبه إلى أنه يؤكد على الجانب الاجتماعى توكيدا كبيرا [١] ، والأستاذ الدكتور يوسف مراد ينظر إلى هذا البحث على أنه « جدير بأن يحتل مكانة ممتازة بين المراجع العربية الخاصة بالعلوم السيكولوجية » [٢] .

وليس هذا البحث محاولة لوصف لغة طفل مصرى مثلا أو لتدوين ملاحظات عن لغة مجموعة من الأطفال الذين يتكلمون لغة واحدة ولكنه أشبه بالعرض لطائفة من أهم النتائج التى وصل إليها جمهرة من درسوا لغة الطفل على اختلاف مذاهبهم ومناهجهم، ولطائفة من أبرز الآراء التى ذهبوا إليها مع محاولة الاختيار منها . فقيمة الكتاب — وليس هذا بالأمر الهين — أنه يقدم إلى قراء العربية تعريفا — من وجهة نظر صاحبه — بما وصلت إليه دراسة لغة الطفل عند جماعة من الغربيين . ولذلك فالكتاب يصلح أن يكون دافعا ومدخلا إلى دراسة لغة الطفل ، ونرجو أن يتبع هذا العمل أعمال أخرى بالعربية تحاول أن تدرس لغة الطفل ، أو جوانب من لغته ، على أسس لغوية . وهذه الدراسات يحتاج القائمون بها إلى التزود بثقافة

---

(١) ص ١٦٧

(٢) ص ٣ مقدمة

لغوية حديثة ، ولا يفى بالقيام بها التزود بنظريات علم النفس على اختلافها ، انهم يحتاجون إلى دراسة علم اللغة العام ليكونوا فكرة صحيحة عن ماهية اللغة ، وعن طرائق دراستها ، وعن وسائل هذه الدراسة . وهم يحتاجون على وجه الخصوص إلى إتقان علم الأصوات اللغوية نظراً وعملا فمن الضرورى أن تقوم دراسة لغة الطفل منذ البداية على وصف صوتى دقيق .

(٣) أما ما كتبه بعض علماء اللغة عن لغة الطفل على أسس لغوية فلا يبلغ أن يكون دراسة كاملة ، إنما هو تحديد للطرق المؤدية إلى هذه الدراسة ، وتدوين لطوائف من الملاحظات ، وتنبيه إلى ما في هذه الملاحظات من ثغرات : إن ما صنعوه هو محاولة لتفهم المشكلة ، وبيان لأهميتها ، ودعوة عملية إلى بحثها أكثر من أن يكون حلا لها كاملا أو أشبه بالكامل .

ب — ونأخذ الآن فى عرض مجمل لبعض الملاحظات الهامة التى توصل اليها طائفة من اللغويين فيما يتعلق بلغة الطفل .

(١) يرى جماعة من علماء اللغة المحدثين — ومنهم الأستاذ فيرث(٢) — أن تتبع النمو اللغوى للطفل يجدر أن يكون مرتبطا بالتجارب الهامة التى تمر بها حياة الطفل ، وهذه التجارب الهامة ، فى رأى الأستاذ فيرث ، هى :

---

(١) عقدنا بابا للتعريف بهذا العلم ومناهجه ووسائله فى كتابنا علم اللغة : مقدمة للقارىء العربى ص ٨٩ — ٢٢٠ .

(٢) J.R. Firth فى محاضراته فى علم اللغة العام بمعهد الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن ، وقد استمعت إليها من ١٩٤٨ — ١٩٥١ م .



١ – المرحلة الأولى ، مرحلة المهد [١] . وهى منذ ولادة الطفل إلى ما قبل استطاعته الجلوس .

٢ – مرحلة الجلوس [٢] ، وفى هذه المرحلة يكون بدء الكلام [٣] ، واللعب بالدمى وما إليها .

٣ – مرحلة الحبو [٤] ، وفى هذه المرحلة يتسع عالم الطفل شيئاً ما ، لأن الحبو ينقله إلى أبعد من مجلسه .

٤ – مرحلة السير بمساعدة [٥] ، وفى هذه المرحلة ينتقل الطفل إلى عالم أرحب .

٥ – مرحلة سير الطفل وحده [٦] فى الأماكن القريبه من المنزل .

٦ – مرحلة السير خارج المنزل [٧] ، وفى هذه المرحلة يستشعر الطفل حرية لا يجدها فى المرحلة التالية .

٧ – مرحلة الذهاب إلى المدرسة ، وهذا فى المجتمعات التى يكون بها « مدارس » ، أو مرحلة التربية الخاصة التى يتلقاها الطفل من بيئته لتأهيله لنوع من العمل فى المجتمعات التى ليس بها « مدارس » . وهذه المرحلة من أهم المراحل بالنسبة للغة .

---

(١) Nursery

(٢) The Sitting Up

(٣) Speech

(٤) Crawling About

(٥) Walking with Help

(٦) Walking alone

(٧) Walking Outside

(٢) هذا ترتيب مقترح لسير « الدراسة » ، ولكن الترتيب الذى تسير عليه «الدراسة» شىء يختلف عن الترتيب الذى تقرر فيه نتائجها . ومن ثم فاننا ، فى عرض الملاحظات الخاصة بلغة الطفل ، سنتبع التقسيم الثلاثى الذى ارتضاه العالم الدانمركى الكبير « أوتو يسبرسن »[١] وهو أن النمو اللغوى للطفل يستغرق ثلاث مراحل هى :

١ - مرحلة الصياح[٢]

٢ - مرحلة البأبأة[٣]

٣ - مرحلة « الكلام » أو : التكلم[٤] » التى تنقسم إلى فترتين (ا) فترة « اللغة الصغيرة »[٥] ، أى اللغة الخاصة بالطفل ، وفى هذه الفترة يكون الطفل من الوجهة اللغوية «متفردا» ، (ب) وفترة اللغة المشتركة[٦] ، أو لغة الجماعة، وفى هذه الفترة يأخذ خضوع الطفل للمجتمع وتأثره به فى الازدياد شيئا فشيئا .

والآن نشرع فى التعريف بالخصائص العامة للغة الطفل فى كل مرحلة من هذه المراحل الثلاث .

---

(١) Otto Jespersen: Language, Its Nature, Development and Origin P. 103

(٢) Screaming Time

(٣) Babbling time, Cooing time, Crowing time

(٤) Talking time

(٥) Little Language

(٦) Common Language

١ — مرحله الصياح [١]:

وهذه المرحلة تمتد من مولد الطفل إلى حوالى الاسبوع الثالث من عمره وقد تستمر إلى الأسبوع السابع أو الثامن .

إن الطفل يقابل العالم ساعة يولد بصراخ وصياح ، ولكن هذا الصراخ الصادر عن « جهازه الصوتى » ليس « كلاما » [٢] ، ليس من كلام جماعته ، ولا هو من كلام أى جماعة تتكلم بلغة أخرى غير لغة جماعته . وهــذا الصراخ لايدل وحده على أن الطفل لو قطع عن المجتمع كل القطع فسينطق يوما ما بكلام جماعته ، أو بكلام أى جماعة غيرها . ذلك لأن الطفــل لايلهم لغة جماعته ، إلهاما ، ولا هو يبتكر النطق بهــا ، أو بسواها ، ابتكارا ، ولكنه يمــر ، وهو فى مجتمع ما ، بمراحل طويلة وشاقة حتى يستطيع أن يتفاهم مع من حوله بلغتهم ، يمر بمراحل أولها هذه المرحلة، مرحلة الصياح.

إن الصيحات التى تصدر عن الأطفال فى هذه المرحلة صيحات « عامة » تكاد تكون واحدة عند جميع الأطفال . وعلى الرغم من أن الصياح ليس « كلاما » ، وليس الأصل فيه أن الطفــل يريد أن « ينقل » شيئا ما إلى غيره ، إلا أنه بالنسبة لمن حول الطفل من الكبار ، يحدث شيئا مما يحدثه الكلام. فهم « يقرأون » فيه شيئا ما ، ويهرعون إلى الطفل عند سماعهم صياحه لإزالة ما به من ضيق . وإنه ليأتي وقت يلاحظ فيه الطفل أنه عنــدما يصيح فان شخصا ما يهرع إليــه ويرضيه بشيء ما ، ولو كان هذا الإرضاء بمصاحبته إياه ليس غير .

وعندما يدرك الطفل هذا فانه يستعمل الصياح استعمالا إراديا عنــدما

---

(١) انظر يسبرسن : المرجع السابق pp. 103—104

(٢) Speech

يقع فى ضيق، أو عندما يريد شيئا ما . وهكذا تغدو الصيحة «عملا إراديا» [١] بعد أن كانت فى أول أمرها «عملا انعكاسيا [٢]» .

ولكن للصياح فائدة أخرى غير هذه ، هى فائدة فسيولوجية فهو تدريب لجميع العضلات والأعضاء التى سيستعملها الطفل ، فيما بعد فى البأبأة ، والكلام والغناء . وتقول بعض المربيات، وقد يكون فى كلامهن معنى ما ، إن الطفل الذى يكون أعلى صياحا يصبح عندما يكبر خيراً من سواه غناء .

٢ — مرحلة البأبأة :

لا تبدأ هذه المرحلة قبل الأسبوع الثالث من حياة الطفل : وقد لا تبدأ قبل أسبوعه السابع أو الثامن ، وهى تمتد إلى حوالى نهاية السنة الأولى من عمر الطفل .

تصدر عن الطفل فى هذه المرحلة أصوات، ومجموعات من الأصوات مثل ، ا ، امْ ، بَبَ ، تَتَ ، دُدُ الخ [٤] . ولا شك أن هذه الأصوات ألطف مما كان يصدر عنه فى مرحلة الصياح ، وأشد ملاءمة لأغراض الكلام . والأصوات ، أو مجموعات الأصوات ، التى تصدر عن الطفل فى هذه المرحلة، لا معنى لها .

١ — والأصوات التى تصدر عن الطفل فى اوائل هذه المرحلة لا ينطقها قاصدا او مقلدا للاصوات التى يسمعها ممن حوله ، انها نشاط عضلى خالص

---

(١) Voluntary Action

(٢) Reflex Action

(٣) انظر يسبرسن: المرجع السابق pp. 104-105

(٤) aa , am , baba , tata; dodo. etc.

وبسيط كتحريكه أصابعه ، أو يديه ، أو ذراعيه ، أو رجليه . والطفل يجد من اللذة فى إصدار هذه الأصوات ما يجده من لذة فى تحـــريك تلك العضلات الأخرى . والدليل على ذلك أن الأطفال « الصم البكم » [1] تصدر عنهم أشباه هذه الأصوات وهم بطبيعة الحال لا يسمعونها ، ولا يسمعون كلام من حولهم ليقلدوه ولكن إذا كانت حركات أعضاء النطق عنـد الطفل لا تحكّم فيها . ولا سيطرة عليها أول الأمر فانها تأخذ شيئاً فشيئاً فى أن تصبح أشد انتظاما ، فيعرف الطفل الصوت الذى يريد أن ينطقه ، ويكون فى وضع يمكّنه من أن ينطقه بالضبط .

٢ . وإذا كان الطفـل فى أوائل هذه المرحلة ينطق أصواته غير قاصد ، وغير مقلد لأنه لا يسمع ، فانه يصل إلى وقت تقوى فيه حاسة سمعه، ويجد متعة أى متعة فى سماع الاصوات التى يخرجها هو نفسه . ثم تحدث خطوة بالغة الأهمية عندما يأخذ الطفل فى سماع مشابهة بين الاصوات التى تنطقها امه او مربيته وبين تلك التى ينطقها هو نفسه . إن الأم عندما تسمع طفلها يخرج صـــوتا أو مقطعا [2] فانها تقبل عليه مسرورة مكرورة ما أخرجه من صوت أو مقطع وعندما يدرك الطفل الشبه أو المماثلة بين ما ينطقه هو نفسـه وبين ما تردده أمه فانه يقع على منبع من المتعة لا يغيض . وهو يصل بعد ذلك إلى المرحلة التالية ، عندما يحاول هو نفسه أن يقلد ما يقال له (وهـــذا يكون عادة حوالى نهاية السنة الأولى) .

إن الطفل فى حوالى نهـاية فترة البأبأة يكون قد تمكن من نطق عدد

---

(١) Deaf-Mutes

(٢) Syllable

كبير من الأصوات . وهو فى هذا الوقت يحب أن يكوّن سلاسل طويلة من مقطع واحد مثل تَتَتَتَتَتَ . . . ، وَ وَ وَ وَ وَ . . . ، و نِـنِـنِـنِـنِ و دُ دُ دُ دُ دُ . . . إلخ (١) .

٣ — ولقد حاول بعض من عنوا بتتبع لغة الطفل ترتيب **الأصوات المختلفة التى ينطق بها الطفل فى هذه المرحلة ، وفيما يليها ، ترتيبا زمنيا ، ولكنهم لم يتفقوا فى هذا الشأن** فى جميع التفصيلات . والشائع أن أول ماينطقه الطفل من الأصوات ، صوائت مفردة (٢) ، أو «صوائت» يسبق كلا منها «صامت» (٣) واحد وذلك مثل لَ ، رَ ، تَ الخ (٤) وإن الأصوات الأولية التى ينطقها الطفل ، إن كنا نمثلها بالرموز الكتابية التى نمثل بها بعض أصواتنا ، فهذا من باب

---

(١) tatatatata ..., wewewewewe... , nenenenene, dododododo, etc.

(٢) Single Vowels

(٣) Consonant

تقسم أصوات أي لغة إلى قسمين أساسيين هما :

(١) « الأصوات الصائتة » أو « الصوائت » وهى التى تسمى بالإنجليزية Vowels ، وبالفرنسية Voyelles ، وأكثر المؤلفين والمترجمين العرب يشيرون إليها بلفظ « الحركات » . «والصوائت» العربية الفصحى الأساسية هى ما يعرف بـ « الحركات » الثلاث الفتحة والكسرة والضمة ، و « حروف المد واللين » مثل ألف « لا » ، و واو « ذو » ، وياء « فى » .

(٢) و « الأصوات الصامتة » أو « الصوامت » وهى التى يدل عليها بالإنجليزية بكلمة Consonants وبالفرنسية بكلمة Consonnes وأكثر المؤلفين والمترجمين العرب يدلون عليها بلفظ « الساكنة » أو « السواكن » و « الصوامت العربية » هى جميع الأصوات العربية ما عدا الفتحة والكسرة والضمة « وحروف المد واللين » بالمعنى الذى شرحناه .

(انظر مناقشتنا لترجمة Vowels و Consonants فى كتابنا « علم اللغة . . . » هامش ص ٢٦ — ٣٢ وانظر التعريف بكلا هذين القسمين من الأصوات فى نفس الكتاب ص ١٦٠ — ١٦٥)

(٤) la, re, to etc.

التجوز ، فانها ليست فى الحقيقة دى نفسها : فما نمثله من أصوات الطفل بـ «ل» و «ر» الخ ليس مطابقا لما نمثله من أصواتنا بهذه الرموز . ويتفق دارسو لغة الطفل على أن « الصوامت الشفوية [1] » التى يرمز إليها بـ P,b,m (ب،ب،م) من الصوامت الأولى التى ينطقها الطفل ، إن لم تكن أولها على الإطلاق .

ولقد فسر هذا بأن الطفل يستطيع أن يرى تحرك شفتى أمه وهى تنطق هذه الأصوات ، وهكذا يقلد حركاتها . ولكن «يسبرسن» يرى أن هذا التفسير يتضمن أن الطفل يقوم بدرجة كبيرة من التفكير الواعى ، هذا الطفل الذى ينطق «مَ» أو «مُ» قبل أن يأخذ فى تقليد أى شىء يقوله لهمن حوله. ثم إنه قد قيل إن انتباه الطفل لايكاد يتجه إلى فم أمه بل هو مركز دائما على عينيها . إن الأرجح فى رأى «يسبرسن» أن السبب الحقيقى فى هذا هو أن العضلات الشفوية المستخدمة فى نطق بَ أو مُ هى نفس العضلات التى دربها الطفل فى الرضاعة من ندى أمه أو من زجاجة . وإنه لمن المهم فى هذا الشأن أن نعرف الصوامت الأولى التى ينطقها الأطفال العميان أهى «الصوامت الشفوية» أم غيرها [2].

٤ . ومما يلاحظ أن الطفل فى مرحلة البأباة قد تصدر عنه اصوات ليست من جملة الاصوات التى تتكون منها لغة الجماعة التى سيستعملها يوما ما. فالطفل المصرى مثلا قد تصدر عنه فى هذه المرحلة أصوات لايسمعها ممن حوله ، وذلك كالأصوات التى يرمز إليها كتابة بـ P,V ، وقد تصدر عنه أمثال

(١) Labial Consonants

(٢) يسبرسن : المرجع السابق P.105

هذه الأصوات فى أوائل مرحلة البأبأة حين لايكون ثمة قصد إلى إحداث أصوات معينة ، أو إلى تقليد أصوات معينة .إن الذى يحدث أن الطفل يحرك أعضاء نطقه تحريكا متحرراً فيحدث أنها أحيانا تتخذ الأوضاع الخاصة بنطق هذه الأصوات فاذا بها تصدر عنه . وقد يحدث أن طفلا ممن كانت تصدر عنهـــم فى مرحلة البأبأة ، أو بعدها ، أصوات ليست من جملة الأصوات الرئيسية للغة الجمـاعة التى سيتكلم بها يوما ما ، يجد صعوبة فى تكوين هذه الأصوات نفسها فيما بعد عندما يكون قد تعلم لغة جماعته وأخذ فى تعلم لغة أجنبية تستعمل هذه الأصوات . ومرجع ذلك إلى أن الطفل فى مرحلة البأبأة ، وفى أوائل مرحلة الكلام ، ينطق عددا من الأصوات أكبر مما تستعمله اللغة التى عليه أن يتعلمها . ولكن تعلمه الطويل لهذه اللغة بما فيه من كثرة سماع أذنه لأصوات محدودة ، ومن تقليده لهذه الأصوات ، ومن تصحيح الكبار للأصوات التى ينطق بها حتى تتفق مع أصوات لغتهم أو تقرب منها . . الخ ينتج عنه أن تمرن أذنه على سماع أصوات خاصة ، وتمرن أعضاء نطقه على إحداث أصوات معينة ، فاذا أراد أن ينطق أصواتاً أجنبية عن تلك التى بذل مجهوداً شاقا لتعلمها فان أعضاء نطقه لاتكون له طيعة سلسة.

٣ — مرحلة الكلام : (١)

تبدأ هذه المرحلة من حوالى نهاية السنة الأولى من عمر الطفل وتمتـد سنوات طويلة . ولما كانت هذه المرحلة طويلة وتشتمل على فترات متغايرة متمايزة ، فقد رأى الأستاذ « يسپرسن » أن يقسمها إلى فترتين : ١ . فترة

---

(١) انظر يسپرسن : المرجع السابق pp. 106—107

اللغة الصغيرة و ٢ . فترة اللغة المشتركة . والحق أن هذا التقسيم هو أيسر ما يمكن أن يكون لتقريب نتائج الملاحظة والدراسة ، ولكن الواقع أن الطفل فى تعلمه الكلام يمر فى كل فترة من هاتين بظروف كثيرة متغايرة قد يعتبر بعضها فترات مستقلة متمايزة .

١ . فترة اللغة الصغيرة :

والمقصود باللغة الصغيرة اللغة التى يُحدثها الطفل لنفسه بتقليده تقليدا غير مُحكم كلامَ من حوله من الكبار . والطفل فى هذه الفترة « متفرد » [١] شيئا ما من الناحية اللغوية . فالكلام الذى ينطق به يبعد بعدا بينا من « الأصل » الذى يحاول أن يقلده . وكثير مما ينطقه فى هذه الفترة لا يكون مفهوما إلا فى نطاق بيئته الضيقة : أمه ، وأبيه ، وإخوته ، ومن إليهم ممن يعيشون معه . وبديهى أن الأم ، أو من يقوم مقامها ، هى خير من يفهم كلامه ، أما غير من حوله من صغار وكبار فقد يفوتهم كثير من معانى ما ينطقه . إن كلام الطفل فى هذه المرحلة يبدو تعسفيا حتى إنه لتمكن مقارنته برسوم الطفل الأولى للرجال والحيوان (فقد يقول أحد الأطفال المصريين « مَـ » بدلا من « مَـيّـة » ، و « آيـة » بدلا من « كُبْايَـة » ، و « كْـ » بدلا من « إكرام » ، و « بِـ » بدلا من « عيش » . . . الخ) .

٢ . فترة اللغة المشتركة :

يأخذ الطفل شيئا فشيئا فى التخلص من خواص لغته الصغيرة الفردية

---

(١) Individualist

إلى أن يصبح كلامه أشد انتظاما، وأقرب إلى كلام الكبار، وأوضح عند من يحيطون به وعند الغرباء جميعا. ويستغرق الأمر زمنا طويلا حتى يصير كلام الطفل «مثل» كلام الكبار، أى حتى يتقن الطفل الكلام باللغة التى تتكلم بها جماعته.

١ً في أوائل هذه المرحلة يكون كلام الطفل أشد انتظاما، وإن كان الطفل «يحرّف» كثيرا من الكلمات العادية. ولكن العالم اللغوى يستطيع فى حالات كثيرة أن يكشف عن أسباب تحريفه للكلمات. وللطفل فى هذه الفترة «قوانينه» الصوتية الخاصة. وقد يحوج الأمر إلى عالم فى الأصوات اللغوية لفهم القوانين الصوتية الفردية لطفل من الأطفال.

٢ً ويلاحظ أن الطفل فى أوقات من هذه المرحلة (فى أوائلها خاصة) يجد صعوبة فى نطق بعض الاصوات عندما تكون جزءا من مجموعة، أو مجموعات من الاصوات، بينما هو قادر على نطقها مفردة، او على نطقها عندما تقع فى مجموعة او مجموعات صوتية اخرى. كما انه يستطيع عادة ان ينطق سلسلة طويلة متتابعة من المقاطع، وهو يفضل «الكلمات المكونة من مقطع واحد»[١]

٣ً وكثيرا ما ينطق الأطفال جزءا واحدا من الكلمة، وهو غالبا ما يكون المقطع الأخير أو المقطعين الأخيرين أو المقاطع الأخيرة منها، وهذا يسمى بـ «الاختصار» أو «القطع»[٢].

٤ً ومن المشاهد أن لغة الأطفال يكثر فيها «التضعيفات»[٣]، وليس

---

(١) Monosyllables

(٢) Mutilation

(٣) Reduplications

المقصود بهذا تلك « التضعيفات » الموجودة بطبيعتها فى لغة الكبار ، بل تلك التى تكون من صنع الطفل نفسه ، فكثيرا ما يكوّن الأطفال كلمات من تلك التى يسمعونها ممن حولهم بأن يكرروا مقطعا واحدا من مقاطعها، ومن هذا أن بعض الأطفال الإنجليز يقولون «بيپ» بدلا من « پنسل » ، و « كَكَ » بدلا من « كرّى » [١] ، كما أن بعض الأطفال يكررون كلمات كاملة ، وذلك مثل « كِنْجْ كِنْجْ » و « رِنْجْ رِنْجْ » [٢] بين الأطفال الإنجليز . وربما كان المرجع فى كثرة « التضعيفات » فى لغة الأطفال هو اللذة التى يستشعرها الطفل فى تكرار نفس الفعل العضوى حتى يصيبه الكلال [٣] .

٥ - ومما يلاحظ أن الطفل يكون قادرا على ادراك نغم الكلام الذى يسمعه قبل أن يفهم كلمة واحدة مما يقال له أو على مسمع منه بزمان طويل : فهو فى هذه المرحلة يستطيع أن يميز الكلام الذى يوجه إليه بحب وعطف ، من ذلك الذى يوجه إليه بحدة وغضب ، فتنبسط أساريره ويهش لسماع الكلام الأول ، ويعبس ويجنح إلى البكاء عند سماعه الكلام الثانى ، وقد لوحظ أن كثيرا من الأطفال يستطيعون فى سن باكرة أن يدركوا « النغمة » [٤] الصحيحة التى يقال عليها شىء ما ، أو يُغَنَّى عليها شىء ما [٥] .

---

(١) 'Pepe' instead of 'Pencil' , 'Kaka' instead of 'Carry'

(٢) King-King , Ring-Ring (= bell)

(٣) انظر المرجع السابق p. 108

(٤) Tone

(٥) المرجع السابق pp.111-112

٦ وهذا الحديث عن إدراك الطفل لنغم الكلام ينقلنا إلى الحديث عن مسألة أخرى : إن الطفل لا يسمع اصوات اللغة مفردة، ولكنه يسمع كلمات وجملا سواء أكانت هذه الكلمات والجمل موجهة إليه أم لم تكن ، بأن كان الكبار يتحدثون فيما بينهم على مسمع منه . وهو لا يتعلم الجانب الصوتي، اى العنصر الخارجي ، للكلمات والجمل مستقلا عن معانيها المرتبطة بها، اى عن عنصرها الداخلى ذلك لأن الجانب الصوتي لأى كلمة ومعناها مرتبطان ارتباطا لا انفصال له بالنسبة للطفل ، كما هو الشأن بالنسبة للكبار كذلك[1].

٧ وإن الطفل يأخذ فى سن مبكرة فى ادراك ان للكلمات مدلولات ؛ بل إن فهم الطفل لمعانى الكلمات دائما ما يسبق قدرته على أن ينطق هو نفسه نفس الكلمات التى يفهم معناها . وغالباً ما يسبق هذا الفهم تلك القدرة بزمان طويل [2] ، فالطفل قبل أن يتمكن من نطق الكلمات يطلب منه مثلا أن يجلس فيجلس ، أو أن يقف فيقف ، أو أن يحضر شيئا فيحضره ، أو أن يترك شيئا فى يده فيتركه وهكذا .

وإن الكيفية التى يكتسب بها الطفل معانى الكلمات على جانب عظيم من التعقيد والصعوبة، فمن ذلك أن بعض الكلمات المختلفة معنى متفقة صوتا وهذا من شأنه أن يوقعه فى الحيرة . وإذا كان الطفل يستطيع أن يدرك الكلمات التى تدل على محسوسات يشار إليها وقد يستعملها ، مثل : لبن - كرسى - تفاحة الخ . فكيف يدرك معانى الكلمات التى تدل على أمور معنوية ؟ إن فهمه لهذه الأخيرة يتأخر، وغالبا ما يكون غامضا غير دقيق .

---

(١) المرجع السابق p. 113

(٢) المرجع السابق pp. 113-114

ثم إن من الكلمات ما يستعمل استعمالا مجازيا ، وإن الطفل ليتعثر فى إدراك هذه المعانى . ومما يصعب على الطفل إدراك معانى بعض الكلمات أن الكلمة قد يكون لها أكثر من معنى باختلاف بعض السياقات اللفظية التى تقع فيها ، أو باختلاف الظروف الخارجية المحيطة أو باختلاف النغمة التى تقال عليها ، أو لغير هذا[1]. ولكن مما يعين الطفل على اكتساب المعانى أنه طُلَعة إذ يأتى عليه وقت من الأوقات يكثر فيه من السؤال عما لا يعرفه وعن أسمائه فيظل يردد « ما هذا ؟ » أو « ما اسم هذا ؟ » .

كما أن الطفل يجد صعوبة كبيرة فى ادراك فكرة « الزمن » التى تدل عليها بعض الكلمات ، فيخلط بين « الصيف » و « الشتاء » ، و « الصباح » و « المساء » ، و «الشروق» و «والغروب» وبين « أمس » و « اليوم » و « غدا » ، ويخطىء فى استعمال «الأزمان الفعلية»[2] .

٨ - يتعلم الطفل آخر الأمر لغة جماعته ومما يعينه على ذلك قدرته الفائقة على التقليد ، وشدة تطلعة وما يجده من عناية من حوله من الكبار لاسيما الأم فالأم ، أو من يقوم مقامها ، تظل « تناغيه » وتكرر على مسمعه دون أن تمل ، الكلمات والجمل والعبارات والأغانى والأناشيد حتى عندما تعرف أنه لا يفهم عنها ، ولكنهما يجدان فى ذلك من المتعة ما يدعوهما إلى الاستغراق فيه ، وهكذا يسمع الطفل الكلمات والجمل مرات ومرات بطريقة محببة . والطفل يجد من تشجيع من حوله على محاولاته الكلامية

---

(١) انظر شيئاً من التفصيلات الخاصة بتحصيل الطفل لمعاني الصوتات ، ولمعانى الاستعمالات المجازية فيما كتبناه بعنوان « تحصيل المعاني » فى كتابنا « علم اللغة » ص ٢٩٧ — ٣٠١ .

(٢) Tenses

ما ييسر له الطريق . كما أن الطفل يتفسح امامه المجال لتصحيح اخطائه اللغوية في نطق الاصوات ، أو في صيغ الكلمات ،او في تركيب الجمل ، وفي مدلولات الكلمات فالأم والأب والإخوة والأخوات والأقارب والرفاق الكبار والخدم ، إن كان ثمة خدم ، لا يزالون يصححون له أخطاءه ، وإن كانوا أحيانا يعملون على استبقاء بعض أخطائه استملاحا واستطرافا ، أو لغير ذلك من الأسباب ، وقد يصحح الطفل بعض أخطائه نتيجة لإدراكه الخاص .

٩ — وللطفل قياسه اللغوى من النواحي الصوتية والنحوية والمعنوية فهو يقيس ما لم يسمع أو يدرك على ما سمع أو أدرك . وهذا القياس يعين الطفل من جانب على تعلم اللغة ، كما أنه من جانب آخر يوقعه في بعض الخطأ . إن الطفل في مراحله الأولى لا يتهيأ له سماع جميع مفردات اللغة ، وكل صيغها وتركيباتها ، أو قد لا يذكر جميع ما يسمع ، أو قد لا يحضره جميع ما يعرف وقتما يريد ، كما أنه لا يتيسر له إدراك معاني جميع المفردات . فمن قياس الطفل النحوى أنه قد يسمع مثلا مذكر كلمة ولا يسمع مؤنثها ، أو قد يعرف مفرد كلمة ولا يعرف مثناها أو جمعها . ولكنه يلحظ — إن كانت اللغة التي يتعلمها هي العامية المصرية — أن الكلمات المؤنثة التي يعرفها تختم بتاء تضاف إلى المذكر ، فاذا أراد نطق مؤنث « أخضر » قال « أخضرة » ، ومؤنث أحمر قال « أحمرة » بدلاً من « خضرة » و « حمرة » وهكذا . وهو من كثرة سماعه لأسماء دالة على الجمع تنتهي بـ « ين » يعمم هذه الطريقة عندما يريد جمع كلمات لا تجمع في المصرية بهذه الطريقة ، فيجمع « وَلَدْ » على « وَلَدين » مثلا وهكذا . وكثير من الأطفال المصريين يعممون طريقة النفي المستعملة في حال الأسماء على بعض

الأفعال التى لا تنفى بهذه الكيفية فيقولون « مش جه » بدلا من « ما جاش » وهكذا .

١٠ – إن لكل طفل لغته المميزة له، بل إن لكل فرد لغته طفلا كان أو صبيا أو شابا أو كهلا أو شيخا ، ذكراً كان أو أنثى فى كل حال من هذه الأحوال . وأخطاء كل طفل تختلف عن أخطاء غيره من الأطفال الذين ينتمون إلى جماعته الكلامية ، وإن كان ثمة أخطاء عامة يشتركون فيها جميعاً . والأطفال يتفاوتون فيما بينهم فى سرعة تلقيهم للغة ، وفى سرعة تصحيحهم لأخطائهم اللغوية ، كما يتفاوتون فى عدد المفردات التى يعرفها أو يستعملها كل منهم ، وهم كذلك يتفاوتون فى دقة الإبانة عما يريدون ، وفى مسائل أخرى غير هذا كله [١].

---

(١) انظر ما كتبه الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى عن « لغة الطفل ومراحلها ومبلغ تمثيلها لنشأة اللغة الإنسانية وتطورها » ص ٩٠ — ١١٢ الطبعة الثانية ١٩٤٤ من كتابه « علم اللغة » ؛ وما كتبه عن لغة الطفل فى كتابه « نشأة اللغة عند الإنسان والطفل وانظر ما كتبناه بعنوان « تحصيل المعنى » فى كتابنا « علم اللغة .. » ص ٢٩٧-٣٠١

— ٤ —

اللغة مميز فردى ومميز طبقى

١ ـ اللغة مميز فردى

(١) إن اللغة علامة مميزة للفرد . وأول ما يبدو من تمييزها هذا هو اختلاف « الأصوات » الطبيعية للأفراد ، هذا الاختلاف الذى يرجع إلى أسباب عضوية . نعم إن الصوت الطبيعى للانسان أو ما يعرف فى المصرية بـ « الحس » ، يميز جماعة الأطفال من جماعة الراشدين ، ويميز كلا من هاتين الجماعتين من طائفة الشيوخ ، كما أنه يميز ذكور كل جماعة من هذه من إناثها ، ولكن الأمر لا يقتصر على هذا النوع من التمييز بل إنه ليمتد حتى يميز كل فرد من سواه . وإن لـ « الصوت الطبيعى » بهذا الاعتبار وظيفة ، فنحن نميز الشخص بصوته ، نعرف أن فلانا هو فلان بسماعنا لصوته دون رؤية شخصه . فالصوت الطبيعى أو « الحس » بهذا الاعتبار يكاد يكون عضو الجسم ، فكما يتمايز الأفراد طولا وعرضا ، وسمنا ونحافة ، وبياضا وسمرة .. الخ . فهم يتمايزون صوتا (ـ حساً) . ولما لم يكن للفرد دخل فى هذه الخاصة إذ أنه ليس كاسبها . ولكنه ولد عليها (وقد يتخذ صوت فرد من الأفراد صفة غير تلك التى ولد عليها نتيجة مرض أو حادث . . الخ .) فكل منا على هذا الأساس يولد متفردا . وإن الأصوات الطبيعية للأفراد من العوامل التى تكيف المواقف التى نتخذها إزاءهم ، فقد يكون فى صوت من الأصوات ما يدعو الى السخرية والزراية ، وفى آخر ما يدعو إلى الإعجاب والإقبال ، وفى ثالث ما يدعو إلى النفور والابتعاد ، وفى غير هؤلاء ما يوجب التوقير والاحترام ، وهكذا . ومن وظائف الصوت الطبيعى أن سماعه ـ ولو لم يكن صاحبه يتوجه إلينا بالكلام ، بل

دون رؤيتنا لصاحبه ـ يدفعنا إلى نوع أو أنواع من السلوك : فالطفـــل يسمع صوتا من خارج البيت يعرف فيه صوت أبيه فيتهلل ويستطار ويصيح ويهرع إلى لقياه ، أو قد يصيبه شيء من خوف ، ويتكلف الجد إن كان أبوه شديد الوطأة عليه . وقد يسمع مرءوس صوتا قادما من خارج فيدرك فيه صوت رئيسه فيتصنع الانصراف إلى العمل مثلا . وقد يطرق سمعنا صوتٌ جميل لشخص حبيب فنتأهب خفافا للقياه مصلحين من شأن مظهرنا مثلا . وقد يسمع الجنـــدى صوتا يتكلم كلاماً لا يفهمه فيرى فيه عدوه فيسرع إلى سلاحه مستعدا للفتك به ، وينذر زملاءه بمقدم العدو . كل هذا وليس ثمة « تخاطب» ، أو « اتصال » ، أو قصد إلى الاتصال .

(٢) ومما يميز لغة فرد من فرد ما يكون لكل متكلم من « لوازم » لغوية . و « اللازمة » اللغوية قد تكون كيفية من نطق كلمة أو كلمات ؛ وقد تكون عبارة يكثر من ترددها ؛ وقد تكون كلمة أو جملة ينطق بها فى ظروف معينة ؛ وقد تكون لفظة أو ألفاظا لا يستعملها نظـــراؤه ويستعملها هو تعالما أو تباهيا أو تواضعا أو مريداً غير ذلك ؛ وقد تكون عيبا عضويا فى النطق كاللثغة أو الفأفأة أو التمتمة ؛ وقد تكون جمعا بين شيئين أو أكثر من هذا ؛ وقد تكون أمراً آخر يكفى سماعه أو ذكره لتحديد شخص القائل أو المتحدَّث عنه

إن « اللازمة » اللغوية علامة دالة على الفرد قد يغني ذكرها عن ذكر اسم صاحبها ، وهى أشبه بالسمة العضوية البارزة البادية كجحوظ العين ، أو ضخامة الأنف أو الغرابة فى شكل اليـد أو الإصبع . . الخ . ومن « اللوازم » اللغوية ما يثير الضحك على صاحبها ، ومنها ما يبعث على الضيق به ، ومنها ما ينشر جوامن الأنس إليه وهكذا، فللازمة اللغوية أثر فى تكييف العلاقة بيننا وبين صاحبها .

(٣) ذكرنا أن الفرد لا يأخذ لغة جماعته إلهاما، أو وحيا، أو تكرارا ولكنه يأخذها عن طريق التعلم الطويل الشاق فى سنوات طفولته الأولى؛ وهو لا يزال يضيف إلى لغته، ويعدل فيها إلى أن يموت. فمن الخطأ أن نتصور أن لغة الفرد تثبت على حال واحدة بعد انتهاء مرحلة الطفولة التى يصل عندها إلى القدرة على التفاهم مع الكبار باللغة العامة المشتركة.

ومما يبين أن لغة الفرد فى تغير دائم أن الفرد لا يحيط بجميع مفردات اللغة العامة فى سن معينة، بل إنه لا يزال يسمع ألفاظا جديدة يضيفها إلى ما يعرفه. فهو فى كل دور جديد من أدوار حياته، وفى كل تجربة من التجارب العامة التى يخضع لها يسمع ما لم يكن قد سمع. ولسنا فى حاجة إلى أن نذكر أنه فى كل حال من هذه الأحوال لا يسمع مفردات جديدة فحسب ولكنه يسمع كذلك تعبيرات جديدة، وطرائق من الكلام حديثة. إن الصبى فى المدرسة يتصل بزملاء له يختلفون عنه طبقة وسنا وتجربة فيسمع من أولاد من هم أغنى من ذويه كلمات وعبارات لا يعرفها، ويسمع من أولاد من هم أغنى من أهله كلمات وعبارات لم يكن له بها علم، بل إنه ليسمع من أولاد نظراء أهله — ولو كانوا مثله سنا — كلمات وعبارات لم يسبق له أن سمعها من أبيه أو أمه، أو من إخوته الكبار وسائر من اتصل بهم من قبل. هذا بطبيعة الحال بالإضافة إلى ما يسمعه من جديد الألفاظ المتعلقة بالدراسة ونظامها، وبالسلوك الذى يفرض عليه وما إلى ذلك. وعندما يتصل فرد بفرد من الجنس الآخر تتكشف له كلمات وعبارات جديدة، وطرائق من الحديث لم يكن له بها عهد. ومعروف أن المتزوجين من الرجال والنساء لا يزال كل منهم يسمع من قرينه مفردات وعبارات لم تكن من جهة

ما يعرفه وهكذا فلغـة الفرد الواحد فى زمن من الأزمان تختلف عن لغته فيما سبق هذا الزمان وفيما لحقه أو يلحقه .

* * * *

ب — وكما ان اللغة عـلامة فردية مميزة فهى كذلك عـلامة « طبقية » مميزة فى الجماعة الكلامية الواحدة تختلف لغة المتعلمين عن لغة الأميين ؛ والمتعلمون يختلفون لغة فيما بينهم باختلاف درجة تعلمهم ، وباختلاف مهنهم، وباختلاف درجة ثرائهم وبسوى ذلك من الأسباب . ولغة الصيادين تختلف عن لغة النجارين وعن لغة الحدادين . . الخ . وكل من هذه تختلف عن لغة طلبة المدارس مثلا أو عن لغة الموظفين الحكوميين الخ . ولغة المسيحيين فى جماعة كلامية ما تختلف عن لغة من يدينون بالإسلام أو اليهودية مثلا من أفراد نفس الجماعة الكلامية . هذا بالإضافة إلى مباينة لغة كل فرد من أفراد كل طائفة من هذه الطوائف للغة أى فرد آخر من أفراد الطائفة نفسها .

إن سماع فرد من الأفراد وهو يتكلم لـقَـاضٍ بمستواه العقلى، والمادى ، وبصفته الطائفية والمهنية .. الخ . وهكذا فاللغة قيـد من القيود ، أو هى أشبه ، مع شىء من الفارق ، ببصمات الأصابع ، أو بالزى .

(١) وإن تغيير الفرد للغته الفصحة عن وضع طبقى معين حتى تصبح مثيلة للغة طبقة أعلى أو أدنى ، أو للغـــة طائفة أخرى من طوائف نفس الجماعة الكلامية لأمر جد عسير ، وهو يحتاج إلى طول مران ، وتعلم شاق ، وحتى بعد هذا فقد تـنـد عن الفرد ألفاظ أو تعبيرات تدل على أنه دخيل على هذه الطبقة الجديدة لا أصيل فيها . وهذا يذكرنا بما صنعه « برنارد

شو » فى مسرحيته « بيجماليون »[١] : فالاستاذ « هيجنز[٢] » عالم الصوتيات اللغوية يلتقط بائعة الورد « اليزا دوليتل[٣] » . وهى فتاة فقيرة من أسرة متواضعة تتكلم اللغة اللندنية العامية ، ويتعهدها بالتعلم الصوتى واللغوى الشاق ، وبالتعويد على آداب السلوك الراقية ، حتى يصير حديثها كحديث سيدات الطبقة الأرستقراطية بلندن . ويقول « برنارد شو » فى مقدمة تأليفه هذا إنه يقرر ، تشجيعا لأولئك الأشخاص الذين يتحدثون لهجات تقطعهم عن كل مركز رفيع ، إن ذلك التحول الذى أحدثه « هيجنز » فى بائعة الورد لا هو بالمستحيل ، ولا هو بالأمر غير المألوف ، فكثير من ذوى الطموح من الرجال والنساء قد استطاعوا أن يكتسبوا « لهجة » جديدة راقية غير « لهجاتهم » الأصلية . وهو يقول إن كثيرا من العاملات والعمال بالمحلات الراقية بحى « وست إند » بلندن يتكلمون لغتين : لغتهم الأصلية التى تنم عن وضع اقتصادى واجتماعى فقير حقير ، وتلك اللغة التى اكتسبوها من مخالطتهم الطبقة الأرستقراطية ومن تشبههم بهم فى حديثهم والتى يستعملونها فى مخاطبة أفراد هذه الطبقة وفى أدائهم عملهم على وجه العموم . ولكنه يرى أن هذا التحول يجب أن يتم بطريقة علمية وإلا كانت الحالة التى ينتهى إليها الطامح إلى اكتساب « لهجة » جديدة أسوأ من حالته أول الأمر . وهو يحذر بائعات الورد اللائى يقرأن مسرحيته هذه أن يتخيلن أن فى استطاعتهن أن يصرن سيدات راقيات بالتقليد الذى لا معلم معه ، بل

---

(١) Bernard Shaw : Pygmalion; Penguin ed., 1949

(٢) Higgins.

(٣) Eliza Doolittle

عليهن أن يتعلمن « الأبجدية » من جديد ، وبطريقة مخالفة ، من عالم صوتى قدير [١] .

(٢) وهذا ينقلنا إلى لغة محدثى الثراء . فهؤلاء قوم ترفعهم الأموال التى انهالت عليهم فجاءة إلى مستوى مادى أعلى . وهم يستطيعون أن يقلدوا الطبقة الراقية فى مجتمعهم بالتشبه بهم فى ظاهر المسكن والمأكل والملبس ، وباتخاذ ما يتخذون من أدوات الزينة ومن وسائل التنقل .. الخ ، وقد يبالغون فى ذلك مبالغة تفضح حقيقتهم . ولكن إذا كان اتخاذهم هذه المظاهر المادية ممكنا يسيرا ، فانهم لا يستطيعون أن يتحدثوا حديثهم ، أو هم لايستطيعون أن يتحدثوا حديثهم بنفس السرعة التى يتخذون بها مسكنهم ومأكلهم وملبسهم و . . الخ . ومعروف أن محاولتهم التشبه بلهجة الطبقة الراقية الأصيلة كثيرا ما تجعل منهم مادة للهزء والسخرية .

إن وجود طرائق مختلفة من الحديث تميز طائفة من طائفة فى الجماعة التى تتكلم لغة مشتركة حقيقة معروفة ، وهى قائمة فى كل مجتمع ، ونحن نصنف الناس على أساس منها . والتغييرات التى تطرأ على أية لغة مشتركة حسب المستويات الاجتماعية يسمى كل منها لهجة طائفية او (لهجة طبقية) [٢] .

(٣) ومن ألوان اللهجات الطائفية الموجودة فى كل مجتمع تلك التى تسمى « اللهجة السرية » أو « الكلام السرى » [٣] والمقصود بها تلك اللغة التى تستعملها طائفة تخشى سلطة المجتمع ، وتهرب من عقابه ، وتحاول أن تخفى عنه أمرها ؛ وذلك كلغة اللصوص والنشالين ، ولغة رجال العصابات ،

---

(١) Pygmalion, pp. 9-10

(٢) Class Dialect

(٣) Secret Language, Underworld Speech.

ولغة الحشاشين ومن إليهم ممن يتعاطون مخدرات يحرمها مجتمعهم ، ولغة « القوادين » .. الخ . فالملاحظ أن كلا من هذه الطوائف وأشباهها تصطنع مفردات وتعبيرات لايعرف معناها من ليس منها أو من لم يتصل بهم ويكشف عنها . والذى تلجأ إليه هذه اللغة فى الأغلب أنها تعطى بعض الكلمات المستعملة فى اللغة المشتركة دلالات جديدة ، وتعتمد على الاستعمالات المجازية ؛ وقد تستعمل كلمات مأخوذة من لغات أجنبية محرفة أو غير محرفة، وقد تخترع بعض الكلمات والتعبيرات اختراعا . وهذه التغييرات التى تلحق اللغة تغييرات عامدة . وقد لوحظ أن فى « اللهجات السرية » المختلفة فى الجماعات التى تتكلم بلغات مختلفة قسطا مشتركا من المفردات والتعبيرات ، لاسيما فى البلاد الأوروبية والأمريكية . ومن أمثلة اللهجات السرية أن بعض الحشاشين فى الإسكندرية يستعملون كلمة « سكر » بدلا من «حشيش» .

وبعض اللصوص فى أمريكا يدلون على الجواهر [1] بكلمة «جليد» [2] ويدلون على الجواهر المسروقة بعبارة « الجليد الساخن » [3] .

---

(١) Jewels

(٢) Ice

(٣) Hot Ice

انظر فى هذا :

Margaret Schlauch: The Gift of Tongues, 3rd ed., 1949. p. 269

— ٥ —

اللغـة وأصحابها

ا — العلاقة بين «البنية اللغوية »١ والبنية الاجتماعية»٢

من المسائل الهامة التي يخوض فيها علم اللغة العام مسألة بنية اللغة ومدى تمثيلها للبنية الاجتماعية . معروف أن لكل لغة بنيتها الخاصة بها فهل هذه البنية تمثل تمثيلا صادقا البنية الاجتماعية للجماعة التي تتكلمها ، أو هل تمثل هذه البنية بدرجة معينة ؟ وإذا كانت تمثلها فكيف يكون هذا التمثيل ؟ ومعروف أن أية لغة من اللغات لاتظل ثابتة بل هي في تطور مستمر ، كما أن البنية الاجتماعية دائمة التطور ، ولكل نوع من هذين النوعين من التطور شروطه الخاصة به : فهل كل تطور في البنية الاجتماعية يقابله تطورٌ ما في البنية اللغوية ؟ أو بعبارة أخرى : ما القوانين التي تحكم العلاقات الضرورية بين البنية اللغوية والبنية الاجتماعية ؟

(١) كان انطون مييه [٣] من أوائل من وجهـوا اللغويين إلى الكشف عن هذه القوانين فلقد رسم في سنة ١٩٠٦ المنهج الآتي :

«إنه من الواجب أن نحدد مع أي بنية اجتماعية تتفق بنية لغوية معينة، كما أنه من الواجب أن نحدد كيف تتمثل تغيراتُ البنية الاجتماعية ، بطريقة عامة ، في تغيرات في البنية اللغوية .»

---

(١) Linguistic Structure

(٢) Social Structure

(٣) Antoine Meillet

Il faudra déterminer à quelle structure sociale répond une structure linguistique donnée et comment, d'une manière générale, les changements de structure sociale se traduisent par des changements de structure linguistique.

ولقد أتى «ميه» نفسه بمثال يوضح فى رأيه العلاقة بين هذين النوعين من البنية فقال : إن اللغة الهندو أوروبية كان تصريفها [١] يصطنع « مورفيمات» [٢] كثيرة جدا يمثل كل منها مجموعة من الخصائص ، وكانت تعطى الكلمة استقلالا ذاتيا كبيرا فى العبارة ؛ وذلك لأنها كانت لغة عقلية متفردة ، وهذه الصفة ذات علاقة بالبنية الاجتماعية للأمة الهندوأوروبية التى كانت جملة جماعات صغيرة كل منها على درجة كبيرة من التحرر عن سائرها [٣] .

(٢) أما ف. بروندال [٤] فقد أقام علاقة بين وجود « الحروف » [٥] وبين تقدم المدنية ، فقرر أن « كل شىء يبين أن الحروف فى آسيا القديمة ، وفى إفريقيا الشمالية ، وفى أوروبا كذلك ، هى أداة منطقية [٦] لم تكتسب إلا

(١) Flexion

(٢) Morphémes

« المورفيم » يترجمه الأستاذ عبد الحميد الدواخلى والدكتور محمد القصاص بـ « دال النسبة » (الجمع : دوال النسبة) وذلك فى ترجمتها لكتاب « اللغة » تأليف ج. فندريس، ويترجمه الدكتور محمد مندور بـ « عامل الصيغة » (الجمع : عوامل الصيغة) .

انظر الخلاف فى ترجمة هذا المصطلح فى كتابنا « علم اللغة » ص ٣٢ ـ ٣٤ ، وانظر تعريفه وأقسامه فى نفس الكتاب ص ٢٣٤ ـ ٢٤٥ ، ص ٢٥٠

(٣) Jean Perrot : La Linguistique, (Que sais-je Paris) p. 126

(٤) V. Brondal

(٥) Prépositions

(٦) Instrument Logique

فى مرحلة من مراحل المدنية حديثة نسبيا . »[1]

(٣) وكثيرا ما نسب اللغويون وجود الاقسام الاسمية[2] إلى عقلية « بدائية » ولكن الأبحاث الحديثة التى قام بها ل . هومبورجر[3] تدعو إلى إعادة النظر فى هذه المسألة التى يبدو أنه قد أسىء فهم طبيعتها الحقيقية ولو فى حالة لغات «البانتو»[4] على الأقل .

(٤) وفى رأى كثير من اللغويين أن من الميول العامة المرتبطة بتقدم المدنيات الميل إلى التخلص من « المثنى » — وهو عـــدد « حسى[5] » — من اللغات التى كان موجودا فيها حتى لا يقوم إلا التقابل بين المفرد والجمع ، وهو تقابل ذو طبيعة أشد تجردا ، كما أن من هذه الميول الميل إلى تقليب زمن الفعل على هيئته للوفاء بحاجات المجتمعات فى تطورها[6] .

(٥) إن هذه الأمثلة وسواها مما قدمه اللغويون إثباتا لوجود علاقة بين البنية اللغوية والبنية الاجتماعية ، قد تكون قاصرة ، أو متعسفة ، أو لم تؤد إليها مقدمات علمية يقينية ، ذلك لأن البحث فى العـــلاقة بين هاتين البنيتين لا يزال فى أوائله ، وهو بطبيعته محوج إلى فضل استقصاء ، وزيادة احتراز ، وإن النتـائج المرضية التى توصل اليها اللغويون فى هـذا

---

(١) المرجع السابق

(٢) Classes Nominales

(٣) L. Homburger

(٤) Les Langues Bantoues

(٥) Concret

(٦) Jean Perrot : La Linguistique pp. 126-127

الشأن قليلة قلة بالغة . وأيا ما كان فلنا أن نقول مع جان بيرو [1] :

« من الثابت أن بنية أية لغة من اللغات ذات علاقة بعقلية المتكلمين بها ، وبنظمهم وبحضارتهم المادية . . . . وإن جانب العناصر الموروثة فى كل حالة من حالات اللغة لجد كثير . فالتغير الكامل فى مجتمع يصطنع لغة ما لا يستلزم بالضرورة تغيرا فى بنية هذه اللغة: فالمجتمع الروسى قد قلب أيما قلب فى القرن العشرين ، ولكن اللغة الروسية احتفظت ببنيتها القديمة . ولقد أدت مناقشة قامت فى الاتحاد السوفيتى فى سنة ١٩٥٠ واشترك فيها « ج . ستالين » إلى هذه النتيجة : إن اللغة لا يمكن اعتبارها فى مجموعها « بنية عليا [2] » يحددها فى مجموعها « البنية السفلى [3] » الاقتصادية والاجتماعية . »

ب — اللغة والجنس [4]

هل ثمة روابط ضرورية بين اللغة والجنس ؟ أى هل تمايز اللغات بتمايز الأجناس ، وهل التغيرات التى تطرأ على جنس من الأجناس لا بد أن يكون لها أثرها فى لغته ؟ هل نستطيع أن نستخلص من درسنا للغة ما أنها لغة جماعة مستطيلى الرءوس ، ومن درسنا لغيرها أنها لغة جماعة مستديرى الرءوس ؟ هل نستطيع الحكم بأن هذه اللغة لغة راقية طيعة قادرة على التعبير عن لطائف الفكر ودقائق الحس لأن أصحابها ناعمو

(١) Jean Perrot : La Linguistique p. 127

(٢) Superstructure

(٣) Infrastructure

(٤) انظر فندريس : اللغة (تعريب الدواخلى والقصاص) ٢٩٥ ـ ٢٩٨ أو
Margaret Schlauch ; The Gift of Tongues, pp. 283, 285

الشعر ، وبأن تلك متخلفة جامدة لا طاقة لها عـلى التعبير عن المعنويات والمجردات لأن أصحابها جعدو الشعر ؟ هل ثمة رابطة ضرورية بين الجنس وبين القدرة على إجادة لغة بعينها ؟ أتوجد علاقة بين المميزات الجنسية وبين قدرة الناس على التفكير بصورة خاصة ، وعلى التعبير عن تفكيرهم بطريقة معينة ؟ .

(١) لقد أغرى بعض اللغويين بايجاد روابط بين اللغة والجنس ، واستغلت بعض المذاهب السياسية التعصب للجنس والزهو بلغتـه واتخذتها ذريعة لفرض سلطانها على شعوب تنتمي في رأيها إلى أجناس أدنى من أجناس أصحاب هذه المذاهب ، ويتكلمون لغات أدنى من لغاتهم. فالعالم فرديك مولر مثلا قد أنشأ كتابه "Grundiss der Sprachw ssenchaft"[١] على أساس من هذه الفكرة ، فصنف اللغات طبقا للمميزات الإثنولوجية . فاستعرض لغات الشعوب الجعدة الشعر واحدة فواحدة ثم لغات الشعوب الناعمة الشعر .

(٢) ولقد نتج عن الدراسات اللغوية المقارنة ونظرية « العائلات اللغوية » أن رأى كثير من الغربيين لغويين ومفكرين وساسة ، أن اللغات الهندو أوروبية أسمى من سواها كالسامية والحامية ، وأن ما سمـوه « الجنس الهندو أوروبي » أو « الجنس الآري » أسمى الأجناس . والحق ، كما تقول مارجريت شلاوش أن ما لحق كلمة « آري »[٢] ، اوية) من اضطراب

(١) Friedrich Muller: Wien, 1876-1888

(٢) Aryan

ومن إساءة استعمال ليدعى المرء إلى التردد فى استعمال الكلمة ... فى المعنى الشائع لها وهو اللغات المنحدرة من « الإيرانية القديمة والهندية القديمة »[1].

(٣) وكثيراً ما كانت وسيلة تبرير البرامج السياسية التى تهدف إلى إخضاع الأقليات وقهرها ، اعتبار الجماعة الحاكمة أسمى جنسا من الجماعة المغلوبة على أمرها . وقد ذهب الألمان والطليان النازيون والفاشيون دفاعا عن تعصبهم السياسى إلى أن اللغات الهندوأوروبية على وجه العموم ، والألمانية والإيطالية على وجه الخصوص ، خير الأدوات الممكنة للفكر الإنسانى ، وإلى أن سائر اللغات جميعا يجب أن تخضع أمامها ، وأن تفسح لها الطريق . ومن ثم فقد رأوا أن من الحق ، بل من المرغوب فيه ، أن تشن الحروب على أولئك الذين اتفق أنهم يتكلمون لغات سامية أو حامية أو غيرها .

(٤) والحق أنه لاعلاقة ضرورية بين المميزات الجنسية كلون الشعر وتجعده أو تموجه أو نعومته ، ولون العينين وهيئتهما ، ولون البشرة ، وشكل الرأس والجمجمة ، وطول الجسم وهيئة العظام ، وما إلى ذلك ، وبين قدرة الناس على التفكير ، أو على تعلم لغة من اللغات ، أو بين اللغة على وجه الإطلاق وحتى إذا غضضنا النظر عن دلالة اختلاط الأجناس بعضها ببعض فانه كما قال اللغوى الأمريكى «هو يتى» : « لا ينبغى الخلط بين المميزات الجنسية المختلفة التى لا يمكن تحصيلها إلا بالدم وبين النظم من لغة ودين

---

(١) The Gift of Tongues; p. 235

وثقافة ،هذه التي تعد أحيانا قابلة للنقل، تعار وتتبادل.»[١] إن الأنثروبولوجيين عندما يعثرون على جماجم آدمية ترجع إلى عشرات الآلاف من السنين لا يستطيعون إلا القول بأن أصحاب تلك الجماجم كانوا «مستطيلي الرءوس»[٢] أو بأنهم كانوا «مستديري الرءوس»[٣]، وهم لا يستطيعون القول بأنهم كانوا يتكلمون دون شك لغة إعرابية متطرفة في إعرابها كما تقول «مارجريت شلاوش».

(٥) ومن الأدلة القريبة الحاكمة بفساد هذا الربط بين اللغة والجنس أن من اللغات ما يستفيض حتى يكون لغات جماعات تنتمي إلى أجناس مختلفة، وهذه الجماعات ـ على اختلافها في الجنس تجيدها ولا تأنس مشقة في تعلمها، وذلك شأن الإنجليزية والعربية مثلا . فمن الفتوح والهجرات ما نشر لغات الفاتحين والمهاجرين بين شعوب لا تربطهم بالمتكلمين الأصليين روابط بيولوجية . والزنجي الإفريقي الذي يربى منذ طفولته الباكرة في إنجلترا في ظروف واحدة مع الأطفال الإنجليز يتكلم الإنجليزية كما يتكلمها أبناؤها، وإذا ربي طفل إنجليزي في قبيلة زنجية إفريقية كما يربى أبناؤها تكلم لغتهم تكلمهم إياها، وما درى صوتا أو كلمة من الإنجليزية ما لم يتح له تعلمها كما يتعلمها أي أجنبي .

---

(١) فندريس : «اللغة» تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ص ٢٩٨ عن هويتني
D. Whitney: La vie du Langage; P. 231 (trad. de l'anglais), 3è édit., Paris 1880

(٢) Dolichocephalic (.... long - headed)

(٣) Brachycephalic (.... round - headed)

حـ ـ اللغات المتخلفة ١ :

(١) الحديث عن اللغة والجنس من الحديث عن « اللغات المتخلفة » بسبيل . فمن اللغويين من يصف بعض اللغات بالقصور فى هذا الجانب أو ذاك ، ولهذا السبب أو لسواه ، عن الوفاء بحاجات المدنية الحديثة ، ومن المشاركة فى أحداث العصر واتجاهاته وروحه ، وعن استيعاب العلم والفلسفة والفن . ومنهم من لا يقنع بهذا بل يتطرف فيرى أن أمثال هذه اللغات لن يقدر لها ، بطبيعة بنيتها ، أن تسمو إلى رتبة اللغات « الراقية » فتصلح لما تصلح له . نعم إن من المسلم به أن بعض اللغات فى أيامنا هذه بعيدة عن التيارات الكبرى للأحداث ، وأقل قدرة من سواها على مجاراة مدنية العصر القائمة على الصناعة والآلات : فقد تستعمل هذه اللغات مفردات لا تلائم حاجات العصر وروحه ، أو قد لا يكون فيها أسماء عامة بسيطة مثل « شجرة » أو « منزل » أو « خشب » ، هذه الأسماء العامة التى لا يتأتى بدونها تصور الشجرة العامة المجردة وما إليها ، وقد يكون « نظم » ٢ هذه اللغات فرط التدقيق بحيث لا يحتاج إلى هذا التدقيق ، وقد تستعمل تركيبات معقدة ومكررة ومعوقة للتعبير عن علاقة بسيطة ، ومن المسلم به كذلك أن « النظم » قد يؤدى إلى صورة خاصة فى التفكير وقد يؤثر فى طرق الاستدلال . قال فندريس : « إن اللغة تستطيع فى بعض الاحيان

---

(١) انظر Margaret Schlauch : The Gif of Tongues, pp.285-287

(٢) Syntax

انظر تعريف « النظم » ومنهج دراسته فى كتابنا « علم اللغة » ص٢٤٥ ـ ٢٥١ ، وانظر الصفحات ٨٣ ، ١٣٣ ، ٢٢٥

أن تعدل من العقلية وتنظمها ، فعادة وضع الفعل فى مكان بعينه دائما ، يمكن أن تؤدى إلى صورة خاصة فى التفكير وأن يكون لها أثر فى طرق الاستدلال . والتفكير الفرنسى أو الألمانى أو الإنجليزى خاضع للغة إلى حد ما . فإن اللغة إذا كانت مرنة خفيفة مقتصرة على الحد الأدنى من القواعد النحوية ، سمحت للفكرة بالظهور فى وضوح تام وأتاحت لها حرية الحركة . وعلى العكس من ذلك تختنق الفكرة من التضييق الذى يصيبها من لغة جامدة ثقيلة . ولكن عقلية المتكلمين تتصرف لتعتاد أى شكل من من أشكال اللغة [1] . »

(٢) ولكن القول بوجود لغات متخلفة شىء والقول بأن هذه اللغات لن يتاح لها أن تعبر عما قد تعبر عنه اللغات الراقية شىء آخر . فهذه اللغات على هذه الصفة لأنها مرت بظروف تاريخية خاصة ، ولكنها فى الوقت نفسه ليست « ثابتة » فهى كأية لغة « متحركة » متطورة ، إنها متغيرة والتغير الذى يصيبها دائم الحدوث وإن اختلف سرعة وطبيعة وعمقا وفق ما يصيب الجماعة التى تتكلمها من التغيرات الحضارية . إن ما ينقص هذه اللغات من مفردات من أيسر ما يمكن إضافته : ونظامها المعقد قد يبسط ، وبنية جملها قد تتغير مع مرور الأيام ، وما فى هذه اللغات من تمييزات كثيرة لا طائل من ورائها قد تطرح عند ما تنقطع الحاجة إليها ، والعجز عن التعبير عن المجردات يمكن التغلب عليه . إن اللغات « المتخلفة » قادرة ، عندما تواتيها الظروف المناسبة ، على التكيف السريع ، مصطنعة ما فى

---

(١) فندريس : « اللغة » ص ٢٠٢

مواردها نفسها من إمكانيات، لتفي بحاجات المدنية الحديثة، ولتنهض إلى تجريدات الفلسفة الأوروبية المعاصرة . ويحكي «فرانز بواس [1]» أن الطلبة الهنود الأمريكيين أمكن تعريفهم بالمثل العليا الأفلاطونية ولو أن لغتهم خالية من الأسماء العامة التي تستعمل دون « مغيّر » [2]، فقد كان من اليسير تعليمهم أن يعزلوا كلمة « بيت » من تعبيرات تعني « ذلك البيت هناك » ، أو « بيتي القائم هنا » أو « البيت المصنوع من الخشب » ، وما من شك في أن هذا شاق عليهم إذا ألفوا أن يكون لكل اسم « مغير » ، ولكنهم عندما عُوّدوا على أن يحسوا بالحاجة العقلية إلى الاسم « بيت » المجرد من « المغيِّر » فقد قبلوا الاستعمال ، وساعدوا بهذا على دفع لغتهم إلى الأمام [3] .

د — اللغة القومية

(١) إن الوظيفة التي تؤديها اللغة فيما يتعلق بالقومية وظيفة على جانب كبير من الأهمية. فكل أمة تعتز بلغتها، وتريد لها الحياة، وتبدو أهمية هذه الوظيفة في ألوان من الصراع الذي ينشب بين الأمم. فبعض الأمم المستعمرة تفرض على الأمم المحتلة أن تكون لغاتها - أي لغات الغاصبين - هي لغة التعليم في المدارس وهي اللغة الرسمية في المخاطبات الحكومية وفي المحاكم وفي سائر الأمور الرسمية . ومن أبرز الأمثلة على هذا ما حدث بعد الاستعمار الأوروبي الحديث من فرض الإيطالية في ليبيا ، والفرنسية في تونس ، والإنجليزية إلى حد ما في مصر . ولكن

---

(١) Franz Boas

(٢) Modifier

(٣) الفقرة (٢) عن Margaret Schlauch . The Gift...pp 286 - 287

يلاحظ أن هذه الأمم تحتفظ بلغتها القومية فى البيوت ، ومن أفرادها من يعمل على تعليم صغاره اللغة القومية الفصحى سرا كما كان الحال فى ليبيا أثناء الاستعمار الإيطالى. ومن الأمثلة الرائعة على هذا احتفاظ البولنديين بلغتهم البولندية لغة قومية بينما كانت بلادهم مقسمة على ثلاث امبراطوريات فى القرن الثامن عشر . وعندما تثور الأمم المحتلة التى فرض عليها المستعمرون لغاتهم مطالبة بالاستقلال السياسى يكون من أهم ما تطالب به استعمال لغاتها هى فى الأمور الرسمية وفى التعليم. إن العلاقة بين اللغة وبين اعتزاز الجماعة بقوميتها وتثبيت هذه القومية وإحيائها علاقة خطيرة الشأن ، حتى أنه لمن الممكن بعث لغة طال موتها ، فاسرائيل فى العصر الحاضر قد رأت أن من عوامل تجميع اليهود مختلفى الألسنة بعث اللغة العبرية.

(٢) ومن مظاهر اعتزاز الأمم بلغاتها القومية أن بعضها قد تتطرف وطنيته أحيانا فيتخذ مواقف عدائية نحو ما فى لغتها من كلمات دخيلة ، وقد تشتد هذه المواقف العدائية إذا نشب صراع بينها وبين أصحاب الكلام الدخيل سواء اتخذ هذا الصراع شكل الحرب ، أو التنافس الاقتصادى أو غير ذلك . وهذه المواقف العدائية تجاه الدخيل قد لا تقتصر على كرهه ، أو محاولة التقليل من استعماله ، بل لقـــد تمتد إلى التطهير الواعى للغة القومية منه . ومن أبرز الأمثلة على هذا ما حدث فى اللغة الألمانية فى القرن العشرين . فعند ما أثبتت الإمبراطورية الألمانية دورها فى الشئون الدولية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حدث تطهير منظم لكلمات فرنسية دخيلة كان الزمان قد طال على قبول الألمانية لها . فحلت كلمة Spielhaus الألمانية محل كلمة Theater و Fernsprecher محل كلمة

Telephon و Fahrkarte محل Billet وكلمة Abort محل Toilette إلى غير ذلك من الكلمات [١].

وربما كان الاعتزاز بالعربية التى «وسعت كتاب الله[٢]» هو الذى دفع كثيرا من المصريين أفرادا وهيئات فى أوائل القرن العشرين خاصة ، إلى النفور من الدخيل الأوروبى ، وإلى وضع كلمات عربية تحل محلها قدّر لبعضها أن يدور على الألسنة والأقلام ، وقدر لبعضها أن يموت .

(٣) ولكن من الأمم ما لا تتخذ هذا الموقف العدائى نحو ما فى لغتها من دخيل لأسباب خاصة بها ؛ وأقرب مثال على ذلك المتكلمون بالإنجليزية . وذلك لأن اللغة الإنجليزية بطبيعة تكونها وتطورها كثيرة الكلمات الدخيلة المستعارة من لغات كثيرة مختلفة قديمة ووسيطة وحديثة ، فاحساس المتكلمين بها نحو الإضافات الكثيرة التى تضاف إليها عن طريق الأخذ المباشر من لغات أخرى لا يعدو الغضب الرفيق .

---

(١) انظر Margaret Schlauch : The Gift of Tongues : pp. 282 283

(٢) قال حافظ إبراهيم شاعر النيل على لسان اللغة العربية :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات

— ٦ —

اللغة والحياة السياسية

إن استعمال اللغة فى جوانب النشاط السياسى المختلفة ـ والسياسة وجه من وجوه الحياة الاجتماعية ـ محوج إلى فضل دراسة من كلتا الناحيتين الوصفية والتاريخية ، ودراسة هذه الوظيفة من وظائف الكلام من شأنها أن توقفنا على حقائق عن اللغة لاتظهرها سواها من الوظائف ، أو هى لا تظهرها بنفس القوة والوضوح .

أ ـ ومن عناصر دراسة لغة السياسة ، دراسة **المصطلحات والتعبيرات التى يصطنعها كل نظام من الأنظمة السياسية** المختلفة دعاية لنفسه ، وتثبيتا لحكمه ، وفى تعامله مع نظام آخر يخالفه . فوسائل الإقناع الكلامية مثلا تختلف فى النظام الفاشستى الهتلرى أو الموسولينى عنها فى نظام ديمقراطى ، وهى تختلف فى هؤلاء جميعا عنها فى النظام الشيوعى أو « الاشتراكى » الروسى بوجه عام ، كما أنها فى النظام الأخير تختلف بعض الشىء زمن لينين عنها زمن ستالين وعنها بعد ستالين وعنها أيام « خروشوف » . ولكن هذه الوسائل ، على اختلافها باختلاف الأنظمة السياسية ، وعقليات الشعوب ، والوضع الحضارى للأمة التى يوجه إليها الكلام ، وبغير ذلك ، قد تشترك فى طائفة من السمات العامة .

ب ـ ومن ذلك دراسة **لغة الانتخاب** : فتدرس اللغة المستعملة فى الحملات الانتخابية تحريضاً على انتخاب مرشح وتنفيرا من انتخاب سواه ، مع بيان اختلافها باختلاف طبقة الناخبين ، واللغة المتصلة بالتقسيم الإدارى للدوائر الانتخابية ، وبإعطاء الأصوات و « فرزها » وإعلان نتيجة

الانتخاب : ولغة القوانين التي تصدرها الدولة فيما يتعلق بهذا الموضوع ، ولغة الصحف والمجلات والإذاعة في هذا الشأن ، وتعليقات الجماهير على كل ا. ابات ، وما سوى ذلك من جوانب استعمال الكلام الانتخابي كل هذا يدرس وصفيا وتاريخيا في اللغة الواحدة . ولو درس في العربية المستعملة في مصر منذ أول عهدها بالحياة الانتخابية حتى أيامنا لاتضح لنا كيف ماتت كلمات وحيت أخرى، وتبدلت دلالات ثالثة، ولظهر لنا كيف تغيرت وسائل الإقناع تمشيا مع ازدياد الوعي الانتخابي للجمهور المصري نتيجة لما خاضه من تجارب ، ولتقدمه الحضاري بوجه عام .

ب — ودراسة لغة المراسيم التي يصدرها رئيس الدولة في الشئون السياسية كتكليف وزارة بالحكم ، أو إقالة وزارة ، أو افتتاح البرلمان أو «مجلس الأمة» أو تأجيله أو تعطيله على جانب من الأهمية . ولو نظرنا مثلا في لغة مرسوم إقالة وزارة مصطفى النحاس (باشا) من الحكم سنة ١٩٣٧ ، وفي لغة مرسوم تكليف الوزارة التي وليته في الحكم ثم في لغة مرسوم تكليف مصطفى النحاس بالحكم مرة أخرى بعد ذلك، وربطنا كل ذلك بظروفه لظهر لنا كثير من الحقائق عن الوظيفة التي يمكن أن تؤديها اللغـــة . كما أن دراسة لغة «خطب العرش» تظهر لونا من ألوان استعمال اللغة في الميدان السياسي .

ج — وتحليـل المفردات والتعبيرات المستعملة في الحروب تمهيـدا لها وأثناءها ، وبعدها من شأنه أن يقدم لنا معلومات كثيرة عن حقيقة اللغة ووظيفتها . في الحرب العالمية الثانية اتخذت كلمة « الديمقراطية » لونا جديدا ، وتغيرت دلالة « الحلفاء » فبينما كانت تتضمن في نظر « الغربيين »

بغضا للروس لأنهم لم يكونوا « حلفاء » من قبل ، أصبحت أثناء الحرب الثانية تعنى – من جملة ما تعنيه – مشاركة الروس فى التخلص من عدو مشترك . كما أن عبارتى « العالم الحر » و « الأمم الحرة » كانتا أثناء الحرب تدلان على جملة الشعوب المعادية لألمانيا واليابان وإيطاليا ولكن بعد أن اشتدت « حرب الأعصاب » بين « الكتلة الشرقية » و « والكتلة الغربية » بعد انتهاء الحرب أخذت هاتان العبارتان تنطويان على المعاداة للكتلة الشرقية . كما أن الكلمات الإنجليزية المقابلة لـ « العرق » والـدم والدموع » التى وردت فى خطاب لـ « ونستون تشرشل » ، أثناء الحرب ترمز عند الإنجليز وعند كثير من حلفائهم إلى وجوب موالاة الجهود ، والدأب ، والصبر ، والتماسك لإحراز النصر .

هـ – وتذكّر لغة الحرب بلغة « السلام » والدعوة إليه ، والتحذير من من الانسياق إلى الحرب .

و – وإن تحليل «التغيرات الدلالية»(١) التى تصحب الثورات والانقلابات لأمر على جانب كبير من الأهمية والطرافة . فالحركات الثورية ، كالثورة الفرنسية ، والثورة الشيوعية ، والثورة المصرية سنة ١٩١٩ تنعكس فى اللغة قيمتها ومعنوياتها والدفع الذى تحدثه . ويبرز ذلك ، أظهر ما يبرز ، فى أنها تميت كثيرا من الكلم إذ تميت أو تريد أن تميت كثيرا من التقاليد والأفكار والعادات ، وفى أنها تحيى وتخلــق كثيرا من الكلم إذ كانت

(١) Samantic Shifts

بطبيعتها الثورية تحيى وتخلق وتريد أن تحيى وتخلق كثيرا من القيم وطرق الحياة وفهمها ، وفى أنها تغير دلالات كثير من الكلم إذ كانت بطبيعتها ملحقة التغيير فى كلا الميدانين الروحى والمادى .

(١) ولو درسنا أثر التاريخ الثورى لمصر الحديثة فى اللغة لاتضحت لنا حقائق كثيرة، فالثورة العرابية التى كانت تتضمن ، فى جملة ما تتضمنه ، إحياء القومية المصرية أضافت إلى كثير من الكلمات معانى الهزء والسخرية وإلى غيرها كـ « مصر » و « المصرى » و « والفلاح » و « الفلاحون » معانى الاعتزاز والفخار .

(٢) أما ثورة سنة ١٩١٩ فمن العبارات التى تذكر بها « الهلال مع الصليب » رمزا إلى الأخوة والتماسك بين المصريين مسلمين وأقباطا ، ودعوة إلى إحباط التدخل الأجنبى للتفريق بينهما ، ومن ذلك إشارة المسلمين إلى الأقباط بقولهم « إخواننا الأقباط » . ومما يلاحظ أن كثيرا من مواليد بعد الثورة قد سموا بـ « سعد زغلول » أو « سعد » وبـ « صفية » « أم المصريين » . وما من شك فى أن لغة الأغانى والأناشيد المصرية قد غيرها تغييرا كبيرا ثورة سنة ١٩١٩ ؛ وربما ساغ لنا القول بأن النشأة الحقيقية للأناشيد المصرية الوطنية مرتبطة بثورة ١٩١٩ . وقد غيرت هذه الثورة من أسلوب الصحافة خاصة ومن أسلوب التعبير الكتابى والكلامى عامة، فأخذ يخلص من كثير من الزخرف والزينة والقيود التى لا طائل من ورائها ، ويسلس ويستقيم ، فان ما أحدثته الثورة من تنشيط وتحريك وما رفعته عن الناس من خمول ، وما ألجأت إليه من سرعة فى الفعل قد

انعكس صداه في اللغة . وإن ما بين أيدينا من حقائق عن ثورة سنة ١٩١٩ يدل على أن أثرها في العاميات العربية وفي العربية الفصحى في مصر وفى سائر الأقطار العربية أثر خطير ينتظر من يكشف عنه فى تفصيله وجملته ، ومن يقومه التقويم الصحيح .

(٣) وأما ثورة الجيش المصري سنة ١٩٥٢ فلها كذلك ،شأن كل ثورة آثارها فى اللغة .

١ ـ فما أحدثته هذه الثورة من إلغاء الألقاب قد حكم بالموت على كثير من الكلمات والعبارات من لغة الكتابة بوجه خاص . فلم تعد تطلق على المصريين ألقـاب مثل « حضرة » و « أفندى » و « بك » و « باشا » ، و « صاحب العزة » و « صاحب السعادة » و « صاحب المعـــالى » و « صاحب الرفعة » و « صاحبـة العصمة » و « البرنس » و « الأمير » و « الأمـــيرة » و « سمو الأمير » و « سمو الأميرة » ، و « الملك » و « صاحب الجلالة » و « وجلالة الملك » و « الذات الملكية » و « الملكة » و « صاحبة الجلالة . . » و « الملـكة الوالدة . . . » الخ كما لم تعد تستعمل تصرفات كثير من هذه الكلمات والعبـارات في التأنيث والتثنيـة والخطاب والإشارة . وما من شك فى أن كثيرا من هذه الألقاب قد استمر فى لغة الأحاديث الخاصة بين طوائف من الناس : فكثير من الأحياء من أصحـاب هذه الألقاب ظلوا يخاطبون بألقابهم وبما يتصل بها من صفات إما لإصرارهم على أن يخاطبهم أتباعهم والمخالطون لهم بهذه الألقاب ، وإما تأدبا من المتكلمين خشية أن يشعروهم بأن منزلتهم قد عراها النقصان ، وإما

لمذين معا ، أو لغـــير ذلك من الأسباب . والروايات كثيرة على غضب كثير من حملة هـذه الألقاب أو استيائهم ـ فى أوائل العهد بالغاء الألقـاب خاصة ـ عندما يخاطبون مجردين من ألقابهم . وقد كان يحدث ، أول الأمر عندما تحوج الإشارة فى الكتابة إلى أحد من حملة الألقاب أن يوضع اللقب بين قوسين ، أو أن يردف اللقب بكلمة « السابق » أو « السابقة » أو « سابقا » ، ثم أخذ الناس يكتفون بذكر الاسم مجردا عن اللقب فى الأغلب

ولكن ثورة الجيش، وقد الغت الألقاب المشعرة بالفوارق الطبقية الكبيرة، أوجدت لقبا جديدا وهو «السَّيِّد» (ومؤنثة « السيدة ») يطلق على المواطنين المصريين كافة، وبهذا أعطت هذا اللقب دلالة جديدة لم تكن له . وهـــذا اللقب فى العربية فى مصر يختلف عن Mister فى الإنجليزية و Monsieur فى الفرنسية و Her فى الألمانية فهذه الألقـــاب تطلق على السواد الأعظم من الإنجليز والفرنسيين والألمان أولئك الذين لا يحملون ألقابا مثل Sir و Lord و ...الخ . وباستعمال « السيد » بهذا المعنى استعملت معه عبارات مثل « سيادتكم » و « سيادة » فلان ، و « سيادته » عند الخطاب والإشارة .

تظهر دراسة لقب «السيد» وتصرفاته فى العربية دراسة تاريخيـة أن هذا اللقب ذو تاريخ طويل متطور ، اصطنعه العرب فى جاهليتهم وإسلامهم واستعملته الأمم التى اتخذت العربية بعد إسلامها ، وبعض الأمم الإسلامية الناطقة بغير العربية ، وهـو لا يزال قائما فى أيامنا ، وأعطى فى مصر دلالة جديدة بعد ثورة سنة ١٩٥٢ ، وقد سبق أن انتقل هذا اللقب من العربية إلى بعض اللغات الأوروبية . وقد استعمل مؤنثه «السيدة» لقبا ، كما استعمل مثناه وجمعه مذكرين ومؤنثين « السيدان ـ السيدتان السادة ـ السيدات » .

... هذا اللقب فى الشعر والنثر وفى القرآن الكريم (والقرآن نفسه قد لقبه ... إسحاق الزجاج بـ « سيد الكلام » (انظر لسان العرب مادة « سود ») وفى الحديث الشريف . ولم يكن قاصرا على الفصحى. وتتبع استعمالات هذا اللقب فى العصور المختلفة يظهر أنه لم يكن فى عصر من العصور ذا دلالة واحدة بل هو فى العصر الواحد يدل على أكثر من معنى ، ولكن استعمالاته جميعا ينتظمها معنى التعظيم والتشريف والتفضيل والتبجيل، وقد تكون الفضيلة التى يطلق بسببها هذا اللقب سموا فى الخلق أو براعة فى العقل ، أو شرفا فى النسب ، أو كمالا فى الجسم ، أو امتلاكا لغير هذا من أسباب السلطان و البروز . ولما كانت هذه المعانى هى الأساس فى إطلاقه اتضح أنه يتأتى إطلاقه على كثير من القوى ، وعلى كثير من الأشخاص والحيوان والأشياء ، وهذا الذى كان .

١ — كان « السيد » يطلق فى الجاهلية على « الملك » رئيس القوم ، سواء كان رئيس قبيلة أو رئيس عشيرة أو أدنى من ذلك ، وعلى من يقدمه القوم على أنفسهم ، وعلى من يتكلم باسمهم فى أمر من الأمور . قال زهير ابن أبي سلمى فى معلقته مخاطبا هرم بن سنان والحارث بن عوف :

يمينا لنعم السيدان وجدتما ‏ ‏ ‏ ‏ على كل حال من سحيل ومبرم

وقالت الخنساء عن أخيها صخر :

السيد الجحجاح وابـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـن السادة الشم الجحاجح

وكان يطلق على غير رئيس القوم إن برزت فيه صفة يعلى مجتمعه من شأنها كالشجاعة الفارطة ، وكالحلم البالغ ، واحتمال أذى الناس، والإغراق فى

السخاء ، ورجاحة العقل ، والتفوق فى المال . كما كان يطلق على كبير السن.

وممن أطلق عليه لقب « السيد » فى الجاهلية مولى العبد أى صاحبه لأنه مالكه ، واستمر استعمال السيد فى هذا المعنى طوال نظام الرق ، ولا يزال يطلق على «صاحب البيت » (= رب الأسرة) بالنسبة لـ « خادمه » .

ويبين ما أثر من النصوص الجاهلية أن زوج المرأة كان يلقب بسيدها (وقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى « وألفيا سيدها لدى الباب » أى بعلها).

وكما كان « السيد » يطلق على الشريف والرفيع والمالك من الأشخاص فلقد كان يطلق من قديم على « المسن » من المعز ، قال الشاعر :

سواء عليه شاةُ عامٍ دنت له ليذبحها للضيف أم شاةُ سيّدِ

ومنه الحديث الشريف : « ثَنِيٌّ من الضأن خير من السيّد من المعز » .

وكان الحمار الوحشى يسمى سيد أتنه ، وأطلق « السيد » على الرئيس الجن :

جنٌّ هتفن بليل يندبن سيدهنّه

٢ — وفى القرآن الكريم استعمل السيد بمعنى الزوج (وألفيا سيدها لدى الباب) ؛ وسمى الله تعالى « يحيى » سيدا وحَصُورا أى أنه فاق غيره عفة ونزاهة عن الذنوب أو بمعنى الرئيس والإمام فى الخير ، أو لغير ذلك من أسباب التقديم .

٣ — وفى الحديث الشريف أن النبى (صلعم) سمى الله — تبارك وتعالى — « السيد » (جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « أنت سيد

قريش ؟ » ، فقـال النبي صلى الله عليه وسـلم : « السيد الله » ، فقال « أنت أفضلها قولا وأعظمها فيها طَوْلاً » ، فقال النبي (صلعم) « ليقل أحدكم بقوله ولا يستجرينكم») وصفة الله جل ذكره بالسيد معناه أن الله مالك الخلق والخلق كلهم عبيده . ونحسب أن وصف الله و « الرب » والمعبود بالسيد أقدم من هذا . وهذا القول من الرسول تواضع وكراهة أن يمدح فى وجهه ، ولا شك أن الرسول (صلعم) كان يفضل أن يلقب بنبي الله ورسوله لا بـ « السيد » هذا الذي كان يسمي به العرب رؤساءهم كما ورد فى بعض الأحاديث (فى لسان العرب مادة « سود » : وقيـل فى معنى قوله لهم لما قالوا له «أنت سيدنا» وقال «قولوا بقولكم» ، أى ادعونى نبيا ورسولا كما سماني الله ولا تسموني سيدا كما تسمون رؤساءكم فإنى لست كأحدهم من يسودكم فى أسباب الدنيا) .

وقد روى عن الرسول (صلعم) استعمال « السيد » فى بعض ما كانت تستعمله فيه العرب فقد روى أنه قال للأنصار « قوموا إلى سيـدكم يقصد سعد بن معاذ ، وأنه سأل الأنصار مرة « من سيدكم » قالوا « الجد ابن قيس على أنا نُبَخِّله » ، قال : «وأى داء أدوى من البخل ؟ » وروى عن الرسول قوله : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » . ولما كان السيد فى الجاهلية لقبا يرفع من أشخاص ويضع من آخرين ، ولما كان الإسلام يدعو إلى التسوية ، ويهدف إلى القضاء على الفرقة فقـد روى عن محمد (صلعم) أنه قال : « كل بنى آدم سيد : فالرجل سيد أهل بيته ، والمرأة سيدة أهل بيتها . » وقال الرسول للحسن بن على : « إن ابنى هذا سيد وإن الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » ، كما سمى الرسول عـلى

ابن أبي طالب « سيد العرب » و « سيد المسلمين » ، ولقب الحسين بن على بأنه « سيد شباب أهل الجنة » ولقبه هو والحسن بأنهما « سيدا شباب أهل الجنة » وقال الرسول عن فاطمة الزهراء إنها « سيدة نساء أمتى » أو « سيدة نساء هذه الأمة » أو « سيدة نساء العالمين » و « سيدة نساء أهل الجنة » . وهذه الأحاديث فى على وزوجته وولديه قد يميل بعض الباحثين إلى الظن بأنها من صنعة الشيعة فى عصر متأخر .

٤ - كان الصحابة يخاطبون الرسول أحيانا بـ « سيدنا » ويشيرون إليه بـ « سيدى » ، وفى حديث عائشة أن امرأة سألتها عن الخضاب فقالت : كان سيدى رسول الله (صلعم) يكره ريحه ، وهذا اللقب قد ينصرف هنا إلى معنى السيادة تعظيما للرسول أو إلى ملك الزوجية ، وقد أطلق هذا اللقب على بعض رجال الصحابة ومن ذلك حديث أم الدرداء « حدثنى سيّدى أبو الدرداء » و « سيدى » هنا يصدق عليها مايصدق على « سيدى » فى النص السابق . وقد رأينا فى الأحاديث النبوية السابقة أن من الصحابيات اللاتى سمين بـ « السيدة » فاطمة الزهراء .

٥ - وفى الشعر العباسى أمثلة تشهد باستعمال « سيدتى » و « سيدى » خطابا للمحبوب . قال أبو العتاهية :

ألا ما لسيدتى مالها أدلاً فأحمل إدلالها ؟

وقال البحترى :

سيدى أنت ما تعرضت ظلما فأجازى به ولا خنت عهدا

٦ - ومن أشهر الاستعمالات الاسلامية للسيد والسيدة ، وتصرفاتهما فى

التثنية والجمع ، إطلاقها على العلويين والطالبيين وقد ظهر هـذا الاستعمال بشكل مستفيض إبان اضمحلال الدولة العباسية ؛ وهو فى هذا شبيه بلقب « الشريف » . والأرجح أن هذا الاستعمال للسيد ومتصرفاته كان متأثرا بالأحاديث النبوية التى تلقب كلا من على بن أبى طالب والحسن والحسين بالسيد ، والتى تلقب فاطمة بالسيدة ، إن صحت هذه الأحاديث ، وقـد أوردنا بعضها فيما تقدم . كان العـــلوى أو الطالبى — ولا يزال يلقب بـ « السيد » أو « السيد الشريف » أو « الشريف السيد » . أحالت مادة Sharif فى دائرة المعارف الإسلامية فى وصف أفراد من العلويين بلقب سيد على كتاب « عمدة الطالب فى أنساب على بن أبى طـالب » لابن مهنى طبعة بومباى ١٣١٨ هـ ص ٥١ سطر ١٦ . ص ٥٢ س ٢ ، ص ٥٤ س ١٠ ، ص ٥٩ س ٢ ، ٦ ، ٩ ، ١٦ ، ص ٦٥ س ١٥ ، ١٧ ، ص ١١٧ ، ص ١٢٢ س ٧ ، ص ١٤٩ س ٩ ؛ وعلى « تاريخ الإسلام » للذهبى مخطوط فى ليدن 1271 الذى يضيف هذا اللقب إلى الإمام الثانى عشر على بن محمد (f. 65 a) وأحالت هذه المادة نفسها فى استعمال اللقبين « السيد الشريف » و « الشريف السيد » على نهاية الأرب للنويرى ط . القـاهرة ١٣٤٢ هـ . حـ ٢ ص ٢٧٧ سطر ١٢ ، وعـلى « العقود اللؤلؤية » للخزرجى .Gibb. Mem. Ser ١٩١٣ م . حـ ٢ ص ٣١٤) .

٧ — وقد أطلق « السيد » كذلك على الصوفى والولى والجليل من الفقهاء وأطلق جمعها « السادة » أو « السادات » على الجماعة من كل هؤلاء ، ومن ذلك ، السادة الصوفيـة » ، و « السادات الأولياء » (انظر الشرجى :

طبقات الخواص ، القاهرة ١٣٢١ هـ ص ٢ س ٩ ص ٣ س ١ ، ص ١٩٥ س ٣ ـ عن دائرة المعارف الإسلامية مادة Sharif و « السادة الأعلام » (ابن حجر الهيتمي : الفتاوى الحديثة ص ١٢٤ س ٤ ـ عن دائرة المعارف الإسلامية مادة Sharif

٨ ـ وتستعمل « السيد » لقبا في بعض البلاد الاسلامية التي لا تتكلم العربية كايران وتركيا والهند والملايو .

وبالإضافة إلى « سيد » يستعمل في فارس لقب « مير » (من « أمير ») وكان هذا اللقب شائعا في تركيا والهند كذلك . أما في مناطق الملايو فيستعمل بالإضافة إلى « سيد » لقب « حبيب » (بمعنى « محب » أى للنبي أو بمعنى « محبوب » أى محبوب منه) وهذا اللقب يستعمل كذلك في مناطق من بلاد العرب .

٩ ـ أما « سَيِّدي » ، وبالعامية « سِيدِي » فهو الآن شائع الإطلاق في البلاد العربية والإسلامية المختلفة على الأولياء والأخيار (ومن ذلك في الإسكندرية سِيدِي جابر ـ سِيدِي ياقوت العرشي ـ سِيدِي أبو العباس . وسمعت في بنغازي « سِيدِي عبد السلام » ـ سِيدِي خليفة ، سِيدِي غريب ... الخ) ومن الواجب تتبع استعماله في هـــذا المعنى من الناحية التاريخية . ومن الملاحظ أن « سَيِّدي » بهـــذا المعنى كثير الورود في كتاب « لواقح الأنوار في طبقات الأخيار » للشعراني ، ط . القاهرة ١٣١٥ هـ .

١٠ ـ ومن استعمالات « سِيدِي » الحالية في بعض البلاد العربية إطلاقه على الرؤساء تعظيما واحتراما ، وأكثر من هذا شيوعا إطلاقه على كبير

السن والمقام . وفى كثير من البلاد العربية يخاطب ربّ الأسرة لا سيما من يقومون على خدمته ، وزوجته كذلك فى بعض البلاد وفى بعض الأوساط بقولهم « سيدى » ، كما يشار إليه بنفس اللقب ، بينما تخاطب ربة الأسرة ويتحدث عنها ، من خدمها وممن يقل عنها شأنا بـ « ستىّ » . وقد ذكر لى أستاذنا الدكتور طه الحاجرى أنه فى ريف بنى سويف من صعيد مصر لا يخاطب الخادمُ « سيده » بـ « سيدى » بل يخاطبه بـ « يا عمى » ، أما العم الحقيقى أخو الأب فيخاطب ويتحدث عنه بـ « أبويا » و « أبويا على » معناها « عمى على » .

١١ — وفى مصر تستعمل « سيدْ » مضافة إلى الضمائر المناسبة فى الأكثر بمعنى الجد (أبى الأب أو أبى الأم) ويقابل هذا فى المؤنث « ست » مضافة إلى الضمائر المناسبة بمعنى الجدة (أم الأب ، أو أم الأم) وسمعت فى بنغازى « سيدى » بمعنى « عمى » أخى أبى .

١٢ — وفى كثير من البلاد العربية يخاطب السائلون من يرجون « حسنتهم » بـ « ياسيدى » ومن ذلك فى مصر : « حسنة يا سيدى » و « شىء لله يا سيدى » إن كان المسئول رجلا و بـ « يا ستى » إن كان امرأة .

١٣ — وتستعمل فى مصر عبارة « سيدى يا سيدى » فى أحوال خاصة كالتعريض بحسناء مختالة مزهوة .

١٤ — ويستعمل فى معظم البلاد العربية مختصر لـ « سيدى » هو « سى » ومما هو جدير بالملاحظة أن « سى » فى مصر له حالات من الاستعمال ،

ولا يجوز أن يحل محل « سيدى » فى بعض الحالات ، فلا يقال « سى ياقوت العرشى »، ولا يخاطب الخادمُ ربَّ الأسرة أو يتحدث عنه، وخاصة إذا كان رب الأسرة كبير السن بـ « سى أحمد » مثلا . وأكثر ما يستعمل فيه هذا اللقب احترام الشباب خاصة ، وقد تتحدث الأم نفسها عن ابنها الشاب بـ « سى فتحى » وقد تخاطبه بهذا اللقب .

١٥ ـ أما «سَيِّدُنا» ـ أو «سَيِّدْنا» فى العامية ـ فلا يزال كثير الإطلاق على الرسول (صلعم) وعلى الصحابة (سيدنا محمد ـ سيدنا أبو بكر ـ سيدنا عمر ـ سيدنا عثمان ـ سيدنا على) وعلى الأنبياء والرسل والملائكة (سيدنا نوح ـ سيدنا يوسف ـ سيدنا موسى ـ سيدنا جبريل) . وقد لاحظنا أن إطلاق سيدنا على هؤلاء قديم . وفضلا عن هذا الاستعمال فان « سيدنا » تطلق فى ريف مصر على معلم الصبية فى الكتاب . و (سِتّنا) وهى مختصرة من « سيدتنا » ، تطلق على أمثال السيدة « خديجة » زوج الرسول صلعم) ، وعلى أمثال السيدة «زينب» والسيدة «عائشة» والسيدة «نفيسة»، ولكن لا يجوز أن تلقب إحدى هؤلاء السيدات بـ « ستى » فلا يقال « ستى زينب» الخ .

وقد شاع فى العصر الحديث فى كثير من البلاد العربية التمييز بين المتزوجة والبكر ـ لا سيما فى لغة الكتابة ـ بتلقيب الأولى « السيدة » وبتلقيب الثانية الآنسة ، وقد ذكرنا أن تسمية الزوجة بـ «السيدة » تسمية جد قديمة ترجع إلى العصر الجاهلى .

١٧ ـ أما «ست» (مختصر سيدة) و « ستى » (مختصر « سيدتى ») و « ستنا » (مختصر « سيدتنا » ؛ فهى كثيرة الاستعمال فى كل البلاد

العربية ، وقد أشرنا إلى بعض استعمالاتها . ويبدو أنها ـ أو (سِتّ) على الأقل ـ قديمة الاستعمال ، وقد وردت فى بيت لأبى العلاء المعرى فى رسالة الغفران . قال :

ستّ إنْ أعياكِ أمرى　　　　فاحمليني زَقْفُونا

١٨ ـ وقد أطلق لقب (السِّيّد) و (سِيدِ) على جماعة من غير المسلمين أشهرهم البطل المسيحى الإسبانى رودريجو دياز Rodrigo Diaz de Vivar الذى لقب بـ (السِّيّد) وغلب هذا اللقب على اسمه ، وهو من أشهر أبطال فرسان قشتالة فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى ، وهو نبيل قشتالى (ولد سنة ١٠٢٦ م أو سنة ١٠٤٠ م) ، وقد عاون صاحب قشتالة Sancho II على توسيع رقعة مملكته وأصبح أمير جيشه بلقب Campeador (من اللاتينية Campeator التى كان العرب يكتبونها « الكَنْبِيَطُور » — يلاحظ أن النون فى هذا الوضع تنطق ميماً) بمعنى « مبارز » أو « برّاز » [١]) .

(١) عاون رودريجو بخالص نصحه صاحب قشتالة على أن يصبح حاكم مملكة (ليون) León وذلك بأسره أخاه الفونسو . ولكن بعد مقتل صاحب قشتالة تولى أمرها أخوه الأمير الفونسو السادس ، وكان يحقد على رودريجو فنفاه خارج ممتلكاته . ومن ذلك الوقت أخذ رودريجو يحارب المسلمين أو المسيحيين خدمة لطرف ثالث أو خدمة لنفسه . ثم عرض رودريجو خدماته على أحمد بن سليمان المقتدر صاحب سرقسطة Saragossa فضمه المقتدر إلى جيشه هو وجنوده المرتزقة . وقد مات المقتدر فى نفس السنة التى انضم اليه فيها رودريجو وجنوده ، وتولى حكم سرقسطة بعده ابنه يوسف المؤتمن ، وظل رودريجو فى خدمة المؤتمن =

٢ — وقد اقتضى تحول مصر من النظام الملكى إلى النظام الجمهورى حذف « ملكى » (أو « ملكية » وما إليها) من العبارات التى كانت ترد فيها صفة لها فأصبح يقال : « الجمهورية المصرية » و « القصر الجمهورى » و « الديوان الجمهورى » و « مرسوم جمهورى » و « جيش الجمهورية » و « رئيس الجمهورية » و « رئاسة الجمهورية » و « سلاح الطيران الجمهورى » الخ .

وبعد قيام الوحدة بين مصر وســـــورية فى فبراير ١٩٥٨ أصبح اسم الدولة الكبيرة « الجمهورية العربية المتحدة » ، ولا تزال هذه التسمية قائمة بعد الانفصال الذى قام به « الرجعيون » فى سورية .

= وتولى ابن آخر للمقتدر هو المنذر حكم مقاطعات أخرى . وما لبثت الحرب أن شبت بين الأخوين وقد تحالف المنذر مع مسيحيين هما ملك آرجون Aragon وصاحب برشلونة . وسرعان ما أحرز رودريجو نصرا بينا على أعداء سيده المؤتمن على الرغم من تفوقهم العددى ، وغنم مغانم كبيرة ، وأسر صاحب برشلونة ثم أطلق سراحه متكرما ، ولما عاد الى سرقسطة استقبل استقبالا باهرا وأغدق عليه المؤتمن الهدايا ، وعلا شأنه في نظر المسلمين من جنده فأخذوا من ذلك الوقت يلقبونه بـ « سيِّدى » و (وهى بالعامية « سِيدى ») .وقد ترجمت إلى الإسبانية بـ mio Cid (ويلاحظ أن قصيدة الـ Cid المشهورة كانت تسمى أصلا El Cantar de mio Cid) وكثر استعمالها في الاسبانية بهذه الصورة أو بحذف ضمير الملكية وهو mio (الكلام عن رودريجو مأخوذ عن مادة Sid دائرة المعارف الاسلامية). ومن الاسبانية انتقلت كلمة « سيد » إلي غيرها من اللغات الأوروبية .

ومن الملاحظ أن « السيِّد » كان يطلق في إسبانيا الإسلامية على المسلمين ؛ ومن ذلك « ابن السيِّد البطليوسى » العالم المشهور ؛ والكلمة بهذه الصورة ؛ أي بالألف واللام وبكسر السين » لا تستعمل في بلاد عربية شرقية كمصر مثلا ، وهي لا تزال تسمع في مراكش.

٣ ـ وقد نتج عن قضاء ثورة الجيش على الأحزاب التى كانت موجودة قبل قيامها ، وعن تحديدها الملكية الزراعية أن أصبحت بعض كلمات وعبارات تهمة يخاف الناس أن يوصفوا بها مثل «حزبى» ، أو « وفدى » ، أو « إخوانى » (من « الاخوان المسلمين ») ، أو « إقطاعى » ، أو « من كبار الملاك » .

٤ ـ وقد كثر استعمال كلمة « التحرير » مع ثورة الجيش فهناك «هيئة التحرير » و « مديرية التحرير » و « جيش التحرير » . ومن العبارات والكلمات التى كثر استعمالها مع الثورة « الاتحاد والنظام والعمل » و « العزة » و « الكرامة » و « القومية العربية » و « التأميم » (بعد تأميم شركة قناة السويس بصفة خاصة ، وزاد استعمالها زيادة كبيرة بعد القوانين الاشتراكية التى صدرت فى يوليو ١٩٦١) .

٥ ـ واستعملت فى مصر عبارات دالة على تنظيمات لم يكن لها وجود مثل « الاتحاد القومى » و « الاتحاد الاشتراكى العربى » .

٦ ـ وكما يحدث فى كل الثورات والانقلابات فقد طرأ تغير على اسماء الاعلام كأسماء الشوارع والمحلات والأماكن والأشخاص ، فغيرت أسماء شوارع كثيرة كانت معروفة بأسماء أجنبية، أو بأسماء مصريين اعتبروا أعداء للشعب كأسرة محمد على ، بأسماء تتلاءم والوضع الجديد كـ « طريق الجيش » و « طريق ٢٦ يوليو » و « ميدان التحرير » ، وأصبحنا نطالع على واجهات بعض المحلات والمنشئات « مطعم الجمهورية » ، « كازينو التحرير » ، « قهوة النصر » ، « سينما الجلاء » الخ .

٧ ـ وإذ كانت مصر لا تتعاون مع روسيا أيام الملكية فقد كان يحيط

بكلمات مثل « روسيـــا » و « روسى » و « سوفييت » و « سوفييتى » و « الشيوعيـــة » و « شيـــوعى » و « الماركسية » و « ماركسى » و « الاشتراكية » و « اشتراكى » شىء من الخوف والغموض ، ولكن هذا قد زال بعد ما قام من تعاون بين الدولتين حديثا ، وبعد ما اتخذت الجمهورية العربية المتحدة النظام الاشتراكى نظاما لها .

٨ — ومع اتخاذ النظام الاشتراكى نظاما للجمهورية العربية المتحدة لما صدرت قوانين يوليو ١٩٦١ — استفاض استعمال كثير من مفردات النظرية الاشتراكية ومصطلحاتها وعباراتها من سياسية واقتصادية واجتماعية ، ودخل العربية شىء جديد من هذا .

٩ • نعم إن « قاموس » الاشتراكية — أى المفردات والعبارات الخاصة بها — بدأ استعماله فى مصر — وفى غير مصر من البلاد العربية على خلاف فى الدرجة والفهم والعبارة — منذ ظهور النظرية الاشتراكية وانتشار التفكير فيها فى العالم أجمع ، ولكنه كان يستعمل فى نطاق ضيق نسبيا ، فى بعض كتب السياسة والاقتصاد والقانون ، وبرقيات الصحف ، وبعض المنشورات السرية ، وأخذ هذا يزداد شيئا فشيئا مع ازدياد الوعى القـــومى ، وفى محاولات التخلص من الاستعمار والاستبداد والظلم الاجتماعى قبيل ثورة ١٩٥٢ ؛ وازداد بعد الثورة عند ما نال الشعب حريته السياسية وأخذ يفكر فى تقرير مصيره ؛ وبلغ ذروته بعد تطبيق النظام الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة فقد صارت هذه المفردات والعبارات جزءا أساسيا من حياتنا ترد فى المراسيم والقوانين ، والقرارات الوزارية ، وتصدر عن الحكام فى أحاديثهم وتصريحاتهم ، وتسمع فى الإذاعة والتليفزيون ، وتطالع فى الصحف والمجلات ، ويفوه بها خطباء المساجد ، وتدرس فى المدارس ، بل

ويشدو بها المغنون والمغنيات ، ويطلق بعضها على شيء من الآثار الفنية : الموسيقية ، والتصويرية . الخ ، وانتقل كثير منها من « اللغة الفصحى » إلى لغة الأحاديث اليومية .

٢ . وتنتظر دراسة هذه المفردات والمصطلحات من يتعقبها منذ بدء استعمالها في العربية الفصحى – في مصر على الأقل – مع بيان العبارات المختلفة التي كان يترجم بها أوائل المترجمين بعضها عن الإنجليزية أو الفرنسية؛ وتحديد دلالاتها ومجالات استعمالها في كل فترة ؛ وموقف « السلطات » من بعض من كانوا يفكرون تفكيرا « اشتراكيا » ، أو يستعملون بعض العبارات الاشتراكية ، أيام « سيطرة الاقطاع » و « رأس المال الفردى » و « الظلم الاجتماعى » ؛ ثم إظهار التطور الكبير الذى مرت به فى السنوات القلائل الأخيرة عندما اتسع مجال استعمالها هذا الاتساع ، وعندما قضت على كثير من المفردات والعبارات التى كانت شائعة من قبل فى لغة الصحافة والكتابات الرسمية والمؤلفات السياسية والاقتصادية والاجتماعية

ونتائج هذه الدراسة لابد أن تُدرج فى مواضعها من القواميس العامة للغة العربية ، فلا تزال معاجمنا خالية ، أو تكاد أن تكون خالية من الإشارة إلى أمثال هذه المفردات والاصطلاحات والتركيبات ، وبيان ما يعرو بعضها من اختلاف الدلالة على مر العصور .

٣ . وإن مطالعة مشروع « الميثاق » الذى قدمه السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية مساء يوم ٢١ مايو ١٩٦٢ لشاهدة بمدى دوران عبارات الاشتراكية على الألسن

والأقلام ، وهذه طائفة منها وردت فى نص « الميثاق » :

— «الخلية الثورية» ، « الدفع الثورى » ، « العمل الثورى» ، « الدفع الثورى » ، « الانطلاق الثورى » ، « المفاهيم الثورية » ، « الحوافز الثورية للجماهير » ، « الطاقات الثورية » .

— «التحالف بين الإقطاع وبين رأس المال المستغل» ، « تحالف الإقطاع والرجعية الحاكمة » ، « الديكتاتورية الطبقية » ، « استغلال الجماهير » ، « تسلل العناصر الرجعية » ، « الصراع الحتمى والطبيعى ، بين الطبقات » ، « إزالة التصادم الطبقى » ، « تصفية الرجعية وتجريدها من جميع أسلحتها » ، « تذويب الفوارق بين الطبقات » ، « سلمية الصراع الطبقى » ، « دموية الصراع الطبقى » ، «تصادم مصالح الرجعية مع مصالح الشعب » ، « نضال الشعب » « إزالة المتناقضات » .

— « سيطرة رأس المال » ، « تحكم رأس المال » ، « ملكية وسائل الإنتاج » ، « سيطرة الشعب على وسائل الإنتاج » ، « الاحتكار » ، «الاحتكارات الرأسمالية الكبرى» ، « الرأسمالية المحلية » ، « رأس المال العالمى » ، « قاعدة الثروة الوطنية » ، «عفوية رأس المال الخاص» « القطاع العام» ، «القطاع الخاص » ، «توسيع قاعدة الإنتاج» ، «التأميم » والعمل « حرية لقمة العيش » ، « تكافؤ الفرص » ، « احتكار الفرص » ، « العمل حق » ، « العمل واجب » ، « العمل شرف » .

ـ «القيادة الجماعية» ، «جماعية القيادة» ، «القوى الشعبية» ، «النقد الذاتي» .

«ديمقراطية جميع قوى الشعب الوطنية» ، «الكفاية والعدل» «ديكتاتورية الطبقة الوحداة» ، «التغيير الجذري» ، «القاعدة الشعبية» ، «حتمية الحل الاشتراكي» ، «الحتمية التاريخية» ، «التطبيقات المذهبية» ، «القرصنة الاستعمارية» ، «العناصر الانتهازية الطفيلية» .

٩ ـ وكما يحدث في كل تغيير سياسي اكتسبت بعض الألفاظ العادية دلالات اصطلاحية عندما استعملتها التنظيمات السياسية الجديدة فالمعنى القاموسي العادي لكلمتي «عامل» و«فلاح» ليس هو المعنى الاصطلاحي الذي تحدد بعد مناقشات طويلة في جلسات «المؤتمر الوطني للقوى الشعبية» وفي المقالات والندوات . وإن طلب عضوية «الاتحاد الاشتراكي العربي» الذي تتقدم به جماهير الشعب هذه الأيام (أوائل يناير ١٩٦٣) نص فيه على أن :

„العامل هو :

١ ـ كل من تتوافر فيه شروط العضوية للنقابات العمالية .

٢ ـ الحرفي الذي يعمل بنفسه ولا يستخدم الغير .

ويخرج من هذا المجال :

١ ـ مديرو الشركات والمؤسسات ومن في حكمهم .

٢ ـ المفوضون وأعضاء مجالس إدارات الشركات والمؤسسات عدا المنتخبين منهم عن العمال والموظفين .

الفلاح هو من تنطبق عليه الشروط الآتية :

١ ـ أن تكون الزراعة هي حرفته ومصدر رزقه .

٢ ـ أن يكون مقيما إقامة مستقرة في منطقة عمله .

٣ ـ ألا يزيد مايحوزه هو وأسرته «الزوج والزوجة والأولاد القصر» من الأرض الزراعية ملكا وإيجاراً على خمسة وعشرين فداناً .

٤ ـ ألا يكون ممن حددت ملكيتهم طبقا لقوانين الاصلاح الزراعي [١]

٥ ـ ألا يكون من الموظفين والمستخدمين العموميين . »

يتضح من هذا أن تعريف « العامل » و « الفلاح » هذين التعريفين ، الغرض الأساسي منه إشراك القوى الشعبية العاملة إشراكا فعليا في التنظيمات الشعبية ، وقطع الطريق أمام تسلل الرجعيين والاحتكاريين والانتهازيين حتى لايكون لهم السيطرة على هذه التنظيمات .

ز ـ ومن عناصر دراسة لغة السياسة ، دراسة اللغة التي تستعملها الدول المتحالفة اوالمتجاورة او التي تربط بينها روابط اخرى غـــير التحالف والتجاور أو فضلا عن أحدهما أو كليهما ، في حديثها بعضها عن بعض ، وفي الإشارة إلى ما بينها من صلات . ومن ذلك اللغة المستعملة في مصر عن السودان ، وفي السودان عن مصر ، واللغة المستعملة في العلاقات بين الدول العربية والاسلامية . فنحن في مصر نشير إلى السودان بـ « جنوب الوادي »

---

(١) صدرت قوانين « الإصلاح الزراعي » سنة ١٩٥٢ ، وسنة ١٩٦١ .

و « الأخ الشقيق » ، وإلى السودانيين بـ « إخواننا السودانيون » ؛ ويصفون مصر فى السودان بقولهم « شمال الوادى » . ومن العبارات ذات الأثر فى الشعوب العربية والإسلامية « الرابطة الإسلامية » و « الجامعة الإسلامية » و « الجامعة العربية » و « العروبة » و « الأخوة فى العروبة » و « القومية العربية » و « الدفاع عن العروبة » و « فلسطين الشهيدة » و « وحدة اللغة » و « وحدة التاريخ » و « التاريخ المشترك » و « المؤتمر الإسلامى » ، وإن لكل من هذه العبارات تاريخه الذى يجب أن يبين .

ح — ومما يدخل فى لغة السياسة لغة البيانات السياسية التى تصدرها دولة باسمها ، وتلك التى تصدر بالاشتراك بين دولتين أو أكثر ، ولغة الإنذارات الدولية ، ولغة قطع العلاقات الدبلوماسية بين دولتين ، أو لغة إعادة هذه العلاقات ؛ ولغة إنشاء علاقات دبلوماسية بين دولتين لم تكن هذه العلاقات قائمة بينهما ، ولغة طلب إبعاد بعض الممثلين الدبلوماسيين ، ولغة الاعتذارات الدولية . . الخ .

ط — كما أن للمعاهدات والاتفاقات الدولية ، حربية وسياسية واقتصادية وثقافية وللصلح ولعدم الاعتداء لغتها الخاصة بها . وهذه اللغة يكثر فيها أمثال « الصداقة » و « المودة » و « الأخوة » و « التحالف » و « المصلحة المشتركة » و « والمصلحة المتبادلة » و « تبادل المنافع » و « العدو المشترك » و « تنمية الموارد » و « المساعدة على النهوض »

و « إقرار السلام » و « تدعيم الاقتصاد » و « والعدو المشترك » . . الخ وهذه الكلمات والعبارات ، كما هي الصفة الغالبة على معظم المصطلحات السياسية تخفى الأفكار الحقيقية ، أو هي تدل عليها بطريق آخر طريق المجاز ، ولذلك قيل [١] إنه ربما لا يبرر أي قسم من أقسام الكلام الإنساني قول من يقول إن الوظيفة الأساسية للغة هي « إخفاء الفكر لا « إظهاره » كما يبرره استعمال الكلام في المجال السياسي

ى — وإن **مخاطبة الجماهير للتأثير السياسي** تنتظر أن تدرس الدرس العلمي المفصل . ودور « البلاغة » أو الفن الكلامي في هذا البحث لا يقل عن دور الحيل النفسية التي يلجأ إليها الخطباء . إن دراسة لغة « كيكرو » (= شيشرون) لاسيما في خطبه الكتلينايه دفاعا عن شرفه ومجده السياسي ، وهجوما على أعدائه وأعوانهم ، وفضحا لمؤامراتهم وخبثهم لتظهر كيف أمكن للغة في استعمال خاص لها أن تحدث في الجمهور تلك التأثيرات التي تركتها تلك الخطب في نفوس مستمعيها . وخطب الحجاج بن يوسف الثقفي كانت آلة إرهاب ، ووسيلة ردع وإخماد . وخطب مصطفى كامل وسعد زغلول كانت مثيرة للشعور القومي من رقدته ، وموقظة للنهضة المصرية ، ودافعة بها قدما .

ومن السمات العامة في مخاطبة الجماهير للتأثير السياسي استعمال الكلمات القديمة الغامضة المعنى ، والكلمات ذات الرنين والطنين ، وتلوين الكلام بلون

---

(١) انظر Margaret Schlauch, op. cit., p. 290 . والقائل بأن وظيفة اللغة هي إخفاء الأفكار هو « تاليران » Talleyrand الفرنسي .

دينى وذكر المقدسات ، والإشارة إلى الفضائل كالشرف والتضحية والإقدام ، وتمجيد المواقف المشهورة فى تاريخ الأمة ، واقتناص العبارات التى يمكن ثبوتها فى الأذهان ودورانها على الألسنة والأقلام ، واقتباس المشهور المحفوظ من مؤثر الكلام . وقد لوحظ فى استعمال الإنجليزية الحديثة فى هذا المجال أن الخطباء يلجأون إلى ضمائر قديمة مثل ye و thou و thee وإلى نهايات أفعال طال العهد على إهمالها (مثل giveth) ، وإلى تركيبات لم تعد مفهومة هذه الأيام مثل ! Woe worth the day ، وإلى عبارات من الكتاب المقدس ، وأنهم يتحدثون عن الدفاع عن «أبواب gates» المدينة أو «أسوارها Walls» مع أنه لم يعد شيء من ذلك قائما ، وذلك عندما يقصدون إلى التأثير فى الشعور أكثر من التأثير فى العقل .

---

(١) المرجع السابق 239. P

— ٧ —

اللغة والحياة الاقتصادية

أ — إن اللغة المستعملة فى الجوانب المختلفة والمستويات المختلفة لنحية الاقتصادية تقدم للباحث اللغوى مادة خصبة يؤدى تحليلها إلى نتائج قيمة. وهذه المادة يستقيها من أبسط صور النشاط الاقتصادى — كالبيع والشراء فى أبسط صورهما وأضيق حدودهما — إلى أشدها تعقيدا، وأوسعها نطاقا كأعمال الشركات الكبرى، وأعمال المصارف، وأسواق الأوراق المالية. والنظريات الاقتصادية. وسيلاحظ أن هذه المادة تتفاوت بتفاوت طبقات المتعاملين، وبالوضع الحضارى للمجتمع، وبسوى ذلك من أمور؛ وهذا التفاوت يتبدّى فى كل جانب من جوانب النشاط الاقتصادى.

(١) فطريقة العد وما فى اللغة أو اللهجه من أعداد، لا يزالان عند بعض القبائل فى مرحلة بدائية ساذجة، وهما يبلغان عند أعظم الأمم حضارة درجة عالية من التفصيل والتعقيد؛ وهذان يختلفان عند أصحاب اللغة الواحدة حسب حظ المتكلم من الثقافة.

(٢) ولغة « المساومة » تقدم مادة طريفة لدراس اللغة. وسيلاحظ أن المساومة مرتبطة بالبداوة أو بألوان من البداوة، وأنها تقل أو تكاد تتبلور فى إيماءات، أو كلمات شديدة الإيجاز، أو أنواع من الاستفسار فى الأمم المتحضرة التى تحيا حياة معقدة. ويلاحظ أنه فى معظم الأحوال تكون « المساومة » عنصرا أساسيا فى عملية البيع والشراء. ويكون المشترى والبائع على أهبة للمساومة مقدما، وأن الإطالة فيها تكون أحيانا نوعا من الدخول فى علاقات عن طريق الكلام، ولونا من التسرية عن النفس ومن

تزجية الوقت . وإن تصنيف لغة المساومة حسب طبقات البائعين ، وطبقات المشترين ، وحسب أمزجة هؤلاء وأولئك وطبائعهم ، وحسب السلعة موضوع البيع والشراء لأمر واجب على الباحث اللغوى .

(٣) و « المزايدة » لها لغتها الخاصة بها ودراستها تظهرنا على وظائف للغة فريدة .

(٤) ودراسة حيل البائعين والمشترين والوسطاء ، وألوان مغالطتهم وخداعهم وأفانين غشهم كما تبدو فى تعبيراتهم اللغوية موضوع له أهميته .

(٥) أمّا « الاعلان » فلغته مجال فسيح للباحث اللغوى . ودراسته فى صوره المختلفة ، من أبسطها وأشدها سذاجة كندءات البائعين إلى أكثرها تعقيدا وفنية ، تظهر استعمالات للكلام لتحقيق غايات معينة من أهمها جذب الانتباه وحصره فى موضوع بعينه ، والتشويق والترغيب ، للحصول على التملك والاقتناء . إن لغـة الإعلان تخاطب فينا غرائز وحواس تختلف باختلاف الموضوع المعلن عنه ، فكلام الإعلان عن مأكول أو مشروب يوجه إلى حواس غير تلك التى يتجه إليها كلام إعلان عن سيارة أو آخر عن دواء ، وهو يثير غريزة غير تلك التى يثيرها هـذا أو ذاك . وسيلاحظ فى لغة الإعلان اختلافها باختلاف الوضع الحضارى للأمة .

١ — فنداءات البائعين الجائلين فى الجماعات البدوية والقريبة منها يكثر فيها اللجوء إلى المجاز والتشبيه وإلى السجع وغيره من ضروب الترصيع ويبرز فيها على الجملة الإطالة فى المناداة ، والتغنى والتلذذ بالكلام أما المجتمعات التى قطعت من المدنية شوطا كبيرا وتعقدت أمورها ولم يعد لها من الوقت

ما تضيعه فى النداء وفى الاستماع إليه ، وقلّ فيها دور البائعين الجائلين ، فنداءات هؤلاء فيها تقتصر على أوجز عبارة وأدلها .

ثم إن نداءات البائعين تختلف باختلاف حظ الجماعة وحظ البائعين أنفسهم من الذكاء والحيوية : فالجماعات المولعة بالكلام وبـ «الفصاحة» والفكاهة نجد فيها أمثلة رائعة على المناداة على السلع ، أما تلك المعروفة بالميل إلى الاقتصاد فى الكلام ، وإلى الانطواء على النفس وإلى التزمت والتوقر ، وإلى النفور من الصراخ والضجيج فهى قليلة الحظ من الابتكار فى هذا المجال .

ومن النداءات المسموعة فى الإسكندرية ، والتى يتضح فيها اللجوء إلى التشبيه والمجاز ، والوصف بالجودة وصفا أشبه بالتغزل ، المناداة على السمك البلطى بـ « يا غريم السّلاطة يا بُلْطى » ، وعلى العنب بـ « يا بيض اليمامْ يا عنبْ » ، وعلى البلح « الأمهات » الذى يسيل شهداً بـ « يا مينْ يجيب الأتاجرْ ! » وعلى الفول المدمس بـ « اللوز ! » و « الزّغاليل ! » . ومن الملاحظ أن من البائعين من يتفنن فى خلق نداءات جديدة ، ولا يكتفى بترداد المحفوظ المتوارث منها .

ومن النداءات ما يكتفى بذكر اسم السلعة ومن ذلك فى مصر (حليب) ، أو بذكرها مستندة إلى البلد الذى ينتجه مثل (أسيُوطى يا بلَحْ) و(فَيّومى ياعنب) ، أو كذلك مضافا إليه وصفها بالجودة مثل (الكتاكيت الفَيّومى عال) . وقد لاحظت أن أكثر المنادين على السمك فى مدينة بنغازى بليبيا يكتفون بذكر الاسم مكررا سريعا (حُوتْ حُوتْ ! بُورِى بُورِى !) .

ومن أول مايلاحظ فى لغة الإعلان المكتوب أنه يكثر فيه استعمال الحروف الكتابية وعلامات النقط والترقيم استعمالا مخالفاً للمألوف فى الكتابة العادية . فالكلمة أو العبارة قد تكتب — فى العربية مثلا — مقطعة الحروف حرفا حرفا لا موصولة الحروف ، وقد تكتب بصورة تختلف عن صورتها العادية إما ملاءمة للمادة التى تكتب بها خشبا أو حجرا أو معدنا أو غير ذلك ، وإما مراعاة للموضوع المعلن عنه ، أو لهذين معا . أما علامات النقط والترقيم فقد اكتسبت فى لغة الإعلان دلالات جديدة : فقد يبدأ الاعلان بعلامة استفهام ليس قبلها كلام ، أو بعلامة تعجب ، أو بهما معا ، أو بمجموعة من النقط الأفقية ، أو بمجموعة من النقط الأفقية تعقبها علامة استفهام أو علامة تعجب . ومن الملاحظ أن علامات الاستفهام والتعجب كثيرا ما تُضاعف متوالية فى الإعلانات المكتوبة .

ولاشك فى أن الإعلان — أيا كانت صورته — يراعى فيه مناسبته للموضوع المعلن عنه ، والأمثلة كثيرة على أن عدم التوفيق فى اختيار الاسم أو الإعلان يؤدى إلى الفشل والكساد ، بينما يؤدى التوفيق فيه إلى الشهرة والاقبال .

(٦) إن دراسة اللغة المستعملة فى أوجه النشاط الاقتصادى محوجة كذلك إلى دراسة ألوان من الكلمات والتعبيرات تمتاز بالجفاف بالقياس إلى ما قدمنا الكلام عنه . فلابد من حصر جميع المصطلحات الخاصة بكل وجه من وجوه هذا النشاط وتقويمها التقويم الصحيح ، ويدخل فى ذلك مصطلحات التعاقد والاستئجار والشحن والتأمين ، ومصطلحات المراسلات

ومصطلحات التسجيل فى الدفاتر ، والمصطلحات المستعملة فى الفواتير وفى الشهادات الخاصة بجودة السلع وسلامتها ووزنها ، ومصطلحات التقاضي حال الخلاف . وما من شك فى أن دراسة مصطلحات النظريات الاقتصادية نفسها من الزم الأمور وأهمها .

ب - ولغة كل من الحياتين الزراعية والصناعية

تمثل أنواعا من العلاقات بين اللغة والمجتمع بعضها يتمثل فى استعمال اللغة فى غير هذين المجالين ، وبعضها يتضح فيها اجلى مما يتضح فى سواهما .

(١) من المعروف أن لكل من هذين الميدانين ، بل لكل فرع من فروعهما مفرداته الخاصة ، وأن من هذه المفردات ما لا يستعمله ولا يعرف معناه إلا أصحاب هذين النشاطين وبعض من يقدر له الاتصال بهم فى شئونهم . وإن كانت هذه الظاهـرة تحتاج إلى من يدرسها دراسة مفصلة مستوعبة . ولكن الأمر أبعد من هذا وأعمق ، فالغالب أن الكلام الذى يستعمله كل من أصحاب هذين النشاطين - بما فيه من تركيبات خاصة واستعارات وتشبيهات وأمثال ، بل بما فيه من طـريقة نطق الكلمات ولو كانت من مفردات اللغة المشتركة الشائعة - دال على عمله وعلى طبقته الاجتماعيـــة ، وإن اختلفت الدلالة نسبة باختلاف الأفراد والظروف والعصور .

(٢) ومن شواهد اختلاف لغة أصحاب الحرفـة الواحدة باختلاف العصور أنه عندما تكون الحـرف والصناعات وقفا على أسر معينة يتوارثونها فإن لهجاتهم تكون أشد تمييزا لهم منها عندما يسمح المجتمع لمن يشاء بالاشتغال بالحرفة أو الصناعة التى يختارها . وهـــكذا إذا قارنا بين كلام أصحاب حرفة معينة فى القرن التاسع عشر فى مصر بكلام المشتغلين بهذه الحرفة نفسها فى مصر اليوم فإنا سنجد فروقا مردها إلى هذا السبب نفسه فضلا عن تلك الراجعة إلى التطور التاريخى العـــام .

(٣) — والأمثال التي يستعملها الزراع والصناع، بل كل فئة من فئات الزراع ومن فئات الصناع، من أطرف الموضوعات الجديرة بالدراسة. ومن هذه الأمثال ما يستفيض فيصبح جزءاً [١] من «اللغة العامة» تستعملها الجماعة على اختلاف طبقاتها، ومنه ما يظل محصوراً في بيئته لشدة لصوقه بها أو لغير ذلك من الأسباب. وهذه الأمثال، كسواها، تتسم بميسم المحافظة والتوارث، إلا أنه مما لاشك فيه أن التغيرات الكبيرة التي تصيب هاتين الطبقتين، كالتوسع في استعمال الآلات في الزراعة، وكالانقلاب الصناعي، لها آثارها في استحداث أمثال جديدة وفي لهجتهم الخاصة على وجه العموم. ومن واجب الباحث اللغوي أن يربط كلا بأصله وسببه.

(٤) ومن الملاحظ **أن لكل من الزراع والصناع، كالتجار، رموزهم الكلامية** الخاصة بهم التي ينحصر فهم مدلولها فيهم وفيمن يتصل بهم، كما أن لهم تعبيرات كلامية تستهدف التهكم على غيرهم من سائر الطبقات الاجتماعية. وهذه الرموز والتعبيرات قد تكون من وضع أفراد منهم، وقد تكون مأخوذة من لغات أجنبية، وقد تكون استعمالا خاصا لكلمات وتعبيرات من كلمات اللغة العامة وتعبيراتها.

(٥) — ومن أهم ما يجدر بدارسي اللغة الالتفات إليه، والعناية به، أن **الكلام في كثير من وجوه النشاط الزراعي والصناعي يكون جزءا من العمل**:

---

(١) أورد الأستاذ علي عبد الواحد وافي في هامش ص ١٥١ من كتابه «اللغة والمجتمع» (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٥١) بعض مفردات خاصة بالصيادين والبحارة المصريين نقل بعضها من مقال الأستاذ إبراهيم محمد الفحام وسجل بعضها بنفسه من لغة بحارة رشيد.

كحديث الفلاح إلى بهيمته وآلته ، وغناؤه عند الحرث والرى والحصد ، وكلام الحداد عند الطرق والنفخ فى الكور ، وغناء « الفعلة » الذى يقوده رئيس لهم ؛ كل ذلك وأمثاله جزء من العمل معين على إتمامه . ومن الواجب أن يجمع كل صنف من صنوف هذا النشاط اللغوى — فى كل لغة — وأن يفسّر موصولاً بالظروف التى يستعمل فيها ، وبالوظيفة التى يؤديها .

(٦) والصناعات والحرف من أهم أبواب الاحتفاظ بالكلم القديم ، كما أنها من أهم أبواب دخول الكلم الحديث أجنبيا كان أو أصيلا . فمن الملاحظ أن الجماعة التى تتغلب على لغتها لغة أخرى تحتفظ ، بعد سيادة اللغة الطارئة ، بكثير من مفردات اللغة الأولى ، ومنها ما يتعلق بالحرف والصناعة والزراعة ، وخاصة إذا كان أصحاب اللغة المتغلبة أدنى شأنا فى هذه الأمور . فالعامية المصرية قد احتفظت بكثير من الكلمات القبطية المتعلقة بالزراعة (كأسماء الشهور ، والمواسم الزراعية ، وأسماء بعض الآلات الزراعية) وبالصناعة ؛ والعامية العراقية استبقت كثيرا من الكلمات البابلية والأشورية والفارسية المتعلقة بهذه الموضوعات .

(٧) والصناعات وفنون الزراعة التى تأخذها جماعة عن أخرى تنتقل معها ، فى الأغلب ، أسماؤها الموضوعة لها فى لغة المأخوذ عنهم ، كما أنها تكون مثيرا إلى وضع كلمات جديدة . وهكذا فالانقلاب الصناعى الحديث الذى كانت أوروبا مهداً له ، وتأثرت به معظم أمم العالم ، نقل معه إلى كثير من اللغات كلمات من لغات أوروبية مختلفة . وإذا نظرنا إلى العربية فى مصر ، عاميها وفصيحها ، وجدنا فيها كثيرا من الكلمات الفرنسية

والإنجليزية والإيطالية والألمانية واليونانية ، وغيرها ، المتصلة بالهندسة والميكانيكا والآلات الصناعية الحديثة المأخوذة عن الغرب (مثل : ديزل ـ أَتْنك ـ دريكسيون ـ سِعِبْن ـ جير ـ بِسْتُن الخ) . كما أن هذا التأثر بالتطور الصناعي الحديث دعا إلى تغيير مدلولات كثير من الكلمات العربية ، وإلى اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية خالصة . ولما اتخذت مصر الزى الأوروبى الحديث سرت فى لغة الخياطين المصريين كلمات غربية أكثرها من الإيطالية (مثل : مَزُورا ـ فودرة ـ فرساليا ـ سكوندو بروفة الخ) .

— ٨ —

اللغة والحياة الدينية

(١) الدين مجال تستعمل فيه اللغة بما لا تستعمل في سواه فالدين وثنيا كان أو سماويا ، موحدا أو معدداً ، قديما أو حديثا له بطبيعته أسلوبه المتفرد المستقل . فالعلاقة التي يقيمها الدين بين الفرد وبين قوة عليا في يدها مصائر وأقدار ، ويجب لها القربى والخشوع : ولها آياتها وأحكامها . وأقوالها وأعمالها ، وعقابها وثوابها ، ويضفى الإيمان بها على النفس سكينة وصفاء ، ويهبها قوة ومضاء ، ويدفعها في حالات إلى التضحية بالنفس والمال والولد راضية مستبشرة ، هذه العلاقة لها لغتها ، لا في كلام المعبود وحده ، بل في كل كلام متعلق بأى شأن من شئونها .

والكلام « المقدس » عند كل جماعة نموذج رائع من نماذج البيان ، وهو بالقياس إلى الروائع الأدبية المأثورة عنها من أروعها أو هو أروعها على الإطلاق ، ومنه ما يعجز عن السمو إلى مثله أى كلام .

(٢) ومن أهم ما يلاحظ على لغة الدين استعمالها لكثير من الكلام الغامض الخفى ، ومنه كلمات وعبارات غير مستعملة في اللغة وذلك كاستعمال الحروف المقطعة في أوائل بعض السور القرآنية : يس — طسم — الم — الر — كهيعص الخ مما لا يعرف معناه على الحقيقة ، وأوله المفسرون والدارسون قديما وحديثا تأويلات كثيرة .

(٣) ومن ذلك استعمال كلمات قديمة ، واستعمال كلمات من لغات أجنبية وذلك كما تستعمل العربية في لغة السحر والكهانة والتنجيم كلمات من أصول سريانية . والمطلع على الشعر الديني لأمية بن ابى الصلت الثقفى الجاهلى

يجد عشرات من المفردات لا يجدها عند سواه من شعراء العصر الذين لم يقولوا فيما قال .

وقد أتيح لى دراسة الغريب فى شعر أمية بن أبى الصلت من حيث تأثيره فى موسيقى الشعر فى رسالتى التى حصلت بها على درجة الماجستير ، (وموضوعها : الصناعة الشعرية فى العصر الجاهلى من حيث الموسيقى وبنية القصيدة) . ولما كانت هذه الرسالة لم تنشر بعد فأنا أنقل عنها فيما يلى ما كتبته فى هذا الموضوع سنة ١٩٤٧ ؛ قلت .

« المعول فى الإيقاع الشعرى على أصوات الكلمات وطريقة نظمها ؛ وإلف الآذان للكلمات يفقدها كثيراً من قيمها الصوتية ، ومن هنا كان الشاعر فى حاجة إلى منبع متجدد يستقى منه أصواتاً خلابة ، وإنه يقع على هذا المنبع فى غريب المفردات . وقد تكون الغرابة نتيجة الجدة ، أو الندرة ، أو أن الكلمة أجنبية ، أو محلية ، أو صعبة ، أو مركبة ، أو غير مألوفة الاشتقاق . وخير مثال فى الشعر الجاهلى لاصطناع الغريب هو أمية بن أبى الصلت الثقفى .

أمية شاعر حكيم كان عالما بالحنيفيـــة ، واتصل بأهل الكنائس من اليهود والنصارى ، وقرأ الكتب الدينية القديمة ، فكره الأوثان ، وأصبح موحدا يذكر الآخرة والحساب والثواب والعقاب . وكان يطمع أن يكون هو ذلك النبى المنتظر فلما لم يكنه اغتاظ وتأسف واشتد حسده للرسول وناصبه العداء ، ولذا قال فيه الرسول : « أن كاد أمية ليسلم » وقال : « آمن شعره وكفر قلبه » .

إن شعر أمية الديني صادر عن ثقافة حنيفية يهودية نصرانية ، وهي ليست ثقافة سطحية ، فإنه — كما تقول الروايات — كان يقرأ الكتب القديمة ويتعمقها ، فكان يعلم من الموضوعات الدينية وعنها ما لا يعلمه غيره من شعراء عصره . كان أمية كثير الإيراد للقصص الديني ، ولم يكن بعض هذا القصص منتشراً بين العرب كما يتضح مما قاله ابن قتيبة في الشعر والشعراء : وأتى بألفاظ كثيرة لا تعرفها العرب ، وكان يأخذها من الكتب ، منها قوله : (وخان أمانة الديك الغراب) . وزعم أن الديك كان نديماً للغراب فرهنه على الخمر وغدر به ، وتركه عند الخمار فجعله الخمار حارساً . وقوله في الشمس :

ليست بطالعة لَهُمْ في رِسْلها إلا معذَّبةً وإلا تُجْلَدُ

وقوله :

غيم وظلماء وفضل سحابة أيام كفن واسترادَ الهدهد

يبغي القرار لأمه ليُجِنَّها فبنا عليه (عليها) في قفاه (قفاها) يَمْهَدُ

فيزال يدلج ما مضى بجنازة منها وما اختلف الجديد المسنَدُ[١]

وواضح أنه لا غرابة في ألفاظ (وخان أمانة الديك الغراب) وسائر الشواهد ولكن القصص هو الغريب .

ولما كان لكل جانب من جوانب الثقافة ألفاظ موقوفة عليه ،

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ١٧٦ — ١٧٧ .
تصحيح الأستاذ مصطفى السقا ، الطبعة الثانية ، مطبعة المعاهد مصر ١٩٣٢ م

وعبارات خاصة به ، فانا نجد فى شعر أمية الديني ألفاظا غير مألوفة عند غيره من الشعراء كان يحس بغرابتها الأقدمون ، وتناقلوا أمرها فيما بينهم .

وربما كان بعض هذه الألفاظ غير عربى الأصل جاء عن الحبشية والسريانية والعبرية .

وتأثير أمية عن هذه الطريق يشبه تأثير الساحر والكاهن ، فكلاهما يورد كلمات وصيغا غير مألوفة يخطف بها السمع واللب ، فيخضع النفس لسيطرته ، ويتركها مبهورة معلقة ، فيسهل عليه توجيهها كيف شاء ، وقد يقتضى الأمر اختراع كلمات وتصريفات جديدة للوصـــول عن طريق موسيقاها إلى السيطرة على النفوس .

وإذا كان الكثير من المنسوب إلى أمية غير صحيح النسبة إليه ، إلا أن القدماء أنفسهم لاحظوا غرابة قاموسه الشعرى ، فايرادنا لشـــواهد من شعره تبيانا لهذه الغرابة لا يجوز أن يرد استنادا إلى كثرة المنحول من شعره ، فالذى يهمنا أن الإغراب اللفظى عند أمية قائم مقرر ـ ولذا أسقطه علماء اللغة من الاستشهاد والاحتجاج بلغته على الكتاب ـ سواء كان ما نستشهد به من شعره صحيحا أو منحولا .

ولا يقتصر الأمر عند أمية على استعمال ألفاظ غريبة عن العربية ، بل إن بعض الألفاظ العربية التى يستعملها ليست شائعة الاستعمال عند غيره من الجاهليين الذين وصلتنا أشعارهم . قال ابن قتيبة [1] :

---

(١) المرجع السابق .

„ وأتى بألفاظ كثيرة لا تعرفها العرب وكان يأخذها من الكتب منها قوله . . . . ومنها قوله :ـ

قَمَرٌ وساهُورٌ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

وزعم أهل الكتاب أن «الساهور» غلاف القمر يدخل فيه إذا انكسف وكان يسمّى السموات « صاقورة » و «حاقورة» ، ويقول « وأبدت الثغرورا » يريد الثغر . وعلماؤنا لايرون شعره حجة على الكتاب . »

ونحن نورد فيما يلى ثبتا بالغريب فى شعر أمية[1] مرتبا على حروف المعجم :

الأرخ — الأطـــوم (ص ٥٥) — أمط ص ٤٦) — بداح (ص ٢٦) — بديد (ص ٢٦) ـ البيقورا (ص ٣٦) تقنا (ص ٦٢) متلمد (ص ٢٤) الثأط (ص ١٨) و « ثأط » (ص ٢٦) — الثلل (ص ٤٧) — الجلاحة (ص ٢١) ـ حاقورة (ص ٢٤) — خرمد (ص٢٦) ـ حزجل (ص٤٦) — الحش (ص٥٧) ـ يخرمس (ص٥٥) مدسورا (ص ٣٦) — دسفانا (ص ٦٢) ـ دقعة (ص ٤٠) —«دقطا» و « دقطانا » (ص ٦٣) ـ رح رحارح (ص ٢١) — رذوم (ص ٤٠) ساهور (ص ٢٥) — السراطمة (ص ٢١) — السرافيل (ص ٢٥) سفوّرا (ص ٣٦) ـ السلاطح (ص ٢١) ـ السليطط (ص ٣٣) — سنفـة (ص ٣٥) — شحيطا (ص ٥٠) ـ الشيزى (ص ٢٧) — صئبانا (ص ٦٢) — صاقورة (ص ٢٤) — صلقنا (ص ٤٧) الصوافى (ص ٢٥) ـ طخرورا (ص ٣٦) ـ الطّوط (ص ٢٦) — عثكال (ص ٥٠) ـ أعلاط (ص ١٩) ـ عناص (ص ٢٤) ـ القراريس

(١) ديوان أمية بن أبى الصلت ؛ جمع الاستاذ (بشير يموت) ؛ بيروت ؛ المطبعة الوطنية ١٩٣٤ .

(ص٤٨) ـ فسيطا (ص٣٦) ـ فوقة (ص٣٩) ـ القومان (ص ٤٨) ـ القرق (ص١٩) ـ الكتاب (ص١٨) ـ تكرد (ص٢٠) ـ نوّخها (ص ٢٣) ،، [١]

(٤) إن دراسة كلام المعبود موضوع غاية فى الأهمية فما فيه من الأمر المستعلى ، ومن النهى المقتدر، ومن الإيجاز المقصود إثباتا للقوة والاستعلاء ؛ وما فيه من أساليب الترغيب والترهيب ، والحجاج والتبيين ، وما سوى ذلك ، كل أولئك يتخذ صورة خاصة تشعر السامع (أو القارئ) أنه فى مجال الدين لا فى سواه .

( ) وليس ثمة لغة دينية لاتبرع فى استغلال الامكانيات الصوتية للغة التى توضع بها . كتتابع الأصوات، والسجع ، والفواصل ، وتنغيم الكلام بحيث تحدث الأثر المطلوب إذ كان التأثير الصوتى من أهم المداخل إلى النفس البشرية ؛ والأصل فى الكثير من الكلام الدينى أن يُرتَّل ويُنشد موقعا منغما ، مصحوبا بموسيقى أو غير مصحوب ، ومصحوبا بموسيقى ورقص عند بعض الجماعات . وكثيرا ماينتج عن الرغبة فى تحقيق أثر موسيقى معين أن تُغيَّر الكلمات عن صورها المألوفة ، .

١ ـ ومن ذلك ورود (يحضرون) و (ارجعون) بدلا من (يحضرونى) و (ارجعوني) فى قوله تعالى : ،، وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرونِ . حتى إذا جاء أحدهم الموتُ قال رب ارْجِعونِ . ،، (المؤمنون آيات ٩٧ ـ ٩٩) . ومنه ورود (أطيعون) بدلا من (أطيعوني) فى قوله تعالى حكاية لقول نوح لقومه : (قال ياقوم إنى لكم نذير مبين . أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) (نوح ٢ ـ ٣) .

---

(١) (عن : محمود السمرات : الصناعة الشعرية فى العصر الجاهلى من حيث الموسيقى وبنية القصيدة ص ١٢٨ ـ ٣٣ (نسخة على الآلة الكاتبة محفوظة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية) . وقد اكتفينا هنا بذكر الكلمات الغريبة ولكنا فى الأصل أوردنا بعد كل كلمة النص الشعرى الذى وردت فيه ، وأشرنا إلى موضعها من ديوان أمية في الهامش لا بعد الكلمة مباشرة) .

٤ ـ ودارس شعر عمر بن الفارض الصوفى (٥٧٦ ـ ٦٣٢ هـ) يجد من الشاعر حرصا على إحداث آثار موسيقية غير تلك التى يحققها الوزن والقافية . وقد يبالغ ابن الفارض فى ذلك أحيانا إلى درجة الإملال والإثقال ، وقد تكون صنعته الموسيقية ، فى جملتها . صنعة لفظية سطحية صارخة ، فهو يكثر من الجناس ومن الكلمات المتوازنة وليس بينها جناس ومن تقطيع البيت أقساما متوازنة ، كما يلجأ إلى التصريع فى أواسط القصيدة فى بيت أو فى بيتين متتاليين أو فى مجموعة متتابعة من الأبيات ، وإلى التكرار وإلى غير هذا من وسائل اللعب بالكلمات ولكن له أبياتا رقت صنعتها الموسيقية ودقت لحسن إيقاعها فى الأذن ، ومن ذلك قوله :

زِدْنى بِفرطِ الحب فيكَ تحيُّرا

وارْحمْ حشىً بلظى هواكَ تسعَّرا

وإذا سألتُكَ أنْ أراكَ حقيقةً

فاسمحْ ، ولا تجعلْ جوابى : « لَن تَرَى »

يا قلبُ أنت وعدْتنِي فى حبهمْ

صبراً ، فحاذرْ أن تضيقَ وتضْجرا

إنَّ الغرام هو الحياةُ فَمُتْ به

صبًّا ، فحقُّكَ أن تموتَ وتُعْذَرا

قُلْ للذين تقدموا قبلي ومَنْ
بَعْدِي، ومَنْ أَضْحَى لأشجانِي يرى:
«عنِّي خذوا، وبي اقتدوا، ولِيَ اسمعوا،
وتحدثوا بصبابتي بين الورَى»
ولقد خلوتُ مع الحبيب وبيننا
سِرٌّ أرقُّ من النسيم إذا سَرَى
وأباح طرفي نظـــرةً أمَّلتُها
فغدوتُ معروفا، وكنتُ منكَّرا
فدُهِشتُ بين جماله وجلاله
وغدا لسانُ الحالِ عنِّي مُخْبِرا
فأدِرْ لحاظكَ في محاسنِ وجهه
تلقَى جميعَ الحُسْنِ فيه مُصَوَّرا

لو أنّ كل الحسن يكمُلُ صورةً

ورآه ، كان مهلّلاً ومكبّراً ١ .

ومن ذلك قوله ٢ :

أنتم فروضي ونفلي ‏ ‏ ‏ أنتم حديثي وشغلي

يا قبلتي في صلاتي ‏ ‏ ‏ إذا وقفت أصلّي

جمالكم نصب عيني ‏ ‏ ‏ إليه وجّهتُ كُلّي

وسرّكم في ضميري ‏ ‏ ‏ والقلبُ طورُ التجلّي

آنستُ في الحيّ نارا ‏ ‏ ‏ ليلاً فبشّرتُ أهلي

قلتُ امكثوا فلعلّي ‏ ‏ ‏ أجدْ هُداي لعلّي

دنوتُ منها فكانتْ ‏ ‏ ‏ نارَ المُكلَّم قبلي

نوديتُ منها كفاحا ‏ ‏ ‏ رُدّوا ليالي وصلي

صارتْ جبالي دكّا ‏ ‏ ‏ من هيبة المُتجلّي

---

(١) ديوان ابن الفارض : نشر وطبع البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣ ص ٦١ — ٦٢ .

(٢) ديوان ابن الفارض ص ٦٥ — ٦٦ .

ولاحَ سرٌ خفيٌّ يَدرِيه مَن كان مثلي
وصرتُ موسى زماني مُذ صار بعضي كُلِّي
فالموتُ فيه حياتي وفي حياتي قتلي
أنا الفقيرُ المُعنَّى رِقّوا لحالي وذُلّي

إن دراسة موسيقى الكلام الدينى فى كل موضوع من موضوعاته المختلفة ، وفى كل لغة على حدتها ، موضوع خصب قيم .

ومن قول ابن الفارض فى تائيته الكبرى المسماة بنظم السلوك [1] :

سَقتنى حُميّا الحب راحةُ مقلتى
وكأسى مُحيّا مَن عن الحُسن جلّت
فأوهمتُ صحبى أنَّ شُربَ شرابِهم
به سُرَّ سِرّى فى انتشائى بنظرة
وبالحَدَقِ استغنيتُ عن قدحى ومن
شمائلها لا من شَمُولى نشوتى
ففى حانِ سُكْرى حانَ شُكرى لفتية
بهم تمّ لى كَتمُ الهوى مع شهرتى

---

(١) الديوان ص ٨٦ .

وفيها قوله ١ :

ولو أن ما بي بالجبال وكان طُو
رُ سينا بها قبل التجلي لدُكّت

هوىً عبرةٌ نمّت به وجوىً نمت
به حُرَقٌ أدواؤها بي أودت

فطوفانُ نوحٍ عند نوحي كأدمعي
وإيقادُ نيرانِ الخليل كلوعتي

ولولا زفيري أغرقتني أدمعي
ولولا دموعي أحرقتني زفرتي

وحزني ما يعقوبُ بثَّ أقلَّه
وكلُّ بلى أيوبَ بعضُ بليتي

وآخِرُ ما لاقى الأُلى عشقوا إلى الرْ
رَدى بعضُ ما لاقيتُ أوَّلَ محنتي

فلو سمعتْ أذْنُ الدليل تأوُّهي
لآلامِ أسقامٍ بجسمي أضرَّتِ

---

(١) الديوان ص ٨٧ .

لأذكرهُ كرْبي أذى عيشِ أزمةٍ
بمُنقطِعي رَكْبٍ إذا العِيسُ زُمّتِ

ومن قوله في تائيته [١] :

جلَتْ في تجلّيها الوجودَ لناظري
ففي كل مَرْئيّ أراها برؤيةِ
وأشهدتُ غيبي إذ بدت فوجدتُني
هنالك إياها بجَلوةِ خلوتي
وطاح وجودي في شهودي وبِنْتُ عن
وجود شهودي ماحياً غيرَ مُثْبِتِ
وعانقتُ ما شاهدتُ في مَحْوِ شاهدي
بمَشْهَدِهِ للصحوِ من بَعْدِ سَكرتي
ففي الصحو بعد المحو لم أكُ غيرَها
وذاتي بذاتي إذ تحلَّتْ تجلَّتِ
فوصفي إذ لم تدعُ باثنين وصفُها
وهيئتُها إذ واحدٌ نحن هيئتي

(١) الديوان ص ١٠١ — ١٠٢ .

فإنْ دُعِيتُ كنتُ المجيبَ وإنْ أكنْ
منادىً أجابتْ مَنْ دعاني ولَبَّتِ

وإنْ نطقتْ كنتُ المناجِي، كذاكَ إنْ
قصصتُ حديثاً إنما هي قَصَّتِ

فقد رفعتْ تاءُ المُخاطَبِ بيننا
وفي رفعِها عن فرقةِ الفرقِ رِفعتي

وانظر من تائيته الأبيات التي تبدأ بقوله [١] :

مواطنُ أفراحي، ومَرْبَى مآرِبي
وأطوارُ أوطارِي، ومَأمَنُ خِيفتي

إلى قوله :

فقد جَمَعَتْ أحشَــايَ كلَّ صبابةٍ
بها وجوىً يُنبيكَ عن كلِّ صبوةِ

ومما يمثل صنعة ابن الفارض الموسيقية قوله [٢] :

---

(١) الديوان ص ١١٢ .
(١) الديوان ص ٣٠ .

أأُذادُ عن عذب الورودِ بأرضه
وأُحادُ عنه وفى نفاه بقائى

وربوعُ أربى، أجمل وربيعه
طربى، وصارفُ أزمة اللأواء

وجباله لىَ مربعٌ ، ورماله
لىَ مرتعٌ ، وظلالُه أفيائى

وترابُه ندَى الذكىّ ، وماؤه
وِردِى الرَّوِىُّ، وفى ثراه ثرائى

وشِعابُه لىَ جنةٌ ، وقبابُه
لىَ جُنَّةٌ ، وعلى صفاه صفائى

حَيّا الحَيَا تلك المنازلَ والرُّبى
وسقى الوَلِىُّ مواطنَ الآلاء

(٦) وللغة الدينية أساليبها الخاصة فى الرمز والمجاز، وكثير من تصويرها لو أخذ على ظاهره القريب لأوقع فى الخلط، أو لم يحدث الأثر المقصود؛ وهذا باب من أخطر الأبواب التى يُمتحن بها المفسرون والفقهاء واعتماداً على ما فى لغة الدين من الرمز والمجاز توسع «الباطنية» وبعض الصوفية فى

تفسير آيات من القرآن الكريم بحيث تلائم مذاهب خاصة ، ومن أوضح الأمثلة على هذا تفسير محيي الدين بن عربي لآيات قرآنية تفسيراً يؤيد مذهبه في « وحدة الوجود » .

(٧) ومما تتصف به لغة الدين على وجه العموم أنها محافظة موغلة في المحافظة وأن ما يطرأ عليها من تعديل شيء جد طفيف ، وقد يضاف إليها من وقت إلى آخر شيء قليل نادر . ولا نعني بذلك « كلام » المعبود فهو بطبيعته مقدس ، تحميه الجماعة أو تحاول أن تحميه من كل تغيير ، وإنما نعني الكلام الديني المستعمل في سائر المجالات الدينية فطبيعة « التقديس » تغلب عليه ولو كان من كلام البشر الذي لا يفترض الدين بقاءه على صورة لفظية واحدة .

١ — ومن تقديس الكلام الديني أن الشعوب الإسلامية التي لا تتكلم العربية كالإيرانيين والهنود والأندونسيين والأتراك يرددون بعض عبارات دينية باللغة العربية .

٢ — وصفة التقديس وما تستتبعه من محافظة هي من أهم العوامل التي دعت الكنيسة القبطية في مصر إلى أن تحتفظ حتى اليوم باللغة القبطية في كثير من طقوسها ومراسمها وعباداتها واحتفالاتها (كمراسم الزواج والممات ... الخ) مع جهل أكثر الأقباط الحاليين باللغة القبطية ، بل مع جهل بعض من يرددون هذه العبارات من رجال الدين بها .

٣ — ومن صفة التقديس أن المساس بالكلام الديني مساسا غير لائق في عرف الجماعة يؤدي بفاعله إلى غضب ومقت ومصائب وأضرار ، وبعض

ألوان هـذا المساس قد يغاضى عنه ، وينظر إليه على أنه شارة على طبقة وضيعة من الجماعة ، كلعنة الدين الجارية على ألسنة كثير من عامة المصريين .

وربما كانت هذه العبارة فى أصلها بقية من العبارات المستعملة أيام تعـدد الأديان فى الجماعة ، وربما كان الأصل فيها سب أصحاب دين لأصحاب دين آخر . ومن ذلك عبارة « يابن الذين آمنوا » وهى عبارة سب فى العامية المصرية ترجح ألفاظها أن الأصل فيها سب غير المسلمين للمسلمين ، لما كانت « الذين آمنوا » عبارة كثيرة التردد فى القرآن والحديث ، وربما يؤدى هذا إلى فرض آخر هو أنها نشأت على ألسنة الأقباط المصريين سبّا لمن ترك دينه منهم إلى الإسلام بعد الفتح العربى لمصر . ولا شك فى أن هذه العبارة وأمثالها يجب تعقب استعمالها تاريخيا للوصول إلى أقـــدم استعمال لها والظروف المحيطة به حتى تفسر التفسير العلمى الصحيح . وهـذه العبارة لاتختص الآن بسب أصحاب دين لأصحاب آخر بل يسب بها المسلم أخاه المسلم فقد تسمع فى مصر مسلما يقول لآخر : « اسكُتْ يابْن الذين آمنوا » !! .

(٨) ومن جوانب استعمال الـكلام فى الشئون الدينية فى الاسلام :

١ — لغة الأذان ، والأدعية ، والصلوات ، وخطب الجمعة ، والأوراد ، والأذكار .

٢ — واللغة المستعملة فى الحج فى مراحله المختلفـة ، كلغة السعى بين الصفـا والمروة ولغة الطواف ولغة الرجم ، ولغة الدعاء .

٣ — ومن ذلك اللغة المتصلة بالموت كالصلاة على الميت : والـكلام الذى

يقال أثناء تشييع الجناز ، وما يقال عند دفن الميت ، وبعده ، وفى التعزية وفى الشكر عليها . ومن العبارات المستعملة فى مصر فى مجال التعزية :

« البقية فى حياتك » ، « البقية فى دين محمد » ، البركة فيك ... شكرَ اللهُ سعيَكم » ، « أعظمَ اللهُ أجرَكم » .

٤ - واللغة المستعملة فى عقد القران ، كتلاوة القرآن وكلمة « المأذون » ، وصيغة العقد ، وكلام المهنئين يبرز فيها طابع المحافظة ، والحرص على ترديد عبارات بعينها لتأدية وظائف خاصة .

٥ - وفى عبارات التهنئة فى كثير من اللغات لون دينى ومن ذلك فى مصر : (مبروك - مبارك - الله يبارك فيك .. الخ) .

إن دراسة اللغة المستعملة فى كل حال من هذه الأحوال كفيلة بأن تكشف عن كثير من الحقائق اللغوية .

(٩) ومن الملاحظ أن كثيرا من العبارات الدينية يجد سبيله إلى ألسنة الجماعة فى أحاديثهم العادية اليومية . وقد لا يتخلص منه ... المتحدون منهم

١ - وأشهر هذه العبارة يوجد فى « القسم » فنحن نسمع فى مصر بالعامية : وَاللهِ - واللهِ - والله العظيم - وربنا - والّلى خلقك - والنبى وحياة النبى - وشباك النبى - والمصطفى - والمصحف - والمصحف الشريف - والقرآن - والقرآن الكريم - والكعبة الشريفة - والسيدة زينب وسيدنا الحسين - والمُرسى (من أبى العباس المرسى) وسيدى ياقوت العرشى (وهذان الأخيران كثيرا الاستعمال فى الإسكندرية) . ونسمع على ألسنة الأقباط : والعذرا - والصليب - والمسيح - وستنا مريم ؛

ومن الملاحظ أنهم يتحاشون النطق بهـــذه الأقسام المسيحية أمام المسلمين ويستعملون فى حضرتهم « والله ـ والله العظيم الخ » .

والقسم بعبارات دينية خاصة هو الذى تستهل به شهادة الشاهد فى التقاضى ويستعمل بين جماعات كثيرة كوسيلة لفض المنازعات .

ومن الملاحظ أن القسم ـ والقسم بأساليب خاصة ـ يكثر على ألسنة النساء . وعلى الباحث أن يفرق بين مايختص به الرجال وما يختص به النساء ، وما يشترك فيه الاثنان على حد سواء أو على خلاف فى الدرجة .

ومن العبارات الشائعة على ألسنة المسلمين المتكلمين بالعربية « لا حول ولا قوة إلا بالله » ، و «أستغفر الله » و «أعوذ بالله» و «اتكل على الله»

٢ ـ ولغة السائلين جلها عبارات دينية وأشعار دينية ومن عباراتهم المشهورة فى السؤال : لله ـ أعطنا مما أعطاك الله ـ يارب يا كريم ـ يا كريم ـ حسنة لله ـ شى لله ياسيدى ـ شى لله يا أسياد . والرد على السائلين عندعدم إعطائهم من عباراته فى مصر : عَلَى الله ـ ربّنا يِديك ـ ربّنا يرزُقك . وسمعت من ذلك فى ليبيا : «ربّنا يتُوبْ » «ربّى يتُوبْ» « يتُوب » .

٣ ـ ومما يكثر استعماله على ألسنة المصريات لأطفالهن الذكور فى ظروف خاصة : اسْم النَّبى حارسك وصاينك ـ اسم النبى حارسك ـ رَبِنا يحْرُسك ـ اسْم الله عليك ـ ما شاء الله . ويقولون فى ليبيا إظهاراً للإعجاب بطفل : « رَبِّى يصُون »

٤ـ وقد تنتقل كثير من العبارات الدينية الى لغة الغزل والتعريض بالنساء ومن ذلك فى العامية المصرية :

يا دين النبى ! ـ اسم الله ! ـ اسم الله عليك ! ـ اسم الله عليها وعلى مشيتها ! ـ يا جمال النبى !

٥ — وكلام « المبخرين » و « المنجمين » يقوم أكثره على عبارات دينية ، فالمبخر المصرى يقول وهو يعطر المكان ببخوره :

اللهم صلى على النبى ـ الشفاعه للنبى الخ

٦ ـ ومن الملاحظ فى أكثر البلاد الإسلامية استهلال كثير من الكتب والخطب والاعمال بعبارة : « بسم الله الرحمن الرحيم » . كما ترتل فى افتتاح كثير من الاحتفالات غير الدينية ، كالاحتفالات بافتتاح أبنية أو معاهد ، آيات من القرآن الكريم .

(١٠) ومن جوانب دراسة الكلام الدينى دراسة مايقوله اصحاب دين عن أصحاب دين اخر ، وخاصة إن كان هؤلاء وأولئك ينتمون إلى نفس الجماعة ، ككلام المسلمين المصريين عن الأقباط ودينهم ، وكلام الأقباط عن المسلمين ودينهم .

ومما يلاحظ أن الأقباط ، لهذه الأيام ، يتحرجون فى الأغلب من ذكر العبارات الدينية المسيحية على ألسنتهم أمام المسلمين ، ولو كانت من أساليب القسم . كما أنهم يتحاشون بصفة عامة الرد على تحية المسلمين لهم « السلام عليكم » : « وعليكم السلام » لأنها تحية الإسلام ، ويردون قائلين « سعيده »

أو « مع السلامة» أو « نهارك سعيد » ، أو ما أشبه ذلك من عباراتهم ، بينما يستعمل المسلمون المصريون بعض أساليب التحية التى يصطنعها الأقباط.

(١١) ومما يتصل بدراسة لغة الدين دراسة كلام الصوفية والزهاد والرهبان، كلامهم الخاص برياضاتهم النفسية وأحوالهم الدينية ، وكلامهم فى سائر الشئون بما فيها الشئون الدنيوية لبيان مدى تأثر كلامهم فى هذه الشئون بأحوال تصوفهم ، وزهدهم ونسكهم . ومن المعروف أن للصوفية ، على الخصوص ، رموزاً كلامية خاصة بهم ، وعلى الدارس المفصل أن يحددها ، ويبين منشأها ، ووجوه استعمالاتها ودلالاتها .

(١٢) ودراسة كلام المتنبئين والزنادقة والملاحدة عنصر تستكمل به دراسة اللغة الدينية .

(١٣) وللمواسم الدينية — كالاحتفالات بمولد الرسول ، وموالد « الأولياء » ، وعاشوراء ، وليلة القدر ، وشهر رمضان ، والعيدين — كلامها الخاص ، بل إن كلا من هذه وأشباهها لينفرد بكلام .

(١٤) وثمة مجال كبير لدراسة لغة الحياة الدينية يتمثل فى دراسة الكتابات عن الدين وما يتعلق به ، كدراسة اللغة المستعملة فى الفقه ، والحديث ، والتفسير ، وعلم الكلام . ومن واجب الباحث اللغوى كذلك أن يبين ما تلجأ إليه الفلسفة الدينية من أساليب الحجاج دفاعا عن مذهب وهجوما على آخر ، وإثباتا لقضايا الدين ، ورداً على المنكرين . . الخ ، وأن يدرس تطور ذلك كله وأشباهه على مر العصور .

« رحمه الله » . وفى العامية المصرية قد أجيب سائلا يسألنى عمن لا يعلم أنه مات بقولى « البقية فى حياتك » ، أو « الله يرحمه » .

٢ — ويتحرج كثير من الأمهات المصريات من إيراد كلمة « الحصبة » على ألسنتهن ويستعملن بدلا منها « المبروكة » ! والسل من الأمراض التى تكنى عنه كثير من اللغات بالإشارة إلى شدة السعال والبصق وضعف الصدر وغير ذلك .

٣ — والخوف من «الجن» و« الأرواح » و«الشياطين» و «العفاريت» غالب على معظم الشعوب . والمصريون لا سيما النساء يدلون على الجن بـ « الأسياد » ، كما يدلون عليهم أحيانا بـ « الأخوات » إشارة إلى الاعتقاد السائد بأن لكل من الإنس أخا من الجن ؛ وهم عندما يتوهمون أنهم قد يدوسون أحدا من الجان أو قد يقتحمون عليه موضعه يقولون مستأذنين (دستور يا مباركين) ؛ كما يشيرون إلى « العفاريت » أحيانا ، بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » .

٤ — ان كثيرا من المجتمعات — أو كثيراً من الأشخاص فى كثير من المجتمعات — لا يزل يخشى ما كان يخشاه كثير من المجتمعات الإنسانية القديمة من حلول الشر والضر نتيجة للتصريح بكلمات وعبارات تدل على الشر والضر كالموت والأمراض والشياطين . ومن مظاهر هذا تلك العبارات التى تطلقها المصريات لو لفظ أمامهن — ولو على سبيل الحكاية عن غريب — باسم مرض خطير كالسل أو الحمى (الشَّرّ بَرّه وبعيد !) أو (صلّى على النّبى !) أو (يِسْمَع مِن بُقّك !) أو (اللَّهُمَّ احفظنا !) .

٥ ـ والعملية الجنسية ، وأعضاء الذكورة والأنوثة ، والحيض ، والتبرز والتبول يوجد لها فى كثير من اللغات كنايات تفادياً للتصريح بأسمائها ، وقد يكون شىء من ذلك من قبيل التأدب لا قبيل الخوف .

ب « اللائق » و « غير اللائق » من الكلام

ويتصل بموضوع « الكلام الحرام » تلك العبارات والكلمات التى يعدها مجتمع من المجتمعات « غير لائقة » فى مجالات خاصة ، والتى يري فى النطق بها جفوة أو غلظة ، أو سوء أدب ، أو ما هو من ذلك بسبيل

(١) ومقاييس « اللياقة » و « عدم اللياقة » فيما يتعلق باللغة تختلف باختلاف العصور ، وهى فى كل عصر تختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية فى المجتمع الواحد ، وباختلاف اللهجات المحلية ، كما يشترك فى تحديدها عوامل أخرى كثيرة : فانه يسوغ بين جماعة من الذكور أو بين جماعة من الإناث النطق بعبارات وكلمات ولا يسوغ نطقها لو ضم المجلس شخصاً أو أكثر من الجنس الآخر ، وبعض ما يتكلمه الرجل وزوجته حال انفرادهما لا يستعمله أحدهما أو كلاهما فى ظروف أخرى ، وقد يُنصح الصغارُ بتجنب عبارات وكلمات لا يكون فى تفوّه الكبار بها غضاضة ، وقد يُؤْذَنُ للرجال بنطق مالو نطقت به النساء لكان غير لائق ، كما يؤذن للنساء بنطق مالو نطق به الرجال لعدّ غير سائغ . ويقع فيما يدور بين المريض وطبيبه من حديث كلماتٌ وعبارات لا يوردها كل منهما على لسانه فى مجالات أُخَر .

إن مقاييس اللياقة وعدم اللياقة فى المجتمع الكلامى الواحد متعددة ومعقدة ومما يزيد البحث فيها صعوبة أنها تتداخل أحياناً مع ماذكرناه من اعتبارات الخوف الداعية إلى التحريم والتقنيع .

وهذه المقاييس متطورة بطبيعة الحال . وعلى الباحث أن يستقصى العوامل المغيِّرة لها ، وأن يبحث عن آثارها اللغوية . ومن أهم هذه العوامل انتقال المجتمع من الفصل بين الذكور والإناث إلى إباحة الاختلاط بينهم ، فكثير مما كان غير لائق فى الحالة الأولى يُرى عاديا فى الحالة الثانية . والملاحظ أن ما نالته المرأة فى المجتمعات المتحررة المختلطة من استقلال اقتصادى ، وتقدم فى التعليم ، وسعة أفق فى التفكير قد أسهم فى تحرير كلامها ، وفى تخليصه من كثير من الصفات الأنثوية ؛ ومن ذلك أن كلمة Legs لا يحمرّ لهـــا وجه الإنجليزية خجلاً كما كان يحدث لجدتهـا فى عصر سابق[1] .

---

(١) انظر فى مقاييس اللياقة وعدم اللياقة المرجع السابق P. 280

— ١٠ —

الضمائر والمستويات الاجتماعية

(١) يظهر الكلام المستويات الاجتماعية لأصحاب لغة من اللغات بأكثر من صورة، ومن أهم هذه الصور فى كثير من اللغات تصرف الضمائر والصيغ المسندة الى ضمائر »، واللغات فى هذا الشأن متفاوتة فنها مالا يفصل ولا يميز فى الضمائر كبير تفصيل وتمييز للتعبير عن المستوى الاجتماعى للمتكلم والمخاطب والغائب، ومنها ما يميز شيئاً من التمييز فى ضمائر الخطاب على وجه الخصوص، ومنها ما يبلغ باستعمال الضمائر درجة كبرى من التفصيل والتمييز والتعقيد فيتغير كل من ضمير المتكلم والمخاطب والغائب حسب درجة المتكلم فى السلم الاجتماعى من المخاطب والغائب.

(٢) وبنا قبل أن نشير إلى ماتجرى عليه العربية الفصحى فى هذا المجال أن نزيل وهما فى الأوهام قد يكون سببه إحساس المتكلم بالعربية ودرسها على الطريقة التقليدية بأنها حريصة، بصفة عامة، على التمييز بين المذكر والمؤنث، وعلى ربط كل من هذين بعدد معين «مفرد» أو «مثنى»، أو «جمع». قد يظن أن الضمائر يراعى فيها هذا اللون من التمييز، ولكن الاستقراء يظهر أن التمييز لايتحقق فى حالة الضمائر كاملاً بيّنا، كما أنه يظهر أن الضمائر إذا نظر إليها باعتبار التكلم والخطاب والغيبة لاتتفق جميعا فى خصائص واحدة بل يتميز كل منها بصفات. وهذا شاهد بخطأ القول بأن لكل لغة «نظاما» واحداً تسير عليه جميع «أقسامها»، فالحق أننا نجد فى كل لغة مجموعة من الأنظمة، كما قد نجد فى النظام الواحد تفريعات كثيرة أو قليلة.

١ ـ فاذا نظرنا فى **ضمائر التكلم والصيغ «المسندة الى ضمائر التكلم»** فى العربية وجدنا أنه لاتمييز فى حالة المفرد بين المذكر والمؤنث فانه يقال : أنا — كتبتُ ـ أكتبُ ـ فلأكتُبْ ـ كتابى ـ لى ـ إننى — إياى الخ فى حالتى التذكير والتأنيث ، وأنه لاتمييز بين « المثنى » و « الجمع » وفى كل حالة بين ماهو مذكر وما هو مؤنث ، بل هناك مجموعة من الضمائر والصيغ كل منها يستعمل لكل من المثنى والجمع بنوعيهما (نحن — كتبْنا نَكتُب ـ فلنكتُب ـ كتابنا ـ لنا ـ إننا ـ إيانا الخ) . ونستطيع أن نقول إن العربية ـ بهذا الاعتبار ـ تُسَوِّى شيئا من التسوية بين المتكلم والمتكلمة ، كما أنها تلغى بعض الفوارق بين المتكلمَيْن والمتكلمتَيْن والمتكلمين والمتكلمات .

٢ ـ أما فى **ضمائر الخطاب والصيغ المسندة الى ضمائر الخطاب** فالعربية الفصحى تميز بين المفرد والمثنى والجمع ، وهى تميز فى كل من المفرد والجمع بين المذكر والمؤنث ، ولكنها فى حالة المثنى والمخاطب لا تميز بين مذكر ومؤنث (انظر الجدول التالى) .

٣ ـ أما **ضمائر الغياب والصيغ المسندة الى ضمائر الغياب** فانها تظهر شكلاً آخر يختلف عن ضمائر الخطاب : فهى أولاً تميز بين كل من المفرد والمثنى والجمع ، وهى فى حالة المفرد تميز بين ما هو مذكر وما هو مؤنث ، ولكن هذا التمييز فى بعض الصيغ يتأتى عن طريق تغيرات فى بنيه الكلمات جرى النحاة العرب على عدم اعتبارها ضمائر وذلك كالتمييز بين المذكر والمؤنث فى كَتَبَ و كَتَبَتْ ، وفى يكتُب و تكتب ، وفى فليكتُبْ و فلتكتُبْ .
أما فى حالة الغائبين الاثنين فصورة ماجرى العرف على تسميته بالضمير

واحدة لكلا المذكر والمؤنث ، ولكن صور أنواع من الكلمات « المسندة » إلى الغائبين الاثنين يلحقها تغيير للتمييز بين المذكر والمؤنث مثل كَتَبَا وكَتَبَتَا ، ويَكْتُبان وتَكْتُبان ، ولْيَكْتُبَا ولْتَكْتُبَا ، وفى حالة ضمائر جماعة الغائبين تراعى العربية الفصحى التمييز بين المذكرين والمؤنثين (انظر الجدول التالى)

٤ ـ ولا يجوز أن يفهم من قولنا إن صورة الضمير قد تكون واحدة بالنسبة للمذكر والمؤنث جميعا مثل « أنا » ، أو المثنى جميعا مثل « هما » أن « أنا » للمفرد المذكر تطابق « أنـــا » التى للمفرد المؤنث من جميع الوجوه وبجميع الاعتبارات ، فهما وإن كانتا متطابقتين من حيث الصورة إلا أن الأولى متميزة من الثانية من حيث الوظيفة ، ومن حيث عــــلاقاتها بسائر الكلم فى التعبيرات التى تقع فيها ، فانه وإن صحّ لكل من « محمد » « وزينب » أن يقول « أنا أعلم » إلا أن محمداً يقول « أنا كريم » وتقول زينب « أنـــا كريمة » ، وهو يقول « أنا الذى . . . » بينما تقول هى « أنـا التى . . . » وهكذا .

و « نحن » وإن كانت على هذه الصورة للمثنى والجمع بنوعيها ـ وإن لم يوجد فى بعض التركيبات مميِّز شكلى يحددها كاف : « نحن نعلم » فهى صادقة على المثنى بنوعيه والجمع بنوعيه ـ إلا أن بعض الاستعمالات تحـدد أن « نحن » هنا للاثنين أو للاثنتين ، أو لجماعة الذكور أو لجماعة الإناث وذلك مثل « نحن اللذان ـ نحن اللتان ـ نحن الذين ـ نحن اللائى » ... الخ .

الجدول التالى يبين توزُّع الضمائر والصيغ المسندة إلى الضمائر فى العربية الفصحى حسب التكلم والخطاب والغياب ، وحسب الإفراد والتثنية والجمع فى كل حالة من هذه ، وعلى أساس التذكير والتأنيث . ويتضح من هـــذا الجدول ما أشرنا إليه :

التكلم

المفرد – المذكر / المؤنث	المثنى / الجمع – المذكر / المؤنث
أنا	نحن
كتبتُ	كتبنا
أكتبُ	نكتبُ
فلأكتبْ	فلنكتبْ
كتابي	كتابنا
لي	لنا
إنني	إننا
إياي	إيانا
الخ ...	الخ

الخطاب

المفرد – المذكر	المفرد – المؤنث	المثنى – المذكر / المؤنث	الجمع – المذكر	الجمع – المؤنث
أنتَ	أنتِ	أنتما	أنتم	أنتن
كتبتَ	كتبتِ	كتبتما	كتبتم	كتبتن
تكتبُ	تكتبين	تكتبان	تكتبون	تكتبن
اكتبْ	اكتبي	اكتبا	اكتبوا	اكتبن
كتابكَ	كتابكِ	كتابكما	كتابكم	كتابكن
لكَ	لكِ	لكما	لكم	لكن
إنكَ	إنكِ	إنكما	إنكم	إنكن
إياكَ	إياكِ	إياكما	إياكم	إياكن
الخ		الخ ...		الخ ...

الغياب

[المفرد] – المذكر	[المفرد] – المؤنث	المثنى – المذكر	المثنى – المؤنث	الجمع – المذكر	الجمع – المؤنث
هو	هي	هما		هم	هن
كتبَ	كتبتْ	كتبا	كتبتا	كتبوا	كتبن
يكتبُ	تكتبُ	يكتبان	تكتبان	يكتبون	يكتبن
فليكتبْ	فلتكتبْ	فليكتبا	فلتكتبا	فليكتبوا	فليكتبن
كتابه	كتابها	كتابهما		كتابهم	كتابهن
له	لها	لهما		لهم	لهن
إنه	إنها	إنهما		إنهم	إنهن
إياه	إياها	إياهما		إياهم	إياهن
الخ ...		الخ ...		الخ ...	

(٣) ونشرع الآن فى عرض تخطيط عام لدراسة **الضمائر فى العربية الفصحى من حيث اظهارها للمستوى الاجتماعى المتكلمين والمخاطبين والغائبين** ومن أوجب ما على الباحث فى هذا الموضوع أن يدرس هذه الدلالة للضمائر فى كل عصر على حدة، وأن يدرسها فى كل فن من فنون القول وفى كل وظيفة من الوظائف الكلامية على حـــدة؛ وأن يراعى فى كل حالة سياق الكلام والوضع الاجتماعى للمتكلم بالنسبة إلى المخاطب والغائب و ..الخ فمن الخطأ أن نستدل باستعمال الضمير استعمالا خاصاً فى العصر الحديث على أن «العربية» تذهب هذا المذهب أو ذاك، كما أنه من الخطأ أن نستخلص من دلالة خاصة للضمير نجدها فى شعر عصر من العصور أن هذه الدلالة تصدق على الضمير فى كل العصور وفى كل وظائف الكلام، وأنها «لازمة» للأسلوب العربى وقد تظل على هذه الدلالة فى المستقبل كذلك.

١ – إن استخلاص الدلالة الاجتماعية للضمائر فى العصر الجاهلى تستلزم أن نميز بين أنواع كلامية بينة الاختلاف فندرس ذلك فى الشعر مستقلاً، وفى الخطب مفردة، وفى الأمثال على حدتها، وفى كل من الوصايا والحكم وحده، وفى الكتابة وحدها على ندرتها، وفى لغة التخاطب العـادى إذا صحت لنا نصوص فى هذا المجال. وقد يستوجب الأمر تفريعات خاصة بكل قسم من هذه الأقسام. والقراءة السريعة لنصوص العصر الجاهلى تؤدى بنا إلى القول بأن عربية هـذا العصر كانت تدل على المستويات الاجتماعية عن طريق الأسلوب العام واختيار الكلمات، أما الضمـائر والصيغ المسندة إلى ضمائر فلم يكن يلحقها تغيير.

١. ومن الأمثلة الشعرية المثبتة لهذا :

١ — قولُ النابغة فى مدح النعمان والاعتذار إليه مع إشارة إلى «الوشاة»، ولا تغير فى ذلك كله ضمائر التكلم والخطاب والغياب :

أتاني — أَبَيْتَ اللعنَ — أنكَ لُمْتَنِى
وتلك التي تَستكُّ منها المسامعُ

مقالةَ أنْ قد قلتَ «سوف أنالُهُ»
وذلك من تلقاء مثلك رائعُ

لَعَمْرِى — وما عَمْرِى علىَّ بهَيِّنٍ
لقد نطقَتْ بُطْلاً علىَّ الأقارعُ

أقارِعُ عوفٍ، لا أُحاول غيرَهَا
وجوهُ قرودٍ تبتغى مَنْ تُخادِع

أتاك امرؤٌ «مُسْتَبْطِنٌ لىَ بِغْضَةً»
له مِنْ عدوٍّ مثل ذلك شافعُ

أتاكَ بقول هَلْهَلِ النَّسجِ كاذبٍ
ولم يأتِ بالحقِّ الذى هو ناصعُ

أتاكَ بقولٍ لم أكنْ لأقولَهُ
ولو كُبِّلَتْ فى ساعدىَّ الجوامع

وفى آخر القصيدة :

أتُوعِد عَبْداً لم يَخُنْكَ أَمانَةً
وَيُتْرَكُ عَبْدٌ ظالمٌ وَهْوَ ضالِعُ
وأنت ربيعٌ يَنْعِشُ الناسَ سَيْبُه
وسيفٌ أُعِيرَتْه المنيّةُ قاطع
أَبَى اللهُ إلا عَدْلَهُ ووَفَاءه
فلا النُّكْرُ معروفٌ ولا العُرْفُ ضائعُ
وَتُسْقَى إذا ماشِئْتَ غَيْرَ مُصَرَّدٍ
بِزَوْرَاءَ ، فى حافاتها المِسْكُ كانِعُ

٢ ـ ومن أبيات لدُرَيد بن الصِّمَّة وفيها حديث عن قومه وموقفه منهم وموقفهم منه وعن أخيه وأمه ، ورثاء لأخيه ، ولا تغيير فيها للضمائر أو للصيغ المسندة إلى الضمائر لإظهار هذه المستويات المختلفة :

أمَرْتُهُمُ أمْرِى بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى
فلم يَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إلا ضُحَى الغَدِ
فلما عَصَوْنِى كنتُ منهم وقد أرَى
غَوَايَتَهم ، أنِّى بهم غيرُ مهتدِ

وهل أنا إلا من غَزِيَّةَ ؟ إنْ غوتْ
غَوَيْتُ ، وإنْ ترشُدْ غزيةُ أرْشُدِ

دعاني أخي ، والخيلُ بيني وبينَهُ
فلمّا دعاني لم يجدْني بِقُعْدُدِ

أخٌ أرضعَتْني أمُّهُ من لِبانِها
بِثَدْيِ صفاءٍ بيننا لم يُجدَّدِ

فجئتُ إليه ، والرماحُ تنوشُه
كوقعِ الصياصي في النسيجِ المُمَدَّدِ

وكنتُ كذاتِ البوِّ ريعتْ فأقبلتْ
إلى قِطَعٍ مِنْ جلدِ بوٍّ مُجلَّدِ

فطاعنْتُ عنهُ الخيلَ حتى تنفَّستْ
وحتى علاني حالكُ اللونِ أسودِ

قتالَ امرئٍ آسى أخاه بنفسه
ويعلمُ أنّ المرءَ غيرُ مُخلَّدِ

تَنَادَوْا وقالوا : « أردتِ الخيلُ فارساً »

فقلتُ « أعَبْدُ اللهِ ذلكمُ الرَّدِى ؟ »

فإن يكُ عبدُ اللهِ خلَّى مكانَهُ

فما كان وقّافاً ولا طائشَ اليد

٣ ومن مخاطبة عظيمين قولُ زهير بن أبى سُلمى يمدح هرم بن سنان والحارث بن عوف :

يميناً لنعمَ السيدانِ وُجِدْتُما

علَى كلِّ حالٍ من سَحِيل ومُبْرَمِ

تداركتُما عبساً وذُبْيانَ بعدما

تفانَوْا ودقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشِمِ

وقد قلتما إنْ نُدْرِكِ السلمَ واسعاً

بمالٍ ومعروفٍ من الأمر نسْلَمِ

فأصبحَ يَجْرِى فيهمُ من تلادِكُمْ

مغانمُ شتَّى من إفالِ المُزَنَّمِ

ولا نظن أن الضمير فى « تلادكم » القصد منه تعظيم هذين السيدين إنما الأقرب أنه إشارة إلى العشيرة .

٤ ومن الحديث عن الصاحبة ومخاطبتها قول عنترة بن شداد العبسي :

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الحُتُوفَ كَأَنَّنِي
أَصْبَحْتُ عن غَرَضِ الحُتُوفِ بِمَعْزِلِ

فَأَجَبْتُهَا « إنَّ المَنِيَّةَ مَنْهَلٌ
لابُدَّ أن أُسْقَى بِكَأْسِ المَنْهَلِ

فاقْنَيْ حياءكِ لا أَبَالكِ واعلَمِي
أَنِّي امرؤٌ سأموت إنْ لم أُقْتَلِ »

٢. والضمائر والصيغ المسندة الى ضمائر فى الخطب والأمثال والحكم والوصايا لاتظهر تغييراً بتغير المستويات الاجتماعية .

١ً لاحظ الضمائر فى خطبة قس بن ساعدة الإيادى المشهورة : «أيها الناس اسمعوا وَعُوا ، إنَّهُ من عاشَ مات ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت . . الخ) . وفى حكمه : « . . ولاتشاور مشغولاً وإنْ كان حازما ، ولا جائعا وإنْ كان فَهِماً ، ولا مذعوراً وإنْ كان ناصحا » .

٢ً ومن خطبة منسوبة إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدى يقال إنه ألقاها أمام كسرى أنو شروان يخاطبه فيها . « . . . فاجتبذ طاعتنا بلفظك واكتظم بادرتنا بحلمك ، وألِنْ لنا كنفك يلِنْ لك قيادتنا . فانا أناس لم تُوَقِّصْ صَفَاتنا قِراعُ مناقير من أراد لنا قضما ، ولكن منعنا حمانا من كلِّ مَنْ رَام لنا هضما » .

٣ . ومن الأمثال الجاهلية :

(إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا) و (ذكّرتني فُوكَ حمارَيْ أهلي)

و (تجشّأ لقمانُ من غير شبع) يضرب لمن يدعي ما ليس يملك .

٤ . وفي لغة الوصايا المنسوبة إلى الجاهلية من والد إلى بنيه أو ابنه ، و من والدة إلى ابنتها أو ابنها لا تتغير الضمائر والصيغ المسندة إلى ضمائر .

ومن ذلك الوصية المنسوبة إلى زهير بن جناب الكلبي يوصي فيها أبناءه :

« يا بَنِيَّ قد كبرتْ سِنّي ، وبلغتُ حَرْساً من دهري ، فأحكَمَتْني التجارب ، والأمور تجربة واختبار . فاحفظوا عني ما أقول وَعُوهُ ، إياكم والخَوَرَ عندَ المصاعب والتواكلَ عند النوائب . . . الخ » .

٢ ـ أما في صدر الاسلام فسنجد أن من الواجب دراسة استعمال الضمائر والصيغ المسندة إلى ضمائر في القرآن الكريم وحده ، وفي الأحاديث النبوية وحدها ، وفي خطاب كل من المؤمنين والكافرين للرسول ، وفي رسائل النبي والخلفاء إلى الملوك والأمراء والعمال وحدها ، فضلاً عن دراستها في فنون القول الأخرى من شعر ونثر .

١ . وفي لغة القرآن تميز بين المواضع التي يتكلم فيها الله تعالى باسمه ، من تلك التي يتحدث فيها عن نفسه بضمير الغيبة ، كما تفرد خطابه للرسول من خطابه المؤمنين ومن خطابه الكفار ، ومن حديثه عن أولئك جميعا ، وتفصل خطاب المؤمنين لله ، من خطاب الكفار له ، ومن خطاب الرسول إياه .

وسنلاحظ فى تكلم الله جل وعلا باسمه أنه يتكلم أحيانا بضمير المتكلم المفرد ، وأحيانا بضمير جماعـــة المتكلمين ، ومن الواجب ربط كل ذلك بظروفه وتفسير الاختلاف فى استعمال الضمير والاستعانه بما كتبه المفسرون وعلماء البلاغة فى هـذا الشأن .

١ ومن تكلم الله جل وعـز باسمه بضمير الجمـع قوله تعالى :

« إن إلينا إيابَهُم ، ثم إن علينا حسابَهم » (سورة الغاشية) : « لقد خلقْنا الإنسان فى كَبَدْ » (سورة البلد) ؛ و : « ألم نجعلْ له عينيْن ولسانا وشفتيْن ، وهديْناه النَّجْدَيْن . » (سورة البلد) ؛ وفى سورة البلد كذلك ؛ « والذين كفروا بآياتنا هم أصحابُ المَشْأمة ، عليهمْ نارٌ مُؤْصدة . »، ومن ذلك : « إنا أنزلْناه فى ليلة القدر » .

وقوله تعالى : « إنا أعطيناك الكوثر ، فَصَلّ لربك وانحر ، إن شانئَكَ هو الأبْتَر » .

وفى سورة المطففين : « إذا تُتْلَى عليه آياتُنا قال أساطير الأوّلين » .

وفى سورة التين : « لقد خلقنا الإنسانَ في أحسنِ تقويم ، ثم رَدَدْناهُ أسفلَ سافلين » .

وفى سورة النبأ :

« ألم نجعل الأرضَ مِهاداً ، والجبال أوتاداً ، وخلقنا كم أزواجاً ، وجعلنا نومكم سُباتا ، وجعلنا الليلَ لِباساً ، وجعلنا النهار معاشا ، وبَنَيْنَا فوقَكُم سبعاً شداداً ، وجعلنا سراجاً وهّاجا ، وأنزلنا من المُعصِرات ماءً ثجّاجا ، لنخرج به حبّاً ونباتا ، وجناتٍ ألْفافا »

وفى نفس السورة « إنهم كانوا لا يرجُون حسابا ، وكذّبوا بآياتنا كِذّابا . وكلّ شيءٍ أحصيناه كِتابا ، فذوقوا فلن نَزيدكم إلا عذابا » .

وفى السورة نفسها « إنّا أنذرناكم عذابا قريبا » .

٢ ومن تكلم الله عزوجل باسمه بصيغة المفرد قوله تعالى فى سورة الفجر : « يأيتها النفس المطمئنة ، ارْجِعى إلى ربك راضية مَرضيّة ، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » . وفى سورة الليل آيات يستعمل فيها ضمير جماعة المتكلمين وفى آخرها آية يستعمل فيها ضمير المفرد المتكلم ، وهى قوله تعالى :

« فأما من أعْطى واتّقَى ، وصدّقَ بالحُسْنى ، فسنُيَسِّرهُ لليُسْرَى ، وأما من بَخِلَ واستغنى ، وكذّبَ بالحُسْنَى ، فسنُيَسِّرهُ للعُسْرَى ، وما يُغْنِى عنه مالهُ إذا تَرَدّى . إن علينا لَلْهُدَى وإنّ لنا للآخرةَ والأولى . فأنذرتُكم ناراً تَلَظّى ، لا يَصْلاَها إلا الأشْقَى الذى كذّبَ وتوَلّى . . . » .

وفى سورة الأعلى يتكلم الله تعالى بضمير جماعة المتكلمين ثم يشير إلى ذاته العلية بضمير المفرد الغائب لا بضمير الغائبين ، ثم يعود إلى الكلام بضمير جماعة المتكلمين :

« سَنُقْرِئُكَ فلا تَنْسَى ، إلاَّ ماشاءَ الله إنه يعلم الجَهْرَ ومايَخْفَى ، ونُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى » .

٣ً والله تعالى يتحدث عن ذاته فى القرآن بضمير المفرد الغائب ومسندا الصيغ الى المفرد الغائب ، ولا نجد آية من الآيات يشير فيها الله إلى ذاته بضمير جماعة الغائبين أو باسناد الصيغة إلى جماعة الغائبين أو بما سوى ذلك ، ومن هذا ماورد فى الآيات السابقة وما نجده فى سورة « عَبَسَ » :

« قُتِلَ الانسانُ ما أَكْفَرَه ، من أى شيء خلقه ، من نُطفة خلقه فقدره ، ثم السبيلَ يَسَّره ، ثم أماته فأَقْبره ، ثم إذا شاء أَنشرَه ، كلاَّ لَمَّا يقض ما أمره . »

وإن كنا نلاحظ أنه بعد هذه الآيات مباشرة أخذ الله تعالى فى التكلم باسمه بضمير جماعة المتكلمين :

« فَلْيَنظر الانسانُ إلى طعامه ، إنَّا صَبَبْنَا الماءَ صبا ، ثم شققْنا الأَرضَ شقًّا ، فأنبتنا فيها حَبًّا وعنبا وقَضْبا . الخ » .

ومن الأمثلة الشبيهة بهذا قوله تعالى : « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » . وقوله تعالى : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلةَ الشتاء والصيف ، فَلْيَعبُدُوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » وقوله : « سبِّح اسم ربك الأعلى ، الذى خلق

فسوّى ، والذى قدّرَ فهدى ، والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحْوى . »
(سورة الأعلى) . وقوله الكريم : « أنه هو يُبْـدِئُ ويعيد ، وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعّالٌ لما يريد . » (سورة البروج) .

نرى من هذا أن الله عزوجل يتكلم باسمه متخذا ضمير جماعة المتكلميْن مرة ، ومتخذاً ضمير المتكلم المفرد مرة ، ولـكن التعظيم وإعلاء الشأن لم يمثلا مرة فى القرآن ، ولا فى غير القرآن ، باستعمال ضمير المتكلميْن الاثنين وقد يعترض على هذا بأن ضمير المتكلمينَ يطابق فى الصورة ضمير المتكلميْن الاثنين ، والرد على هذا أن بعض السياقات تحدد أن المقصود بالضمير هو ضمير جماعة المتكلمين كما يتضح ذلك من قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا لنا له لحافظون » . كما أننا نرى مما تقدم أن القرآن لا يستعمل ضمير جماعة الغائبين أو الصيغ المسندة إلى جماعة الغائبين عند الإشارة إلى الله جل شأنه ، ولا ضمير الغائبين الاثنين أو الصيغ المسندة إلى الغائبين .

٤ - اما خطاب المؤمنين لله ودعاؤهم اياه فنجد أن القرآن يستعمل فيه ضمير المخاطب المفرد ومن أشهر الأمثلة على ذلك فاتحة الكتاب : « الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين آمين »[1]

---

(١) نجد فى شعر أمية بن أبي الصلت الثقفي بيتاً يدعو فيه الله بضمير المخاطب المفرد :

لك الحـــمد والنعماء والملك ربنا
فلا شيء أعلى منـك مجـداً وأمجـد

ومن ذلك قوله تعالى :

« وما تَنقِمُ منا إلا أن آمنَّا بآيات ربنا لما جاءتنا، ربنا أفرِغْ علينا صبراً وتوفَّنا مسلمين ». (الأعراف آية ١٢٦ ـ قصة موسى وفرعون والخطاب فى « تنقم » (لفرعون) .

٥ً وأما خطاب الله للمؤمنين وحديثه عزوجل عنهم فهما مثل خطابهم اياه لايستعمل فيهما إلا الضمائر العادية كذلك . ومن أمثلة خطاب الله للمؤمنين وحديثه عنهم قوله تعالى فى سورة الأنفال (آيات ١٥ ـ ١٧) :

« يأيها الذين آمنوا إذا لقيتُم الذين كفروا زحفاً فلا تُولُّوهم الأدبار . ومن يُولِّهم يومئذ دُبُرَه إلا مُتحرِّفاً لقتال أو مُتحيِّزاً إلى فئة فقد باءَ بغضبٍ من الله ، ومأواه جهنمُ وبئسَ المصير . فلم تقتلُوهُم ولكنَّ الله قتلهُم وما رَميْتَ إذ رَميْتَ ولكنَّ الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً إن الله سميع عليم .

„ وقوله تعالى فى الأنفال آية ٧٢ : „ إنَّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضُهم أولياءُ بعض ، والذين آمنوا ولم يهاجروا مالَكُم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا ، وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصرُ إلاَّ على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير ‟ ،

ومن حديث الله عن المؤمنين : « لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذّاباً » (سورة النبأ) .

وننتقل الآن إلى الضمائر والصيغ المسندة الى ضمائر التي يستعملها القرآن فى الكلام عن العلاقة بين الله عز وجل وبين الكفار .

٦ - أما خطاب الكفار لله فتستعمل فيه صيغة المفرد فى الأغلب وصيغة الجمع احياناً ، وأمثلة هذا النوع قليلة فى القرآن ومنها قوله تعالى :

„ وأنذر الناس يومَ يأتيهم العذابُ فيقول الذين ظلموا رَبَّنَا أخِّرْنا إلى أجلٍ قريب نُجِبْ دَعْوَتَكَ ونَتَّبِعْ الرسل ، أَوَلَمْ تكونوا أقسمتم من قبلُ مالكم من زَوَال . „ (إبراهيم آية ٤٤) ومنها : „ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ، رَبَّنَا أَبْصَرْنا وسمعنا فارْجِعْنَا نعملْ صالحا إنا موقنون „ (السجدة آية ١٢) : ومنها قوله تعالى « حتى إذا جاء أحدَهم الموت قال ربِّ ارْجِعُون » (المؤمنون آيه ٩٩) .

ومن أمثلة هذا النوع : « وقال الذين كفروا رَبَّنَا أرِنَا اللذين أضلاَّنا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين » (فصلت آية ٢٩) و : « . . . ويوم يناديهم أين شركائى قالوا آذنّاك مامنّا شهيد » (فصلت آية ٤٧) و « قالوا ربنا غَلَبَتْ علينا شِقْوتنا وكنا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها فإنْ عُدنا فإنا ظالمون (المؤمنون ١٠٦ - ١٠٧) .

٧ - وأما خطاب الله للكفار فأمثلته فى القرآن كثيرة نكتفى منها بقوله تعالى :

„ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً „ (سورة النبأ آية ٣٠) . وهذا الخطاب تستعمل فيه الضمائر والصيغ المادية .

٨ – وحديث الكفار عن الله يمثله قوله تعالى :

„ إن الله لايستحي أن يضرب مثــــلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحقُّ من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يُضِـلُّ به كثيراً ويَهْدي به كثيراً وما يُضِـلُّ به إلا الفاسقين „ (البقرة آية ٢٦) ، „ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنَّى يُحيِي هذه اللهُ بعـــد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه . . . . . فلما تبيَّن له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير » (البقرة آية ٢٥٩) .

وفي الحديث عن عاد وثمود قال تعـــالى : « إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أُرْسِلْتُمْ به كافرون » (فصلت آية ١٤) .

٩ – أما حديث الله عن الكفار فمن أمثلته :

« إن جهنم كانت مرصاداً ، للطاغين مآبا ، لابثين فيها أحقابا . لايذوقون فيها بردا ولا شرابا ، إلا حميما وغساقا جزاءً وفاقا ، إنهم كانوا لايرجون حسابا ،وكذبوا بآياتنا كذّابا» (سورة النبأ ٢١ ـ ٢٨)

ومن رواية القرآن لكلام الكفار قوله تعالى : « إنا أنذرناكم عذابا

قريبا يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه . ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا » (النبأ ٤٠) .

وقوله تعالى رواية لكلام الكفار « يقولون أئنا لمردودون في الحافرة ، أإذا كنا عظاما نخرة . قالوا تلك إذن كرة خاسرة» (النازعات ١٠ – ١٣) .

١٠ – والقرآن الكريم عندما يخاطب الرسول يخاطبه بصيغة المفرد ومن ذلك :
« يس ، والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين ، على صراط مستقيم ، تنزيل العزيز الرحيم . »

و « والضحى والليل إذا سجى ، ماودعك ربك وما قلا ، وللآخرة خير لك من الأولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ألم يجدك يتيما فآوى ... »

ومن خطاب الله لرسوله وطلبه اليه أن يقول كلاما : « قل يأيها الكافرون لا أعبدُ ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابدٌ ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين » .

١١ – والقرآن عندما يتحدث عن الرسول فهو يتحدث عنه بصيغة المفرد :

« والنجم إذا هَوَى ، ماضلّ صاحبُكُمْ وما غَوَى ، وما ينطقُ عن الهوى ، إنْ هو إلا وحْيٌ يُوحَى . . الخ . » و « عَبَسَ وتولّى أنْ جاءه الأعمى ، وما يُدريكَ لعلّه يَزّكّى ، أو يَذّكّرُ فتنفعه الذكرى » . (سورة عبس) .

٢ . واذا انتقلنا الى الحديث النبوي وجدنا ان الرسول يتكلم بصيغة المفرد دون تغيير ، ويخاطب المؤمنين والكفار على حد سواء مستعملا الضمائر العادية ، كما ان كلام الناس من مشركين ومؤمنين للرسول لايظهر فيه استعمالات خاصة للضمير او للصيغ المسندة الى ضمائر .

١ً ومن حديث الرسول (صلعم) عن نفسه :

« إن الرائد لا يكذب أهله . والله لو كَذَبْتُ النَّاس جميعاً ما كَذَبْتُكُم ، ولو غَرَرْتُ الناسَ جميعاً ما غَرَرْتُكُمْ . واللهِ الذى لا إله إلا هو إنى لَرَسولُ الله إليكم حقا وإلى الناس كافة . . . وإنكم لَأَوَّلُ مَنْ أُنْذِرُ بين يدى عذاب شديد » .

وفى خطبة الرسول الجامعة فى حجة الوداع أمثلة كثيرة على حديثه عن نفسه بصيغة المفرد : « . . . . وأشهدأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أوصيكم عبادَ الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته ، وأستفتحكم بالذى هو خير ، أما بعدُ اسمعوا منى أبيّنْ لكم ، فانى لا أدرى لعلى لاألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا . . .) .

٢ً والناس على اختلاف طبقاتهم كانوا عندما يخاطبون الرسول يخاطبونه مستعملين صيغة المخاطب المفرد ، واذا تحدثوا عنه تحدثوا بصيغة الغائب المفرد ، ولايستعملون فى جميع ذلك صيغ تكلم خاصة بهذا السياق . والأمثلة النثريةعلى هذا كثيرة فى كتب الحديث ، ومن الأمثلة الشعرية قول قتيلة أخت النضر بن الحارث :

أحمد وَلَدَتْكَ خير نجيبة
في قومها ، والقومُ خالٌ مُعْرِقُ
ما كان ضَرَّكَ لوْ مَنَنْتَ وربما
مَنَّ الفتى وهو المغيظُ المُحْنَقُ
فالنَّضْرُ أقربُ مَنْ قتلتَ قرابةً
وأحقُّهُمْ إن كان عتقاً يُعْتَقُ
لو كنتَ قابل فِدْيةٍ لَفَدَيْتُهُ
بِأعَزِّ ما يُغْلِي به مَنْ يُنْفِقِ

ومن ذلك قول كعب بن زهير :

مهلاً هداكَ الذي أعطاكَ نافلةَ الـ
قرآن فيها مواعيظٌ وتفصيلُ
لا تأخذنّي بأقوالِ الوُشاةِ ولم
أُذنِبْ ، وإنْ كَثُرَتْ فيَّ الأقاويل

ومن الحديث عن الرسول قول كعب بن زهير :

أتيتُ رسولَ الله إذ جاءَ بالهدى
ويتلو كتاباً كالمجرّةِ نيّراً

وقول حسان بن ثابت يخاطب أبا سفيان من سادات قريش ويتحدث عن الرسول :

هجوتَ محمداً وأجبتُ عنه
وعندَ الله في ذاكَ الجزاءُ

أتهجوه ولست له بكُفْءٍ ؟
فشرُّكما لخيرِكما الفداءُ

فمن يهجو رسولَ الله منكمْ
ويمدحه وينصره سواءُ

٣ . واذا نظرنا فى كلام الخلفاء الراشدين عن أنفسهم ، وفى خطاب الناس على اختلافهم اياهم ، وفى حديثهم عنهم لم تجد استعمالات خاصة للضمائر ١ .

١ - فمن حديث الراشدين عن أنفسهم قول أبى بكر الصديق يوم بويع :

« أما بعدُ فانى وُلّيتُ عليكم ولست بخيركم . . . وأن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له الحق ، وأن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق . أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فاذا رأيتمونى على حق

فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فردّونى . أطيعونى ما أطعت الله فيكم فاذا عصيتهُ فلا طاعة لى عليكم ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . »

وقول عمر بن الخطاب إذ ولى الخلافة : « يأيها الناس إنى داع فأمنوا . اللهم إنى غليظٌ فليّنّى لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقنى الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم منى لهم ولا اعتداء عليهم . . . » .

وقول عثمان بن عفان عقب أن بويع : « أما بعد فانى قد حملت وقد قبلت . ألا وإنى متبع ولست بمبدع . ألا وإن لكم علىّ بعد كتاب الله عزوجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثا . . . » .

وقول على بن أبى طالب بعد التحكيم : « . . . وقد كنتُ أمرتُكُمْ فى هذه الحكومة أمرى ، ونخلت لكم مخزون رأيى لو كان يطاع لقصير أمر ، فأبيتم علىّ إباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وضن الزند بقدحه ، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن :

أمرتُكُمُ أمري بمنعرج اللّوَى

فلم تستبينوا النصح إلا ضُحَى الغدِ

٢ ً ومن الأمثلة الشعرية على عدم استعمال ضمائر خاصة عند خطاب الخلفاء الراشدين قول الحطيئة المشهور يخاطب عمر بن الخطاب :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخٍ

زُغْبِ الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ

ألقيت كاسبهم فى قعرِ مُظلِمَةٍ

فاعدلْ عليكَ سلامُ الله ياعمرُ

أنت الامام الذى من بعد صاحبه

ألقى إليك مقاليدَ الورى البشرُ

لم يؤثروك بها إذ قدَّمُوكَ لها

لكن لأنفسهم كانت بك الأُثَرُ

فامنن على صبيةٍ بالرمل مسكنهم

بين الأباطح تغشاهم بها القُرَرُ

أهلى فداؤك كم بينى وبينهمُ

من عرض داويةٍ يَعْمَى بها الخبر

٣ — إن دراسة « الكتابة الديوانية » من أقدم عصورها كفيلة بأن تبين لنا الزمن الذى بدىء فيه باستعمال ضمير المتكلمين للمتكلم الواحد فى الرسائل عندما تصدر الرسالة باسم خليفة ، أو باسم أمير أو وزير إلى من هو أدنى

منه ، كما أنها كفيلة بإظهار ما صحب ذلك من إكثار فى ألقاب التمجيد والتفخيم ، ومدى تأثر العرب فى ذلك بما كان من هذا لدى الأمم الأخرى إن كان ثمة تأثر.

ومن أقدم الكتابات الرسمية التى يتحدث فيها الخليفة ، أو الأمير ، أو الوالى إلى مرءوسيه ، عن نفسه بضمير الجمع ما رواه أبو على القالى فى أماليه عن يونس من أن زياد بن أبيه كان إذا ولىَّ رجلا عملا قال له :

" خُذْ عهدَكَ ، وسِرْ إلى عملك ، واعلمْ أنك مصروفٌ رأسَ سَنَتِك ، وأنك تصير إلى أربع خلال فاخترْ لنفسك : إنّا إن وجدناك ضعيفا استبدَلْنا بك لضعفك وسَلَّمْتُك من معرّتنا أمانتُك . وإن وجدناك قويا خائنا استهنّا بقوتك ، وأحسنّا على خيانتك أدبَك ، وأوجعنا ظَهْرك ، وثقّلنا غُرْمَك . وإن جمعتَ علينا الجُرْمَيْن جمعْنا عليك المَضَرّتين . وإن وجدناك أمينا قويا زدنا فى عملك ورفعنا ذكرك ، وكثّرنا مالك ، وأوطأنا عقبَك "(١) .

ونحن فى العصر الحديث نجد خطاب الملوك والسادة وما يصدر عنهم يختلف عما كان عليه الأمر أيام الجاهلية وصدر الإسلام .

---

(١) أبو على اسماعيل بن القاسم القالى البغدادى : الأمالى ، الجزء الثانى ص ٧٨ - ٨٩ ط . المكتبة التجارية ، مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٥٤

١ - فنحن المصريين كنا نشـــير إلى الملك أيام الملكية بـ « مولانا » و « مولانا صاحب الجلالة » .

والمراسيم التى تصدر باسمه كانت تبدأ بمثل « نحن فؤاد الأول ملك مصر رسمنا بما هو آت . . . »

ولم يكن يسوغ فى مخاطبة رسمية مخاطبته باسمه بل يقال « ياصاحب الجلالة » ؛ « مولانا الملك المعظم » ؛ « جلالتكم » ؛ « ذاتكم الملكية الكريمة » الخ .

٢ - ولكن للشعر لغته الخاصة فالشاعر يباح له أن يخاطبه باسمه ، وأن يشير إلى اسمه مجرداً من كل لقب أو مقروناً بألقاب ، كما يباح له أن يخاطبه بضمير المفرد [١] ، ولذلك فقد أشرنا إلى وجوب دراسة لغة الشعر دون الخلط بينها وبين لغة النثر .

ومن ذلك فى شعر شوقى :

العـــــلم والمُلْك الرفيع كلاهما

لك يا « فؤاد » جلالة ومقـــــام(١)

(١) الشوقيات جـ ١ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٥٣ — جـ ٤ طبعة ثانية مكتبة نفس المطبعة سنة ١٩٥١ . جـ ٤ ص ١٠

و :

«فؤادُ» حلّيتَ جيدَ النيل مأثُرَةً

حذوتَ في صوغها آباءك النُّجُبا[1]

ومن مخاطبة شوقي للملك فؤاد بكنيته، وهي طريقة من خطاب الملوك لم تكن إذ ذاك تستعمل في غير الشعر :

انظر «أبا الفاروقِ» غرسَكَ هل ترى

بالغرس إلاّ نعمـــــــــــــة ونماء[2]

و :

«أبا الفاروق» أقبلْنا صفـــوفا

وأنتَ من الصفـــوف هو الإمامُ[3]

ومن أمثلة مخاطبة شوقي الملك فؤاد معظما ومفخما قوله من بيتين أرسلها في برقية بميلاد «الأميرة» فتحية :

مولاي ! إنَّ الشمسَ في عَليائها

أُنثىَ، وكلُّ الطيباتِ بناتُ[4]

---

(١) ديوان ج ١ ص ٨٤

(٢) ديوان ج ٤ ص ٥٠

(٣) ديوان ج ص ٤ ص ٧٢

(٤) ديوان ج ٤ ص ٧٤

وقوله فى مطلع قصيدة يهنىء بها الدكتور على إبراهيم بمناسبة الإنعام عليه برتبة «الباشوية» سنة ١٩٣٠ :

يد الملك المَلَوِىّ الكريم
على العــلم هزّتْ أخاهُ الأدب

٣ . ولكن اللغة العربية وإن كثر فيها حديثا استعمال ضمير الجمع عند مخاطبة شخص عظيم أو عندما يكون المتكلم شخصاً عظيماً إلا أنها لاتغير من ضمير المتكلم الذى يخاطب العظيم بياناً لأنه أقل منه شأنا أو لأنه ندّله ؛ كما أن العربية لاتستعمل ضمير الجمع الغائب عند الإشارة إلى شخص ذى جاه .

٤. ومما هو جــــدير بالملاحظة أنه يكثر فى لغة التاليف سواء كان المؤلَّف كتاباً علمياً أو أدبياً ، أو مقالة أن يتكلم المؤلفون مصطنعين ضمير جمــاعة المتكلمين (ونحن نرى ــ قلنا ــ أشرنا . . . الخ) ولكن استعمال هذه الصيغة غير لازم فهم يستعملون إلى جوارها صيغة المتكلم المفرد ؛ والدراسة التاريخية لاستعمال هذه الصيغة كفيلة بأن تضع أيدينا على النصوص الأولى التى استعملت فيها .

(٤) وإذا تركنا العربية إلى بعض اللغات الاوروبية الحديثة وجدنا صورا أخرى من العلاقة بين الضمائر وبين المستويات الاجتماعية .

١ ــ فالانجليزية تستعمل ضميراً واحــداً هو You عند خطاب أى إنسان أيا كانت منزلته من المتكلم ، وهذا الضمير هو نفسه الذى يستعمل عند خطاب أكثر من شخص ، كما أنه هو الذى يخاطب به المذكر والمؤنث على حـــد سواء . وبينما الخطاب فى الإنجليزية لا يراعى فيه التفريق بين الواحد وما يزيد عن الواحد ولابين المذكر والمؤنث ، فان التكلم له ضميران أحــدهما للواحد أو الواحدة (I) والثانى لما يزيد عن الواحد مذكرا أو

(١) ديوان جـ ٤ ص ٧٥

مؤنثا أو غيرها (We) ، والغيبة يفرق فيها كذلك بين المفرد وما يزيد عن المفرد ، وهي في حالة المفرد تخصص ضميراً لكل من العاقل والعاقلة وما لا يعقـــل It - She - He أما في حالة الجمع فهي تستعمل ضميراً واحداً هو They . ومعروف أن هذه الضمائر في الإنجليزية تصرفاتها حسب موقعها من الجملة ، والدلالة على الملكية .

وإذا كانت الإنجليزية لا تستعمل في الخطاب عادة إلا ضميراً واحداً هو You – وبذلك يمكن القول ، كما ترى « مرجريت شلاوش »[1] بأنها في هذه الناحية ، لا طبقات فيها » – إلا أنها تستعمل لخطاب المفرد احياناً قليلة ضميراً خاصاً هو (thou) وذلك في الخطاب الجدي ، كالكلام الديني وألوان من الخطابة والشعر أحيانا . إن الإنجليزية تعبر عن منزلة المخاطب من المتكلم عن طريق الأسلوب العام وانتقاء الكلمات ، ولا يزال يستعمل فيها – وإن كان هذا الاستعمال فيما مضى أكثر شيوعا – أسماء مجردة تذكر بعد ضمير الملكية المخاطب (your) عند خطاب الملوك والأمراء والأميرات وحملة الألقاب وحاملاتها وذوى المناصب الرفيعة مثل Your Highness - Your Majesty Your Ladyship - Your Lordship – Your Excellency الخ .

وترى الأستاذة مرجريت شلاوش أن الضمير الذى يمكن أن يحل محل هذه الأسماء المجردة (مثل Excellency وما إليها) في اللغات التي تميز بين الجنس هو ضمير المفردة المؤنثة She (هى) ، وأن الكلمة الإسبانية

---

(1) The Gift of Tongues ‘p. 270

المعاصرة المقابلة لـ « You » مأخـــوذة من اسم مؤنث مرتبط بالتهذب الذى يراعى فى دوائر البلاط والأوساط الراقيـة فـ « Usted » الإسپانية مختصرة من « vuestra merced » التى تقـــابل فى الإنجليزية « Your graciousness » أو « Your mercy » (١)

٢ — أما الفرنسية فمن المعروف أنها فى التكلم لا تميز إلا بين الواحد وما يزيد عن الواحد دون تفريق يقوم على أساس التذكير والتـــأنيث (Nous - Je) وهـــذا النوع من التمييز هو الذى تراعيه فى الخطاب (Vous - Tu) ولكنها فى الغياب تضيف إلى هذا التمييز التفريق القائم على أساس التذكير والتأنيث فللواحد والواحدة Elle - IL ولما يزيد عن الواحد مذكراً Ils وما يزيد عن الواحدة Elles . والفرنسى عند ما يخاطب شخصاً لا يألفه وإن كان فى مستواه الاجتماعى أو شخصاً يعلوه فى السلم الاجتماعى يخاطبه بضمير الجمع vous ، أما فى خطابه أصدقاءه ومن لا كلفة بينه وبينهم فهو يستعمل ضمير المفرد Tu .

٣ — والألمانية [٢] أشـد من الإنجليزية والفرنسية تدقيقاً وتمييزاً فى ضمائر الخطاب للتعبير عن منزلة المتكلم من المخاطب : فالألمانى فى خطابه طفلا أو صديقاً حميماً أو شخصاً يحسّ نحوه زراية واحتقاراً يقول « du » ، وقد يبدو غريبا استعمال ضمير واحد فى خطاب الصديق وفى خطاب من يحس المتكلم نحـــوه زراية ، ولكن هذا هو الذى تسير عليه الألمانية ؛

---

(١) انظر المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

والألمانى إذ يخاطب غريباً عنه يعبر عما بينهما من بعد باستعماله الضمير Sie (وهذه الكلمة مطابقة شكلاً وأصلاً للضمير الذى يعنى «بالإنجليزية they «هم»)؛ أما إذا أراد إظهار الاحترام والطاعة فهو يوجه الكلام إلى المخاطب مستعملا اسماً غائباً (فيقول مثلاً ما يقابل : هل فرغ السيد من احتساء قهوته ؟).

(٥) ولكن هـــذا التفصيل فى الضمائر الذى نجده فى الألمانية وسائر اللغات الأوروبية ، وفى العربية لا يقاس إلى ما يوجد فى بعض لغات الشرق الأقصى كاللغة اليابانية والكورية ولغة والملايو . وهذه اللغات نفسها لا تتفق على صورة واحدة أو متقاربة فى تعبيرها عن المستويات الاجتماعية إنما يتمثل فى كل منها لون خاص .

١ — فاليابانى عند ما يشير إلى فرد من أفراد الطبقة العليا يمنعه تأدبه من أن يستعمل صيغة المبنى المعلوم البسيطة فهذه الصيغة تشعر أن أفراد الطبقة العـــليا مضطرون إلى أن يؤدوا الأعمال بأنفسهم ، ولهذا فهو يختار الـ causative voice معطيا إياهم بهـــذا دور الأشخاص الذين يعملون بواسطة عن طريق الأمر ، أو هو يختار صيغة « المبنى للمجهول » كما لو كان الحدث يقع من تلقاء ذاته [١] .

٢ — أما اللغة الكورية فهى تعبر بالصيغة الفعلية عما إذا كان المتكلم شخصاً رفيع المقام يخاطب شخصا أدنى منه ، أو شخصاً أدنى يخاطب من هو أعلى منه ، أو شخصاً يكلم قريناً (= مساويا) له ، كما أن هذه اللغة تعبر بصيغة الفعل فى الوقت نفسه عما إذا كان هذا الخطاب يحدث باحترام

---

(١) المرجع السابق p. 271

نسبي ، أو باحتقار ، أو بطريقة محايدة لا احترام فيها ولا احتقار.[1]

٣ — وأما المتكلم بلغة اللايو فعليه أن يحدد أولاً : بُعْدَ المخاطب منه في السلم الاجتماعي لأنه حسب هذا التحديد لا يتغير ضمير المخاطب ليس إلا بل يتغير كذلك ضمير المتكلم وسائر الضمائر . وقد رتبت مرجوريت شلاوش [2] عدد الصيغ التي على المتكلم بلغة اللايو أن يختار من بينها حسب المراكز الاجتماعية للأشخاص الثلاثة الذين يحتاج إلى أن يعبر عنهم [3] ، ونحن ننقل عنها هذا الجدول فيما يلي :

---

(١) المرجع السابق PP. 271-272

(٢) المرجع السابق 270-271

(٣) راجع ما يتعلق بالضمير في الفصل الذي كتبه (يسبرسن) بعنوان Person في كتابه (Philosophy of Gramm r PP. 212—225)

وانظر بصفة خاصة كلامه عن « الشخص الرابع » . وراجع الفصول التي كتبها المؤلف عن الشخص والضمائر في كتبه :

Essentials of Engl sh Grammar, PP. 146—196

الشخص المتكلم	أنا : نحن	أنت ، أنتما أنتم أنتن	هو ، هي ، هما هن هم
فلاح يكلم فلاحا آخر	kita نحن : aku	êngkau	dia ia
شخص أعلى يكلم شخصا أدنى باستعلاء	kita نحن : aku	êngkau	dia ، ia
شخص أعلى يكلم شخصا أدنى بطريقة عادية	kita نحن : sahaya	awak, kamu	dia ، ia
شخص عال يخاطب أقرانه برقة	(tuan) hamba	(hamba) tuan	(hamba) tuan
جميع الطبقات في خطابهم الأوروبيين	ktia ! sahaya	tuan	tuan
شخص من الطبقة التي تقل عن طبقة النبلاء مباشرة يخاطب قرينا له	kami	tuan , ênche'	tuan ! ênche'
رجل عامي لرئيسه	(dato') hamba (dato') sahaya	dato'	dato'
‖ رجل عامي لـ (راجا) ‖ راجا لـ (راجا) آخر أعظم منه	patek	êngku têngku	êngku raja!têngku
رعية للسلطان	patek	tuan-ku	tuan-ku!yam-tuan
اللغة الأدبية	beta	sahabat beta	الاسم واللقب

ملاحظة : الصوت الممثل في الجدول بالحرف ê مثلته المؤلفة في الأصل بالحرف e وفوقه مايشبه رقم ٧ . ونظراً لتعذر هذا الحرف عندنا فقد عدلنا عنه إلى الشكل المستعمل في الجدول .

— ١١ —

التطور اللغوى وصلته بالمجتمع

نتحدث الان عن جوانب من تطور اللغة واللغات مبينين مابين هـــذا التطور والعوامل الاجتماعية من صلات ، فنعرف بما يحدث من استمرار لغة على الألسن وانقطاع أخرى ، ومن ظهور « لغة عامة »[1] عن لهجة أو مجموعة من اللهجات (وهو ما يعرف بالتوحّد اللغوى) ، ومن احتكاك بين لغات ولهجات يحدث آثاراً فيها مع بقائها جميعاً على الألسنة .

أ — بقــاء اللغــات وموتهـا

(١) توصف لغات بأنها « حية » وأخرى بأنها « ميتة » . والحق أن هذه الحياة وذاك الموت نسبيان يقاسان باستمرار استعمال هذه اللغات ، أو بانقطاع دورانها على الألسن . إن أية لغة من اللغات هى نظام معين من النظم الاجتماعية ، وهى بهذا الاعتبار خاضعـــة لتطور مشروط بتطور الجماعة التى تتكلمها ، وأية لغة باعتبارها نظاما من العلامات التعسفية المتواضع عليها لايقوم لها وجود إلا إذا استعملتها جماعة من الجماعات .

(٢)وأشهر مايساق من الأمثلة على «موت» اللغات هو اللغة اللاتينية . ولكن اللاتينية لم تمت فى الحقيقة . إنها لم تمت من الناحية التاريخية ، بل أصابتها

---

(1) Common Language

(٢) انظر فى هذا :

Jean Perrot : Linguistique, pp 123 .124

Jespersen : Mankind .... pp. 44-- 45

تغيرات عميقة أنتجت أشكالا حديثة لها أبرزها البرتغالية[١] ، والقشتالية[٢] ، ولغة قطالونيا[٣] ولغة بروفانس[٤] ، والفرنسية والإيطالية ولغة رومانيا[٥] ، والإسبانية . وقد بلغ من شدة هذه التغيرات وعمقها أننا نحس إذا نظرنا إلى الأشكال الحديثة للاتينية بأنها لغات مختلفة .

(٣) ومن اللغات التي توقف الناس عن استعمالهـــا اللغة الغاليـــة[٦] التي أخذت تزول شيئاً فشيئاً إلى أن حلت محلها اللاتينية، ومنها لغة «كورنوال»[٧] وهي لغة كلتية الأصل كان يتكلمها أهل الجزر البريطانية إلى أن حلت محلها اللغة الإنجليزية . ومن ذلك اللغة القبطية في مصر ، والبربرية في أقطار كثيرة من شمال أفريقيا ، فقد حل محل هاتين اللغتين لغة العرب الفاتحين .

(٤) واللغة الهندو أوروبية العامة انبثق عنها عدد كبير من اللغات منها مايعد أصلا أقرب للغات كثيرة ، وكذلك الشأن في اللغة الساميه العامة وفي اللغة الإسكندنافية العامة التي انبثق عنها الأيسلندية[٨] ، واللغة الفورية[٩] ، والنرويجية ، والسويدية ، والدانمركية . واللغة الجرمانية الغربية العامة ظهر عنها الإنجليزية ، والألمانية ، والهولندية[١٠] .

---

(١) Portuguese

(٢) Castilian

(٣) Catalenian

(٤) Provencal

(٥) Roumanian

(٦) Gaulish

(٧) Cornish

(٨) Icelandic

(٩) Foeric

(١٠) فيما يتعلق بتصنيف اللغات وتطورها راجع ما كتبه (انطوان مييه) بعنوان : Introduction A La Classification Des Langages (Linguistique Historique Et Linguistique Générale, Tome II, pp. 53-69) .

ب ـ التوحد اللغوى

(١) فى حياة اللغة ميلان متعارضان: أحدهما نحو التقسم إلى لغات ولهجات، والثاني نحو الوحدة المتزايدة الاتساع . وهذا التقسم والتوحد كلاهما فعل أحداث تؤثر فى الجماعات. ويرى بعض اللغويين أن الاتجاه نحو التقسم أقوى من الاتجاه نحو التوحد ، وأن الاتجاه الأول هو عملية التطور الطبيعية للغة ، ومن هؤلاء اللغويين « وَيْلد »[1] الذى يقرر أن اتجاه اللغة هو نحو « التنوع اللانهائى » . وهؤلاء اللغويون يستشهدون على رأيهم بأدلة كثيرة من بينها أنه ما ظهرت لغة عامة إلا تقسمت فى لغات كثيرة .

ولكن « يسبرسن » يرى أن هناك قوى لا يجوز التغافل عنها تعمل فى الاتجاه المضاد ، وأن «وهذه القوى الموحدة كانت فى العصور التاريخية أقوى فى حقيقة الأمر من القوى المقسمة ، وإنها لكذلك فى الوقت الحاضر على وجه الخصوص ، وستكون كذلك يقينا فى المستقبل»[2] . ومما يستشهد به يسبرسن أن عدد اللغات الآن ، إن كان أكثر منه فى بعض العصور الماضية إلا أن عدد المتكلمين بلغة من اللغات المنبثقة عن لغة عامة ـ فى عصرنا المزدحم بالسكان ازدحاماً لم يعرف من قبل ـ هو فى معظم الحالات أكثر أضعافا

= وبعنوان

le Développement Des Langues op. cit.) pp. (70 83)

وراجع ما كتبه فى الجزء الأول من نفس الكتاب بعنوان

Convergence des Développements Linguistiques (pp. 60 75)

(١) H. . Wyld

(٢) Jespersen: Mankind...p. 44

مضاعفة من مجموع الذين كانوا يتكلمون تلك اللغة العامة . ومن أمثلته على هذا أن عدد من كانوا يتكلمون الجرمانية الغربية العامة ضئيل جداً بالقياس إلى المائة والخمسين مليونا الذين يتكلمون الآن الإنجليزية ، والخمسة والسبعين مليونا الذين يتكلمون الآن الالمانية ، وعشرة الملايين الذين يتكلمون الآن الهولندية . ثم يعود يسبرسن فيحترز بعض الاحتراز مقرراً أنه أيا ما كان الحال فالواقع أن الميل جد قوى نحو أن يكون عدد المتكلمين بلغة واحدة ونفس اللغة أكبر بكثير منه فى أى زمن مضى [١] .

(٣) أما العوامل المعينة على ظهور لغة عامة وعلى نشرها فكثيرة معقدة متشابكة . وذلك لأن الحياة الاجتماعية تقوم على العمل المشترك لقوى كثيرة مختلفة . وهذه العوامل تختلف طبيعة وقوة ودرجة ، فقد تكون سياسية ، أو اقتصادية ، أو قومية ، أو أدبية ، أو غير ذلك .

ودراسة ظهور اللغات العامة التى تكونت فى العصور التاريخية تبين أنه لم يحدث فى حالة من الأحوال أن كان ظهور اللغة المشتركة أو العامة راجعاً إلى عامل فرد ، وإنها لتبين كذلك أنه من العسير فى كثير من الأحوال معرفة أى العوامل كان أقوى أثراً فى تكوين اللغة العامة أو فى إذاعتها .

ولذلك فسنعرض فيما يلى أهم العوامل ذات الأثر فى تكوين اللغات العامة ونشرها ، دون أن يعنى هذا بالضرورة أن هذه العوامل لابد من توفرها فى كل حالة .

---

(1) Jespersen : Mankind ,p. 45

١ – يعتمد التوحيد اللغوي دائماً على الاتصال والاختلاط وعلى الاشتراك في الحياة . والاتصال الفعّال في توحيد اللغة قد ينشأ عن حرب تسبب اختلاط سكان ينتمون إلى أماكن مختلفة ذات لهجات مختلفة ، وقد ينشأ من عقد الأسواق الموسمية ، وعن المصاهرة بين أصحاب اللهجات المختلفة ، هذه المصاهرة التي يدعو إلى قيامها ظواهر اجتماعية ونفسية . وللدين دوره الهام في قيام اللغات العامة ، فالأعياد والاجتماعات الدينية الكبرى تؤلف بين الناس قاصيهم ودانيهم ؛ ومن ذلك أثر اجتماع عرب الجاهلية في مكة خاصة في ظهور اللغة العربية المشتركة ، وما كان لمعبدي دلفي[1] ، وأولمبيا[2] ، في اليونان — وكانا مزار جميع الهيلينيين — وللألعاب الأولمبية عند اليونان التي كان لها دلالة دينية . وللكنيسة دورها الهام في توحيد اللغة في كثير من البلدان ، وإن كانت أحياناً معرقلاً للتوحيد اللغوي عندما تحتفظ بلغة قديمة .

٢ ـ أما الأدب لاسيما الشفوي فمن أكبر القوى العاملة على تكوين اللغات العامة واستفاضتها . فالرواة والقصاص والمنشدون والمغنون كانوا ينتقلون بأدبهم من قبيلة إلى قبيلة ، ومن بلاط ملك أو أمير إلى بلاط غيره ، ولقد كانوا مضطرين في كثير من الأحوال إلى أن يستعملوا نوعاً من الكلام العام يفهم جوهره أصحاب اللهجات المختلفة الذين يعرضون عليهم أدبهم . وكثيراً ما كانوا يعمدون إلى أن يسقطوا من كلامهم ماقد يستعصى على الإدارك من عناصر لهجتهم المحلية ، وهكذا تتكون لغة أدبية عامة . ولقد وجدت في

---

(١) Delphi

(٢) Olympia

أيرلندا فى العصور الوسطى لغة عامة من هذا النوع كان أعظم عامل فى ظهورها راجعاً إلى تأثير القصاص [١] وهكذا كان الشأن فى لغة الأدب اليونانى القـديم: نشأت كل فنون الأدب اليونانى ـ ما عدا المأساة ـ فى المستعمرات اليونانية فيما بين القرنين السابع والخامس قبل الميلاد، ولقد كان بين هذه المستعمرات تبادل قوى. ولغة هذه الآثار الأدبية لا تطابق لغة بلدة خاصة فهذه الآثار الأدبية لم تكن موجهة إلى بلدة واحدة بل إلى مجموعة من البلدان، وإلى اليونان كلها فى واقع الأمر. نعم إن كل فن من فنون الأدب اليونانى كانت لغته الخاصة مصطبغة بلغة ذلك الإقليم الذى ظهر فيه لأول مرة، ولكن مثقفى اليونان فى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد كانوا يفهمون النصوص الأدبية اليونانية وإن كانت مؤلفة بلهجـــات جد نائية.

وإن أثر الأدب فى تكوين اللغات العامة وانتشارها يصحبه ظروف اجتماعية خاصة سياسية واقتصادية وغيرها. أما القول بأن لغة عامة قد كوّنها أديب واحد فهو قول غير صحيح. ومن ذلك الاعتقاد الذى كان سائداً أن الإيطالية قد كوّنها «دانتى» [٢]، والإنجليزية كونها «تشوسر» [٣]، والألمانية كوّنها «لوثر» [٤]، والدانيمركية كونها «كريستين بدرسن» [٥]. فقد أظهر البحث أن كل لغة من هذه كانت مكونة قبل أن يخط هؤلاء حرفاً. ولكن أهمية

---

(١) Saga Men

(٢) Dante

(٣) Chaucer

(٤) Luther

(٥) Christi rn Pedersen

هؤلاء الأعلام أنهم دفعوا ما كان متحركا من قبل فقد اعتبروا نماذج أدبية ، وأخذ يقلد لغتهم أناس ما كانوا لولاهم ليتكلموا أو يكتبوا اللغة العامة .

٣ ـ وأما الحالة السياسية فذات أهمية قصوى فيما يتعلق بالعمل على التوحد اللغوى أو على عرقلته . فاذا قدّر لولايات كل منها مستقل ولكل لهجته أن تتحد تحت حكم واحد كانت الفرصة مواتية لظهور لغة عامة . فالحكومة الواحدة مضطرة إلى أن تخاطب سكان البلاد أجمعين على اختلاف لهجاتهم ، كما أن مقر الحكم من شأنه أن يستهوى الطامحين من مختلف الولايات ، وهؤلاء سيجدون أنفسهم مضطرين إلى التنحى عن كثير من خصائص لهجتهم المحلية . وقد لوحظ أنه حيث تكون الحكومة مركزية إلى حد كبير تنتشر اللغة العامة ، وذلك شأن الإمبراطورية الرومانية القديمة بلغتها اللاتينية الرسمية .

أما ألمانيا التى ظلت قروناً ولايات مستقلة سياسيا وبدون عاصمة فهى مثل على عرقلة الحالة السياسية لظهور لغة عامة . فقد حدث حتى بعد ظهور اللغة الألمانية العامة ـ التى كان يعمل على ظهورها ، من قبل اتحاد ألمانيا قوى أخرى موحدة ـ أن اللغة العامية التى يتكلمها متعلمو الألمان حتى فى أيامنا هذه أكثر تلوناً باللهجات المحلية إذا قيست بعاميات المتعلمين فى معظم البلاد الأوروبية الأخرى . ومن العوامل ذات الأثر فى ظهور اللغة الإلمانية « لغة المحاكم » [١] السكسونية التى كانت تقلدها محاكم أخرى بما فيها محاكم النمسا [٢] التى أصبحت شبه لغة كتابية عامة رسمية .

---

(١) Chancery Language
(٢) Austria

ثم كانت ترجمة « لوثر » للكتاب المقدس ، هذه الترجمة التي كانت كبيرة الأثر حتى في البلاد الكاثوليكية ، بأسلوبها الحي الجديد الطبيعي، وباختيارها للتعبيرات التي لم تكن ملكا خالصا لإقليم ألماني بعينه . ولم يقتصر الأمر على لغة الكتابة فقد كانت ثمة عوامل تعين على نشر لغة الكلام العامة . ومن ذلك أن لغة الكلام الألمانية العامة قد أدخلتها في المناطق الشرقية من ألمانيا طبقة عليا من طبقات المجتمع ، وكانت السلافية [1] لغة الكلام في هذه الأقاليم من قبل . وكانت هذه الطبقات العليا تتكلم الألمانية بصورة بالغة الدقة ، إذ كانوا يحسون أن عليهم أن يتكلموا « كلاما صحيحا » وألا يرسلوا أنفسهم على سجيتها شأنهم في بلد صغير في سكسونيا [2] ، أو تورينجيا [3] أو بافاريا [4] .

٤ ـ ومن أهم العوامل المساعدة على تكوين لغة عامة وانتشارها في المجتمعات الحديثة ، الخدمة العسكرية ، والمدارس والمعاهد والجامعات فهي تتيح الاتصال بين أشخاص من أقاليم مختلفة ذوي لهجات مختلفة ، وهكذا ينفسح المجال لظهور كلام مشترك .

أما السينما والإذاعة والتلفزيون والصحافة فهي من أكبر وسائل نشر اللغة العامة في العصر الحديث ، فكلامها المنطوق والمكتوب يوجه إلى أصحاب اللهجات المختلفة ، فيهنه من حدة الاختلافات المحلية في اللغة .

---

(١) Slavonic
(٢) Saxony
(٣) Thuringia
(٤) Bavaria

٥ ـ وظهور المدن الكبيرة قديماً وحديثاً ـ وقيامها راجع إلى ظروف اجتماعية خاصة ـ خطير الأثر فى توحيد اللغة .

فالدور الذى قامت به أثينا وروما قديما فى تكوين اليونانية واللاتينية وإذا عنهما دور عظيم، ولو لم تكن الاعتبارات السياسية وغير السياسية التى شاركت فى ظهور هاتين اللغتين فقد كانتا ستقومان بهذا الدور . ذلك لأن المدن تجذب جماعات من الناس من أقاليم متفاوتة متباعدة فضلا عن اجتذابها أيضاً من ضواحيها المتاخمة لها . وينتج عن اختلاط هؤلاء المهاجرين بعضهم ببعض ، وعن اختلاطهم بالسكان الأصليين أن تصقل لغة الجميع، وأن ينتهى الأمر بأن يتكلم سكان المدينة الكبرى بطريقة لا تنتظر من موقعها الجغرافى ؛ فالكلام العام المشترك لأثينا لم يكن أتيكيا [١] خالصاً ، والكلام العام لروما لم يكن كلام سكان روما الأصليين ، والكلام العام للندن وباريس فى العصر الحديث ما هو بلندنى خالص أو باريسى خالص . إن هذه اللغات العامة ظهرت فى أثينا وروما ولندن وباريس ولكنها لم تظهر بفضل أثينيين ورومبين ، ولندنيين وباريسيين [٢] .

جـ ــ آثار الاحتكاك بين اللغات واللهجات :

(١) تحدث أحياناً اتصالات بين اللغات واللهجات نتيجة للاتصال بين

---

(١) Attic

(٢) انظر فيما يتعلق بالعوامل المعينة على التوحيد اللغوى :

Jespersen, Mankind..., pp.46—56

وراجع ما كتبه أنطوان مييه بعنوان :

Différenciation Et Unification Dans Les Langues (Linguistique Historique Et Linguistique Générale, pp.100-129)

الجماعات الناطقة بها دون أن ينشأ عن ذلك حلول لغة محل أخرى ، وهذه الاتصالات لها آثارها اللغوية فى اللغات التى يحتك بعضها ببعض ، وقد تكون هذه الآثار أقوى ظهوراً فى إحداها .

١ – ومن ذلك كثرة الكلمات العربية فى اللغة الإسبانية نتيجة لفتح العرب إسبانيا وإقامتهم بها قروناً .

٢ – ومنه ما فى العربية الفصحى منذ الجاهلية من كلمات حبشية ورومية وهندية وسواها لما كان من اتصالات مختلفة الوسائل بين العرب وبين أصحاب تلك اللغات . والدخيل الفارسى قد ازداد فى العربية بعد الإسلام خاصة ثمرةً لازدياد الاحتكاك بين العرب والفرس .

٣ – والفارسية أخذت من العربية بعد الإسلام وكان من أظهر ما استعارته مصطلحات عربية علمية ودينية .

٤ – وكثر الدخيل اليونانى فى العربية لما نقل العرب إلى لغتهم فلسفة اليونان وعلومهم .

٥ – وفى العاميات العربية الحديثة كلمات تركية دخلتها بعد أن آلت الخلافة الإسلامية إلى العثمانيين واستمرت فيهم قرونا . كما أن فيها كلمات أوروبية مختلفة الأصول ، وإن غَلَبَ أصل هنا وآخر هناك ، نتيجة الاستعمار الأوروبي للعالم العربي الحديث ولسوى ذلك من الأسباب ، فتكثر فى العراق ومصر كلمات إنجليزية الأصل ، وفى سوريا ولبنان وتونس والجزائر كلمات فرنسية ، وفى ليبيا كلمات إيطالية ، وفى أنحاء من مراكش كلمات إسبانية .

٦ ـ وقد أخذت العامية المصرية فى السنوات الأخيرة ، ولا تزال ، تؤثر فى سائر العاميات العربية على تفاوت فى الدرجة لمكانة مصر حديثاً من العالم العربى : ووسائل نشر المصرية فى سائر الأقطار العربية من أهمها الأفلام السينمائية المصرية وأكثرها بالعامية ، والأفلام المصرية تكاد أن تكون الأفلام العربية الوحيدة التى تعرض فى كثير البلدان العربية لتخلف الفن السينمائى فى هذه البلاد أو لعدم قيامه أصلا ، ومن وسائل نشر العامية المصرية ما فى الإذاعة والصحافة المصريتين من قصص وتمثيليات وأغان ومقالات بالعامية ، ومعروف أن لهاتين الوسيلتين أثرا فائقا فى سائر الأقطار العربية . وثمة وسائل أخرى لانتشار العامية المصرية منها كثرة الوافدين على مصر من البلاد العربية لتلقى العلم فى مدارسها ومعاهدها وجامعتها ، وللزيادة والاتجار والإقامة ، ومنها البعوث التعليمية المصرية ، وأهمها فى بلاد العرب السعودية ، والكويت ، واليمن ، والعراق ، والسودان ، وليبيا. ولقد نتج عن انتشار العامية المصرية فى سائر الأقطار العربية أن صار أهل هذه البلاد ، لاسيما المثقفون منهم وسكان المدن الكبيرة ، أفضل فهما للعامية المصرية من المصريين لعاميات البلاد العربية الأخرى .

٧ ـ وفى المجتمع الحديث الذى كثر فيه الاتصال بين الأمم وسهل ، نتيجة للانقلاب الصناعى، والمخترعات الحديثة وسرعةالمواصلات وازديادها ولسوى ذلك من العوامل ، نجد كلمات مشتركة بين كثير من اللغات الأوروبية أصلها إيطالى أو ألمانى أو إنجليزى مثلا ، فانتشرت فى هذه اللغات أسماء لوحدات كهربائية مأخوذة من أسماء مخترعيها مثل « أمبير » « فولت » ، « أوم » Ampére - Volt - Ohm بل نجد كثيراً من

الكلمات الأوروبيـة تنتشر فى لغات غير أوروبية كأسماء بعض المخترعات والالآت مثل راديو – تلغراف – تليفون – تليفزيون – سينما – فيلم بيانو الخ . ١

(٢) إن كثرة المفردات الدخيلة نتيجة لما يحدث بين اللغات واللهجات من احتكاك ، أمر معروف مقرر من قديم وربما كان أبرز وأكثر ما ينشأ عن هذا الاحتكاك ، ولكن النظر إلى الآثار الناتجـة من الاحتكاك بين اللغات واللهجات قد تغير فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، وفى ضوء علم اللغة الجغرافى ونظرية « الموجات اللغوية » بصفة خاصة . ومن أهم ما أخذ المحدثون من اللغويين يخوضون فيه هو امكان تاثير الاتصالات بين لغات الجماعات التي يحتك بعضها ببعض في بنية اللغات

فمن العلماء من يرى أنه حيث تظهر فى لغات متجاورة من الناحية الجغرافية سمـات مشتركة لا يفسرها اشتراك هذه اللغات فى أصل لغوى واحد فرد ذلك إلى تأثير بنية لغة منها فى سائرها .

١ — ومن ذلك أن الصوتين الصائتين ü و ö (الفرنسية eu, u e) ودرجات مختلفة منها تستعمل فى مساحة تشمل الفرنسية ، ولغات من المجموعة الجرمانية الغربية هى الألمانية ، والفلمنكية والهولندية .

---

١) راجع فيما يتعلق بالدخيل وأقسامه وكيفية دراسته الفصول الآتية التى كتبها ليونارد بلومفيلد فى كتابه Language :

1) Caltural Borrowing (pp. 444 : 460)

2) Intimate Bo owing (pp. 461 : 475)

3) Dialect Borrowing (pp. 476 : 495)

٢ — ومن الأمثلة التي يستشهد بها على تأثير النظام النحوي للغة في النظام النحوي لأخرى أو أكثر نتيجة للاتصال بينهما أنه في شبه جزيرة البلقان تظهر في اليونانية والبلغارية ولغة رومانيا والألبانية سمات مشتركة تميز كلا من هذه اللغات من سائر لغات عائلتها ، ومن ذلك استعمال الفعل الذي يعني « يريد » لتكوين فعل دال على المستقبل (ففي اليونانية مثلا تستعمل عبارة thélô hina و thélô معناه « أنا أريد » ، وذلك كما في الفرنسية العامية أو المحلية il ne veut pas pleuvoir بمعنى il ne va pas pleuvoir) .

٣ — ومن أمثلة الخصائص المشتركة بين اللغات المتجاورة غير المنتمية إلى أصل لغوي واحد ، ما يلاحظ في معظم لغات الشرق الأقصى من التوسع في استعمال النغمات استعمالا وظيفيا للتفريق بين المعاني ؛ ومن أن التمييز بين الاسم والفعل في هذه اللغات تمييز جد ضئيل . وهكذا أخذ اللغويون يتحدثون عن وجود « أحلاف » أو « اتحادات » بين اللغات فبدت أهمية التصور الخاص بالتشابه [١] (= التقارب = التصاهر) بين اللغات إلى جانب التصور الخاص بالأبوة بين اللغات [٢] .

---

١) بالفرنسية affinité (وبالانجليزية affinity)

٢) وانظر Jean Perrot : La Linguistique pp.124 :125

وانظر الفصل الخاص بـ Le Probléme De La Parenté Des Langues

والفصل الذي عنوانه : L.s Parentés De angues في كتاب انطوان مييه : Linguistique Historique Et Linguisteue Générale, pp. 76 - 101; pp- 102. 109.

وراجع ما كتبه « مييه » في الجزء الثاني من نفس الكتاب :

1) Le Vocabualire Dans La Question des Parentés de Langue; pp. 44 - 46.

2) Sur Le Degré De Précision Qu' Admet La Définition De La Parenté Linguistique, pp - 47 - 52.

ولكن بعض اللغويين يميلون إلى القول بأن الآثار الناتجة عن الاحتكاك بين اللغات غير المشتركة فى الأصل آثار محدودة لاسيما فيما يتعلق بالبنية اللغوية. فهم يلاحظون أنه أياً ما كان أخذ لغة من أخرى غير مشتركة معها فى الأصل فان كلتا هاتين اللغتين تظل واضحة العلاقة بأصلها . فمن اليسير أن نميز لغة سلافية من أخرى جرمانية . ويضيفون إلى هذا أن نسبة الصفات المشتركة بين اللغات غير المنتمية إلى أصل واحد إلى ما حدث بينها من اتصالات ، أى إلى تأثير بنية لغة فى بنية غيرها ، قد يكون أخذاً بالظاهر ، وربما كان التفسير الحقيق أن هذه الصفات ظهرت فى اللغة التى يفترض تأثرها بسواها نتيجة للتطور الخاص بها ـ هذا التطور الذى ينتج عن العمل المشترك لعوامل كثيرة تكوّن وحدانيته ـ دون أن يكون لاتصالها بغيرها أثر فى ذلك ، أى أن هذه الصفات كانت ستظهر لو لم يكن هذا الاتصال [١] .

(١) جان بيرو : المرجع السابق

معجم المصطلحات

المصادر

أ ـ المصـــــادر الإنجليزية

ب ـ المصـــــادر الفرنسية

حـ ـ المصـــــادر العربية

فهرس الموضوعات

معجم المصطلحات

(A)

Activity	نشاط
Human Activity	نشاط إنسانى
Action	فعل (عمل)
Reflex Action	عمل (فعل) انعكاسى
Social Action	عمل (فعل) اجتماعى
Voluntary Action	عمل (فعل) إرادى
Alphabet	أبجدية ؛ ألف باء
Analogy	قياس
Linguistic Analogy	قياس لغوى
Anthropology	الأنثروبولوجيا
Social Anthropology	الأنثروبولوجيا الاجتماعية
Aphasia	أفزيا (الحبسة ـ العقلة)
Autonomy of Linguistics	استقلال علم اللغة

(B)

Babbling (Cooing;Crowing)	بأبأة
Behaviour	سلوك
Human Behaviour	سلوك إنسانى
Choric Behaviour	سلوك جماعي
Linguistic Behaviour	سلوك لغوى

Speech Behaviour	سلوك كلامى
Biology	علم الأحياء (البيولوجيا)
Biological	بيولوجى
Brachycephalic (=round-headed)	مستدير الرأس

(C)

Clinical	كلينيكى
Communication	توصيل (اتصال)
Communion	تشـــارك
Comparative	مقـــارن
Comparative Method	المنهج المقارن
Comparative Study	الدراسة المقارنة
Concept	تصور
Conscious	واع
Consciousness	وعى
Consonant	صامت (صوت)، الجمع « صوامت » أو « صامتة »
Labial Consonant	(صوت) صامت شفوى
Cooing (Babbling)	بأبأة
Crawling	حبو
Crowing (Babbling	بأبأة

(D)

Deaf-Mutes	صم بكم
Dscriptive	وصفى
Descriptive St·dy	دراسة وصفية
Descriptive Method	منهج وصفى
Desire	رغبـــة
Development	نمو ـ تطور
Diacronic (Diachronistic)	حـــركى ، متحرك
Dialect	لهجة
Class-Dialect	لهجة طائفية ، لهجة طبقية
Dialect - Splitting	تقسم لغة فى لهجات
Dolichocephalic (=long-headed)	مستطيل الرأس
Dual	مثنى
Dynamic(see:Historical;Diacronic)	تطـورى

(E)

Emotion	انفعـال
Emotional	انفعالى
Endocrine Organs	الغدد الصم (الغدد المفرزة للهرمونات)
Experience	تجربة
Expression	تعبير
Facial Expression	التعبير بملامح الوجه

Hand Expression	تعبير يدوى
Ethnology	اتنولوجيا
Ethnological	اتنولوجى

(F)

Feeling	شعور
Function	وظيفة
Social Function	وظيفة اجتماعية
Fuctional	وظيفى

(G)

Genetics	علم الوراثة
Gesture	إشارة

(H)

Historical	تاريخى
Historical Method	منهج تاريخى
Historical Study	دراسة تاريخية
Homophones	الكلمات المتفقة صوتا المختلفة معنى (أى التي بينها « جناس تام »)

(I)

Idea	فكرة (الجمع : أفكار)
Imitaion	تقليد ؛ محاكاة
Imparting	توصيل (نقل)
Impersonal	غير شخصى
Individual	فـــــرد
Individualist	متفرد
Infrastructure	بنية سفلى
Institution	نظام (من النظام الاجتماعية)
Intellectual	عقـلى (ذهنى)
Integration	تــــكامل
Integrative Method	المنهج التـكاملى

(L)

Language	اللغــــة
Language Disorders	الاضطرابات الـكلامية
Comon Language	لغة عامة ، لغة مشتركة
Dead Language	لغة ميتة
Little Language	اللغة الصغيرة
Living Language	لغـــة حية
Secret Language	لغة (لهجــــة) سرية ، كلام سرى ، لغة(كلام) الخارجين على سلطة المجتمع

Undeveloped Language	لغة متخلفة
Linguist	عالم لغوى
Linguistic	لغوى (صفة)
Linguistic Change	تغير لغوى
Linguistic Development	تطور لغوى
Linguistic Family	عائلة لغوية
Linguistic Parenthood	الأبوة بين اللغات
General Linguistics	علم اللغة العام
Logic	منطق
Logical	منطقى
Logical Instrument	أداة منطقية
Logician	عالم من علماء المنطق (الجمع: مناطقة)

(M)

Mathematics	الرياضة (الرياضيات)
Mathematical	رياضى
Mathematical Relations	علاقات رياضية
Meaning	معنى
Study of Meaning (see: Semantics)	دراسة المعنى
Meaning	آلى
Mentality	عقلية

Metaphor	(استعارة) مجاز
Metaphorically	(استعارياً) مجازاً ، مجازياً
Modifier	مغيّر
Monologue	مونولوج (الكلام الانفرادى)
Monosyllable	كلمة أحادية المقطع (= كلمة مكونة من مقطع واحد)
Mood	هيئة الفعل
Morpheme	مورفيم، عامل الصيغة (= دال النسبة)
Muscle	عضل
Muscular	عضلى
Mutilation	اختصار أو « قطع »

(N)

Negation	نفى
Nervous System	الجهاز العصبى
Neurology	علم الأعصاب
Nursery stage	مرحلة المهد

(O)

Object	موضوع

(P)

Person	شخص
Personality	شخصية

Philosophical	فلسفى
Phonetics	علم الأصوات اللغوية
Phonetic, Phonetical	صوتى، صوتية (نسبة إلى علم الأصوات اللغوية)
Phonetician	عالم الأصوات اللغوية
Internationl Phonetic Alphabet	الألف باء الصوتية الدولية
Preposition	الحرف (من أقسام الكلام)
Psychic	نفسى
Reduplication	تضعيف

(R)

Reflection	تأمل
Screaming	صياح

(S)

Sematntics	(علم) الدلالة
Semantic Shifts	تغيرات دلالية
Sensation	إحساس
Sentiment	عاطفة
Society	مجتمع
Social	اجتماعى
Social Fact	ظاهرة اجتماعية
Social Relations	علاقات اجتماعية
Sound	صوت

Speech	كلام
Speech Community	جماعة كلامية (جماعة ذات لغة واحدة)
Speech Defects	عيوب كلامية
Speech-Function	وظائف كلامية
Types of Speech - Functions	أنواع الوظائف الكلامية
Speech-Organs	أعضاء النطق
Speech-Sound	صوت كلامى
Underworld Speech	لغة الخارجين على سلطة المجتمع
(Secret Language)	لغة (لهجة) سرية أو كلام سرى
Stataic	ثابت ، حال الثبات
Srtucture	بنية
Linguistic Structure	بنية لغوية
Social Stucrture	بنية اجتماعية
Superstructure	بنية عليا
Stylistics	دراسة (علم) الأسلوب
Syllable	مقطع
Symbol	رمز
Synchronic (Synchronistic)	سكونى ، ساكن ، استقرارى ، مستقر ، حالة الاستقرار
Syntax	نظام

(T)

Taboo	كلام حرام (= التابو)
Talking	تكلم (كلام) ، تحدث
Talking to one's self	تحديث الانسان نفسه ، (المونولوج)
Tense	زمن الفعل
Thought	فكر
Tone	نغمة
Transmission	نقل

(V)

Verbal Action	حدث (نص) كلامي
Non-Verbal Actions	أحداث غير كلامية
Voice	(١) الجهر
	(٢) صوت الانسان (الصوت الطبيعي = الحس)
Voiced	(صوت) مجهور
Voiceless	(صوت) مهموس
Vowel	صائت (صوت) ؛ الجمع « صائتة » أو « صوائت »
Single Vowel	صائت مفرد

مصادر البحث

أ ـ المصادر الانجليزية

1) Bloomfield, L-onard : Language.
New York, 1933; Third ed., London, George Allen and Unwin, 1950.

2) Bühler, Charlotte : From Birth to Maturity.
Kegan Paul, London, 1937.

3) Bühler, Charlotte : The First year of Life.
New York, U.S.A., 1930 (Trans. from German).

4) Firth, J. R. : Linguistics and the Functional Point of View
"English Studies" XVI, 1, February, 1934.

5) Firth, J. R. : Personality and Language In Society.
The Sociological Review (Journal of the Institute of Sociology, Ledbury, Herefordshire, England) Vol. XLII, Section Two, 1950 p.p. 37-52.

6) Firth, J R. : Speech
Benn, 1930.

7) Firth, J. R. : The Technique of Semantics
Transactions of the Philological Society, 1935.

8) Firth, J. R.: The use and distribution of certain English Sounds
English Studies XVII, I, February, 1935,

9) Firth, J. R : Tongues of Men.
Watts & Co., London, 1937.

10) Gesell, A : Studies in Child Development.
New York, 1948.

11) Gesell, A. & others : The first five years of Life
Methwen & Co. Ltd., London, 1940.

12) Jespersen, Otto : Essentials of English Grammar.
First Published 1933; Seventh Impression, London, George Allen and Unwin Ltd., 1948.

13) Jespersen, Otto : Growth and Structure of the English Language
Ninth Edition, Revised, Basil Blackwell, Oxford, 1948.

14) Jespersen, Otto : Language, Its nature development and origin.
First published 1922; Seventh Impression, London, George Allen and Unwin Ltd. 1947.

15) Jespersen, Otto : Mankind, Nation and Individual from a Linguistic point of view.
London, 1946.

16) Jespersen, Otto : Progress in Language.
London, 1894.

17) Jesperson, Otto : The Philosophy of Grammar.
First Published 1924, Fifth Impression, London, George Alle and Unwin Ltd., 1948.

18) Lewis, M. M. : Infant Speech.
Kegan Paul, London, 2nd ed., 1951.

19) Lewis, M. M. : Language In Society.
Thomas Nelson and Sons Ltd., Printed in Great Britan, 1947.

20) Malinowski, Bronislaw : The Problem of Meaning In Primitive Languages.

Supplement to : The Meaning of Meaning by C. K. Ogden and I. A. Richards; First Ed. London, 1923. Tenth Ed. London, Routledge & Kegan Paul Ltd., 1949.

21) McCarthy, D.: The Language Development of the Pre-School Child.

University of Minnesota Press, U.S.A. 1929.

22) Sapir, Edward : Lan_uage, an Introduction to the Study of Speech.

New York, Harcourt, Brace and Company, 1921.

23) Schlauch, Margaret : The Gift of Tongues.
London, George Allen and Unwin Ltd., Third Impression 1949

24) Seth & Guthrie : Speech in Childhood.
Oxford University Press, 1935.

25) Shaw, Bernard ; Pygmalion.
Penguin ed., 1949.

26) Shirley, Mary ; The first two years, a study of twenty five babies.

The University of Minnesota Press, U.S.A., 1933.

27) Sommerfelt, Alf ; Recent Trends in General Linguistics.
"Diogenns", Number 1, English Edition PP. 64-70 (A quarterly publication of the International Council for Philosophy and Humanistic Studies, Unesco.)

28) Stein, L. ; The Infancy of Speech and the Speech of Infancy
Methwen & Co., London, 1949.

29) Stern, W. : Psychol ogy of early childhood up to the sixth year
of age,
G. Allen & Uunwin Ltd ., London . 1924.

30) Sturtevant, E. H.: Introduction to Linguistic Science
New Haven, Yale University Press «U.S.A.» 1947

31) A New English Grammar
Oxford, 1892-98.

ب – المصادر الفرنسية

1) Dauzat, Albert: La Géographiet Linguistique
Paris, 1922.

2) De Saussure, Ferdinand; Cours de Linguistique Générale.
Paris Lausanne 1916.
Quatriéme édition; Payot, Paris, 1949.

3) Descoeudres, A. : Le Developpement de l'enfant, de deux à sept ans.
Delachaux & Niestlé, Neuchatel & Paris 1946.

4) Grégoire. A : L'Apprentissage du Langage, les deux premières années :
Alcan, Paris, 1937.

5) Grégoire, A.: L'Apprentissage du Langage, la 3 ème année et le années suivantes.
Alcan, Paris, 1947.

6) Guillaume. P. : L'Imitation Chez l'Enfnat.
Presses Universitaires de France, Paris, 1950.

7) Meillet, Antoine : Linguistique Historique Et Linguistique Générale.
« Collection Linguistique Publiée Par La Société De Linguistique De Paris, Edouard Champion, 1948

8) Meillet, Antoine: Linguistique Historique Et Linguistique Générale TomeII.
1938, Nouveau Tirage, Paris, Librairie C. Klincksieck 1952.
Collection Linguistique Publiée Par La Société De Linguistique De Paris »

9) Perrot, Jean : La Linguistique.
Ire édition, Presses Universitaires De France; Paris 1953 (Que Sais-Je? 570)

10) Piaget. J. : Le Langage et la Pensée chez l'Enfant
Delachaux & Niestlé, Neuchatel & Paris 1923.

11) Wartburg, Walter V.: Problèmes Et Méthodes De La Linguistique.
Traduit de l'allemand par Pierre Maillard
Ire édition, Presses Universitaires De France, Paris 1946 .

جـ - المصادر العربيـــة

١ — ابراهيم أنيس « دكتور » : اللهجات العربية

لجنة البيان العربي القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٥٢ (الطبعة الأولى نشر دار الفكر العربي ، مطبعة الرسالة ، ولا إشارة فيها إلى سنة الطبع)

٢ — ابراهيم أنيس « دكتور » : موسيقى الشعر

٣ — ابراهيم أنيس « دكتور » : من أسرار اللغة

نشر مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة

٤ — ابراهيم أنيس « دكتور » : دلالة الألفاظ

ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٥٨

٥ — ابراهيم السامرائي « دكتور » : دراسات في اللغة

ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب . مطبعة العاني، بغداد ١٩٦١

٦ — ابن منظور الافريقي « جمال الدين مكرم » : لسان العرب:

المطبعة الأميرية — بولاق - مصر

٧ — احمد شوقي : الشوقيات

مطبعة الاستقامة بالقاهرة . الجزء الأول ١٩٥٣ ، الجزء الرابع طبعة ثانية مكملة ١٩٥١ .

٨ — أمية بن أبي الصلت الثقفي : ديوان أمية بن أبي الصلت

جمع بشير يموت ، بيروت ، المطبعة الوطنية سنة ١٩٣٤

٩ — تمام حسان «دكتور» : مناهج البحث في اللغة

ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٥٥ .

١٠ — تمام حسان «دكتور» : اللغة والمجتمع

وهو ترجمة لكتاب م. م. لويس

Lewis M, M; Language In Society, Thomas Nelson and Sons. Ltd., printed In Great Britain.

١١ — صالح الشماع : اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة

ملتزم الطبع والنشر دار المعارف ، مصر سنة ١٩٥٥ وهو من سلسلة « منشورات جماعة علم النفس التكاملي » — وهو الرسالة التي نال بها صاحبها درجة الماجستير ، قسم الفلسفة كلية الآداب ، جامعة القاهرة .

١٢ — عبد الرحمن أيوب «دكتور» : اللغة بين الفرد والمجتمع

وهو تعريب بتصرف لكتاب يسبرسن Mankind, Nation... etc.

ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية — مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة ١٩٥٤

١٣ — علي عبدالواحد وافي «دكتور» : علم اللغة

الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة ، القاهرة ١٩٤٤ الناشر مكتبة النهضة المصرية — مطبعة الاعتماد بمصر (ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٩٤١ المطبعة السلفية بالقاهرة) .

١٤ — علي عبد الواحد وافي « دكتور » . فقه اللغة

لجنة البيان العربي ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٥٦ ، (ظهرت الطبعة

الأولى سنة ١٩٤١ ، والطبعة الثانية ، مطبعة الاعتماد القاهرة ١٩٤٤ ، والطبعة الثالثة ، لجنة البيان العربي ١٩٥٠) .

١٥ — علي عبد الواحد وافي «دكتور» : اللغة والمجتمع

(من سلسلة مؤلفات « الجمعية الفلسفية المصرية » التي يشرف على إصدارها الدكتور علي عبدالواحد وافي رئيس الجمعية ، والدكتور عثمان أمين سكرتيرها العام).

الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة ، ملتزم الطبع والنشر دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٩٥١ (الطبعة الأولى أصدرتها نفس الدار سنة ١٩٤٦) .

١٦ — علي عبد الوحد وافي «دكتور» : نشأة اللغة عند الانسان والطفل

الطبعة الأولى ، الناشر دار الفكر العربي مطبعة الاعتماد بمصر ١٩٤٧

١٧ — عمر بن الفارض : ديوان ابن الفارض

نشر وطبع البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣

١٨ — عبد الحميد الدواخلي ومحمدالقصاص «دكتور» : اللغة

وهو تعريب لكتاب ج . فندريس :

Vendryes, J.: Le Langage, Introduction Linguistique à l'Histoire, «1ère ed., Paris 1923».

١٩ — كمال محمد بشر «دكتور» : دور الكلمة في اللغة

وهو ترجمة عن الإنجليزية مع تقديم وتعليق لكتاب ستيفن اولمان

ULLMANN, Stephen: Words and Their Use

دار الطباعة القومية خلف ١٦ شارع كامل صدقي ، القاهرة ١٩٦٢

٢٠ ـ **محمود السمران «دكتور» : الصناعة الشعرية في العصر الجاهلي من حيث الموسيقى وبنية القصيدة.**
رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الآداب بجامعة الإسكندرية سنة ١٩٤٧ مكتوبة على الآلة الكاتبة ومحفوظة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية

٢١ ـ **محمود السعران دكتور : علم اللغة مقدمة للقارىء العربي**
نشر دار المعارف بمصر فرع الإسكندرية ، مطبعة م ك . بالإسكندرية الطبعة الأولى ١٩٦٢ .

فهرست

	رقم الصفحة
مقدمة الطبعة الأولى	٣
مقدمة الطبعة الثانية	٧
— ١ —	
وظيفة اللغة	٩–٢٤
أ — علم اللغة العام : مناهجه ووسائله مستمدة من موضوعه	٩–١٠
ب — النظرية القائلة بأن الوظيفة الأساسية والوحيدة للغة هي توصيل الفكر أو التعبير عنه . . .	١١–١٦
(١) أصحاب هذه النظرية قدماء وبعض المناطقة المحدثين . . .	١٣
١ ـ رأى « جفونز »	١٣
٢ ـ مناقشة « يسبرسن » رأى جفونز	١٣
جـ — اللغة وظيفة اجتماعية	
رفض التعريف القديم للغة بناء على ملاحظة أنواع « الوظائف الكلامية » ومنها :	١٦–٢٤
(١) « المونولوج » (الكلام الانفرادى)	١٧
(٢) استعمال اللغة فى « السلوك الجماعى »	١٨
١ ـ السلوك اللغوى للمصلين فى صلاة الجم[ـعة]	١٨

٢ ـ لغة « الدعاء » ١٩

(٣) استعمال اللغة فى « المخاطبات الاجتماعية » التى لاغاية من ورائها ١٩

١ ـ عبارات التحية المألوفة ٢٠

٢ ـ « لغة التأدب » ٢١

٣ ـ الحديث عن الجو ٢١

(٤) « اللعب بالأصوات » ٢٢

(٥) استعمال اللغة لإخفاء أفكار المتكلم ٢٣

— ٢ —

دراسة الوظيفة الاجتماعية للغة ٢٥ — ٣٢

أ — دراسة اللغة من الناحية الوصفية ٢٥—٣٠

(١) الكائن البشرى مركز دراسة اللغة ٢٥

(٢) تأريخ التطور اللغوى للشخص فى الجماعة الشخصية وأثرها فى اللغة ٢٦

(٣) العوامل والظواهر الاجتماعية المتعلقة باللغة وبالسلوك اللغوى للشخص ـ العناصر غير الكلامية (سياق الحال) وأثرها فى المعنى ٢٨

ب — دراسة لغة ميتة فى مرحلة من مراحلها ٣١

جـ دراسة تغير المعنى تاريخيا (المنهج التاريخى) ٣١

المنهج المقارن ٣٢

مسائل هذا البحث ٣٣

— ٣ —

السلوك اللغوى للطفل ٣٤ - ٥٤

أ — مناهج دراسة لغة الطفل ٣٤ — ٣٩

(١) أكثر ما كتب عن لغة الطفل قائم على أسس نفسية ٣٥

(٢) التعريف بمنهج كتاب « اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة » للأستاذ الشماع ٣٦

(٣) لغة الطفل من وجهة نظر اللغويين ٣٩

ب — الخصائص العامة للغة الطفل ٣٩—٥٤

(١) التجارب الهامة فى حياة الطفل لغويا فى رأى « فيرث » ٣٩

(٢) تقسيم « يسبرسن » الثلاثي للنمو اللغوى للطفل : ٤١

١ ـ مرحلة الصياح ٤٢

٢ ـ مرحلة البأبأة ٤٣

١ . أصوات الطفل فى أوائل هذه المرحلة ٤٣
٢ . نمو سمع الطفل وتكوينه الإرادى للأصوات ٤٤
٣ . ترتيب أصوات الطفل زمنيا ٤٥
٤ . إصدار الطفل أصواتا غير أصوات جماعته الكلامية ٤٦

٣ – مرحلة الكلام ٤٧

١ . فترة « اللغة الصغيرة » ٤٨
٢ . فترة « اللغة المشتركة » ٤٨
١َ القوانين الصوتية الفردية للطفل ٤٩
٢َ اختلاف قدرة الطفل على نطق أصوات معينة فى السياقات الصوتية المختلفة ٤٩
٣َ شيوع « الاختصار » أو « القطع » ٤٩
٤َ شيوع « التضعيفات » الفردية ٤٩
٥َ إدراك نغم الكلام ٥٠
٦َ الطفل يتعلم الجانب الصوتى للكلمات مرتبطا بمعانيها ٥١
٧َ إدراك مدلولات الكلمات ٥١
٨َ من العوامل المعينة للطفل على تعلم اللغة : التقليد ، التطلع ، عناية أهله ، انفساح مجال تصحيح أخطائه ٥٢
٩َ قياس الطفل اللغوى صوتيا ونحوياً ومعنوياً ٥٣
١٠َ لكل طفل — لكل فرد — لغته ٥٤

— ٤ —

اللغة مميز فردى ومميز طبقى ٥٥ — ٦١

أ — اللغة علامة فردية مميزة ٥٥ — ٥٨

(١) « الصوت الطبيعى » للفرد (حِس الفرد)
ووظائفه ٥٥

(٢) اللوازم اللغوية للفرد ٥٦

(٣) لغة الفرد فى تغير دائم ٥٧

ب — اللغة علامة طبقية مميزة ٥٨ — ٦١

(١) دلالة اللغة على الطبقة الاجتماعية للمتكلم :
محاولة تغيير الفرد للغته الطبقية (بيجماليون
لبرنارد شو) ٥٨

(٢) لغة حديثى الثراء ٦٠

(٣) « اللهجة السرية » أو «الكلام السرى» ٦٠

— ٥ —

اللغة وأصحابها ٦٢ — ٧٣

أ — العلاقة (بين البنية اللغوية) و (البنية الاجتماعية) ٦٢

(١) « أنطوان مييه » : من الرواد ٦٢

رقم الصفحة

(٢) ف. بروندال : العلاقة بين وجود « الحروف » وبين تقدم المدنية ٦٣
(٣) ل. هومبورجر : الرد على نسبه الأقسام الاسمية إلى عقلية بدائية ٦٤
(٤) التخلص من المثنى وارتباطه بتقدم المدنيات ٦٤
(٥) تخلف البحث فى العلاقة بين البنيتين : من التغيرات الاجتماعية الكبيرة مالا يستلزم تغيراً فى البنية اللغوية ٦٤

ب — اللغة والجنس ٦٥–٦٨

(١) فردريك موللر : تصنيف اللغات حسب المميزات الإتنولوجية ٦٦
(٢) اعتبار الجنس الهندوأوروبى أسمى الأجناس لسمو لغته ٦٦
(٣) تبرير النازيين والفاشيين عدوانهم على الشعوب المتخلفة « لغوياً » ٦٧
(٤) لا علاقة ضرورية بين المميزات الجنسية وبين اللغة ٦٧
(٥) اللغات العامة الكبرى لغات أجناس متعددة ٦٨

جـ — اللغات المتخلفة ٦٩—٧١

(١) أثر اللغة فى عقلية أصحابها ٦٩

رقم الصفحة

(٢) اللغات « المتخلفة » قادرة على التطور والتكيف ٧٠

د — اللغة والقومية ٧١

(١) الاعتزاز باللغة القومية ـ اللغة وتثبيت القومية وإحياؤها ٧١

(٢) معاداة الكلم الدخيل : في الألمانية ، في العربية ٧٢

(٣) سماحـــة الإنجليز نحو الدخيل ٧٣

— ٦ —

اللغة والحياة السياسية ٧٤-٩٨

أ — دراسة المصطلحات والتعبيرات الخاصة بكل نظام سياسي ٧٤

ب — لغة الانتخاب ٧٤

جـ — لغة المراسيم ٧٥-٧٦

د — لغة الحرب ٧٥

هـ — لغة السلام ٧٦

و — التغيرات الدلالية التي تصحب الثـــورات والانقلابات ٧٦-٩٤

الآثار اللغوية للتاريخ الثورى لمصر الحديثة:

(١) الأثر اللغوى للثورة العرابية ٧٧

(٢) الأثر اللغوى لثورة ١٩١٩ ٧٧

(٣) « « لثورة الجيش المصرى ١٩٥٢ ٧٨

١ ـ إلغاء الألقاب، واستحداث لقب «السيد» ٧٩

دراسة تاريخيـــة للقب « السيد »
ومتصرفاته فى الفصحى والعاميات ٨٠

١ . فى الجاهلية ٨٠

٢ . فى القرآن الكريم ٨١

٣ . فى الحديث الشريف ٨١

٤ . فى كلام الصحابة ٨٣

٥ . فى الشعر العباسى ٨٣

٦ . إطلاق « السـيد » على العلويين ٨٣

٧ . إطلاقه على الصوفى والولى والفقية ٨٤

٨ . استعمال « السيد » فى البلاد الإسلامية
غير العربية ٨٥

٩ . إطلاق « سَيدى » و « سِيدى » فى
العامية الآن على الأولياء والأخيار ٨٥

١٠ . إطلاق « سِيدى » على كبير السن
والمقـام ، وعلى رب الأسرة ٨٥

١١ . إطلاق « سيدْ » فى المصرية على الجد ٨٦

١٢ . مخاطبة المسئول : « سِيدى » ٨٦

١٣ . « سيدى ياسيدى» ٨٦

١٤ . « سى » واستعمالاته الخاصة فى العاميات ٨٧

١٥ . إطلاق « سيّدُنا » (و « سيدَنا » فى العاميات) الآن على الرسول (صلعم) وعلى الصحابة وعلى الأنبياء الخ ٨٧

١٦ . إطلاق « السيدة » على المتزوجة ٨٧

١٧ . استعمال « ست » وتصرفاتها فى الفصحى والعاميات ٨٧

١٨ . إطلاق « السيّد » و« سيدْ » على جماعة من غير المسلمين ٨٨

٢ — الأثر اللغوى لتحول مصر من « الملكية » إلى الجمهورية ٨٩

٣ — الأثر اللغوى للقضاء على الأحزاب السياسية ٩٠

٤ — كثرة استعمال كلمة « التحرير » ٩٠

٥ — استعمال عبارات جديدة دلالة على تنظيمات سياسية جديدة ٩٠

٦ — تغيير بعض أسماء الأعلام ٩٠

٧ — الشعور بالأمن نحو كلمات مخوفة ٩٠

٨ — استفاضة استعمال لغة النظرية الاشتراكية بعد اتخاذ النظام الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة ٩١

١ . تاريخ استعمال لغة الاشتراكية فى مصر ٩١
٢ . دراسة هذا التاريخ ٩٢
٣ . أمثلة من قاموس الاشتراكية الوارد فى «الميثاق» ٩٢
٩ – اكتساب بعض الألفاظ والعبارات دلالات اصطلاحية جديدة (العامل ، الفلاح) ٩٤
ز – لغة التحالف والتجاور ٩٥–٩٦
ح – لغة البيانات السياسية ٩٦
ط – لغة المعاهدات والاتفاقات الدولية ٩٦–٩٧
ى – لغة التأثير السياسى فى الجماهير ٩٧–٩٨

— ٧ —

اللغة والحياة الاقتصادية ٩٩–١٠٨
أ – لغة الحياة التجارية ٩٩
(١) «لغة» العد ٩٩
(٢) لغة المساومة ٩٩
(٣) لغة المزايدة ١٠٠
(٤) أساليب البائعين والمشترين والوسطاء ١٠٠
(٥) لغة الإعلان ١٠٠

١ ــ نداءات البائعين الجائلين ١٠٠
٢ ــ لغة إعلانات الراديو ١٠٢
٣ ــ « الإعلانات المكتوبة ١٠٢
٤ ــ « إعلانات السينما والتليفزيون ١٠٣
(٦) حصر المصطلحات الخاصة بكل وجه من وجوه النشاط الاقتصادى ١٠٤
ب — لغة كل من الحياتين الزراعية والصناعية ١٠٥–١٠٨
(١) دلالة الكلام على الحرفة والطبقة الاجتماعية ١٠٥
(٢) اختلاف لغة أصحاب الحرفة الواحدة باختلاف العصور ١٠٥
(٣) أمثال الزراع والصناع ١٠٦
(٤) الرموز الكلامية للزراع والصناع ١٠٦
(٥) الكلام جزء من العمل ١٠٦
(٦) أثر الزراعة والصناعة فى الاحتفاظ بالكلم القديم ١٠٧
(٧) أثر الزراعة والصناعة فى دخول الكلم الحديث ١٠٧

— ٨ —

اللغة والحياة الدينية ١٩٠–١٢٨
(١) الدين لغته ١٠٩
(٢) الكلم الغامض فى لغة الدين ١٠٩
(٣) الغريب فى الشعر الدينى لأمية بن أبى الصلت الثقفى الجاهلى ١٠٩

رقم الصفحة

(٤) دراسة كلام المعبود ١١٤

(٥) موسيقى الكلام الديني ١ ٤

١ ـ في القرآن الكريم ١١٤

٢ ـ الموسيقى الشعرية عند عمر بن الفارض الصوفي ١١٥

(٦) الرمز والمجاز في لغة الدين ١٢٢

(٧) لغة الدين محافظة ١٢٣

(٨) من جوانب استعمال الكلام في الشئون الدينية في الإسلام ١٢٤

١ ـ لغة الأذان والأدعية والصلوات الخ ١٢٤

٢ ـ لغة الحج ١٢٤

٣ ـ لغة الموت ١٢٤

٤ ـ لغة عقد القران ١٢٥

٥ ـ لغة التهنئة ١٢٥

(٩) انتقال العبارات الدينية إلى لغة الأحاديث العادية اليومية ١٢٥

١ ـ لغة القسم ١٢٥

٢ ـ لغة السائلين ١٢٦

٣ ـ لغة النساء ١٢٦

٤ ـ لغة الغزل ١٢٧

٥ ـ كلام المبخرين والمنجمين ١٢٧

٦ ـ استهلال الكتب والخطب والأعمال ١٢٧

(١٠) كلام أصحاب دين عن أصحاب دين آخر ١٢٧

(١١) كلام الصوفية والزهاد والرهبان ١٢٨

(١٢) كلام المتنبئين والزنادقة والملاحدة ١٢٨
(١٣) لغة المواسم الدينية ١٢٨
(١٤) لغة الكتابات عن الدين وما يتعلق به ١٢٨

— ٩ —

الكلام الحرام والكلام غير اللائق ١٢٩
ا تجنب وتقنيع بعض العبارات والكلمات ١٢٩
(١) التجنب والتقنيع اللغويان ماثلان فى كل المجتمعات ١٢٩
(٢) عوامل التجنب والتقنيع ١٣٠
(٣) اشتراك كثير من المجتمعات فى تحريم كلمات وعبارات متعلقة بموضوعات معينة ١٣٠
١ ـ تجنب كلمات الموت ١٣٠
٢ ـ تجنب الامهـــات المصريات كلمتى « الحصبة » و « السل » ١٣١
٣ ـ تجنب الكلمات الدالة على الجن والأرواح فى مصر ١٣١
٤ ـ إبعاد الشر ١٣١
٥ ـ كنايات العملية الجنسية وبعض الأعضاء و . . . الخ . ١٣٢

ب — اللائق وغير اللائق من الكلام ١٢٣

(١) عوامل اختلاف مقاييس اللياقة وعدم اللياقة ١٢٣

(٢) تطور هذه المقاييس وآثارها اللغوية ١٣٣

— ١٠ —

الضمائر والمستويات الاجتماعية ١٣٤

(١) دلالة الضمائر والصيغ المسندة إلى ضمائر على المستويات الاجتماعية ١٣٤

(٢) الضمائر والصيغ المسندة إلى ضمائر فى العربية الفصحى (١ - ٢ - ٣ - ٤) ١٣٤

(٣) الدلالة الاجتماعية للضمائر وللصيغ المسندة إلى ضمائر فى العربية الفصحى ١٣٩

١ — فى العصر الجاهلى ١٣٩

١ . فى الشعر الجاهلى ١٣٩

١ً النابغة يعتذر للنعمان بن المنذر ١٣٩

٢ً دريد بن الصمة عن قومه وأخيه ١٤١

٣ً عنترة عن صاحبته ومخاطبتها ١٤٤

٢ . فى الخطب والأمثال والحكم والوصايا ١٤٤

١ً فى خطبة لقس بن ساعدة الإيادى ١٤٤

٢ً فى خطبة لعمرو بن معديكرب أمام كسرى ١٤٤

٣ . فى الأمثال ١٤٥

٤ ـ من وصية زهير بن جناب الكلبي أبناءه ١٤٥
٢ ـ فى صدر الإسلام ١٤٥
١ ـ فى القرآن الكريم ١٤٥
١ً من تكلم الله تعالى بضمير جماعة المتكلمين ١٤٦
٢ً من تكلم الله تعالى بصيغة المتكلم المفرد ١٤٧
من الجمع بين ضمير الجماعة وضمير المفرد فى سياق واحد ١٤٧
٣ً حديث الله تعالى عن ذاته بضمير المفرد الغائب ١٤٨
خلاصة ١٤٩
٤ً دعاء المؤمنين الله تعالى بضمير المخاطب المفرد ١٤٩
٥ً خطاب الله تعالى المؤمنين وحديثه عنهم ١٥٠
٦ً خطاب الكفار لله تعالى ١٥١
٧ً خطاب الله تعالى الكفار ١٥١
٨ً حديث الكفار عن الله تعالى ١٥٢
٩ً حديث الله تعالى عن الكفار ١٥٢
١٠ً خطاب الله تعالى الرسول ١٥٣
١١ً حديث الله تعالى عن الرسول ١٥٣
٢ ـ فى الحديث النبوى الشريف ١٥٤
١ً من حديث الرسول (صلعم) عن نفسه ١٥٤

١ من حديث الراشدين عن أنفسهم ١٥٦
٢ من خطاب الناس للراشدين ١٥٧
٣ ـ فى الكتابة الديوانية (رسالة لزياد بن أبيه) ١٥٨
٤ ـ فى العصر الحديث ١٥٩
١ . أيام الملكية ١٥٩
٢ . الرخص الشعرية فى خطاب الملوك والوجهاء ١٦٠
٣ . بقاء ضمائر المتكلم على ما هى عليه ١٦٢
٤ . استعمال ضمائر جماعة المتكلمين فى لغة التأليف ١٦٢
(٤) العلاقة بين الضمائر والمستويات الاجتماعية فى بعض اللغات الأوروبية الحديثة ١٦٢
١ ـ فى الإنجليزية ١٦٢
٢ ـ فى الفرنسية ١٦٤
٣ ـ فى الألمانية ١٦٤
(٥) لغات الشرق الأقصى وتفصيلها فى الضمائر المعبرة عن المستويات الاجتماعية ١٦٥
١ ـ اليابانية ١٦٥
٢ ـ الكورية ١٦٥
٣ ـ لغة الملايو ١٦٦

التطور اللغوى وصلته بالمجتمع	**١٨١–١٦٨**
أ — بقاء اللغات وموتها	**١٦٩–١٦٨**
(١) اللغات الحية واللغات الميتة	١٦٨
(٢) اللاتينية لم تمت تاريخيا	١٦٨
(٣) من اللغات «الميتة» : الغالية ، لغة كورنوال ، القبطية ، البربرية	١٦٩
(٤) اللغات العامة «الميتة» وفروعها «حية»	١٦٩
ب — التوحد اللغوى	**١٧٦–١٧٠**
(١) التقسم اللغوى والتوحد اللغوى	١٧٠
(٢) العوامل المعينة على ظهور «لغة عامة»	١٧٦–١٧١
١ — الاتصال والاختلاط والاشتراك فى الحياة	١٧٢
٢ — الأدب لاسيما الشفوى	١٧٢
٣ — الحالة السياسية	١٧٤
٤ — الخدمة العسكرية ، والمدارس والمعاهد والجامعات	١٧٥
٥ — ظهور المدن الكبرى	١٧٦
جـ — آثار الاحتكاك بين اللغات واللهجات	**١٨١–١٧٦**
(١) كثرة الدخيل	١٧٩–١٧٦
١ — الكلمات العربية فى الإسبانية	١٧٧
٢ — الدخيل فى العربية فى الجاهلية والإسلام	١٧٧

٣ ـ أخذ الفارسية من العربية فى الإسلام ١٧٧
٤ ـ الدخيل اليونانى فى العربية ١٧٧
٥ ـ الكلمات التركية والأوروبية فى العاميات العربية حديثا ١٧٧
٦ ـ تأثير العامية المصرية فى العاميات العربية حديثا ١٧٨
٧ ـ اشتراك كلمات كثيرة فى اللغات الأوروبية المختلفة بعد الانقلاب الصناعى ١٧٨
(٢) تأثير الاحتكاك فى بنية اللغات غير المنتمية إلى أصل لغوى واحد : « الأحلاف » أو « الاتحادات » اللغوية ١٧٩
١ ـ اشتراك بعض اللغات الأوروبية فى بعض الأصوات الصائتة ١٧٩
٢ ـ السمات النحوية المشتركة فى لغات شبه جزيرة البلقان ١٨٠
٣ ـ السمات المشتركة بين لغات الشرق الأقصى : (« التشابه » أو «التقارب» أو «التصاهر» بين اللغات) ١٨٠-١٨١